

النصرانية وآدابها

بين

عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي



في الآداب النصرانية في عهد الجاهلية

الجزء الثاني مع الفهارس

طبع في مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت

سنة [illegible]

النصرانيّة وآدابها

بين

عرب الجاهلية

الفصل السادس

في ما ورد في الاسفار المقدَّسه من حكم العرب والحديث

كنّا انتهينا في فصلنا السابق الى ذكر الامثال التي اخذهـا العرب في الجاهليّة او اوائل الاسلام عن الاسفار المقدّسة من العهدين القديم والحديث . ويلحق بهذا الباب باب حكم العرب مع الحديث المرويّ عن نبي الاسلام افردنـا لذلك هذا الفصل بحيث يظهر من المقابلة ما كان للنصرانيّة من النفوذ بين العرب في اواخر ايّام الجاهليّة وظهور الاسلام

١ الحكم

جاء في ديوان سلامة بن جندل (ص١٩) :

عجلتم علينا حجّتين عليكمُ وما يشأ الرحمنُ يَعقِد ويُطلِقِ
هو الكاسرُ العظمِ الامينُ وما يشا من الأمر يجمعْ بينَهُ ويفرّقِ

ومثلهُ لسُويد بن ابي كاهل (شعراء النصرانيّة ٤٣١) :

انما يرفعُ اللهُ ومن شاء وضعْ

فهو من قول الله عزّ وجلّ (١ ملوك ٢ : ٦-٧) : « الربُّ يميت ويحيي يُحْدِر الى الجحيم ويُصعِد الربُّ يُفقِر ويُغني يَحُطّ ويرفع »

وجاء في سفر الامثال (١٣ : ٢٠) : « مُساير الحكماء يصير حكيماً ومؤانس الجهّال يصير شرّيرًا » . يشبههُ قول طرفة :

من المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينهِ فكلُّ قرين بالمقارنِ يقتدي

وقال عبد القيس بن خُفاف (المفضّليات ٧٥٠) :

اللهَ فاتّقِينْ وأوفِ بنذرهِ واذا حلفتَ مماريًا فتحلّلِ

اقتبسه من سفر الجامعة (١٢ : ١٣) : « اتّقِ الله واحفظ وصاياه » ومن المزامير (٤٩ : ١٤) : « أوفِ العليَّ نذورك » . ومن سفر الخروج (٢٠ : ٧) : « لا تحلف باسم الرب الملك باطلًا فانّ الرب لا يزكّي من يحلف باسمهِ باطلًا »

وورد في شعر المرقّش الاكبر (شعراء النصرانيّة ص٢٨٦) :

وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احد بدائمْ
قد خُطّ ذاك في الزّبو رِ الاوّليّات القدائمْ

يشير الى المزمور المئة والواحد حيث يقول داود للربّ : « انّ الارض والسماوات تزول وانت تبقى وكلّها تبلى كالثوب . وانت انت وسنوك لن تفنى » . ومثل هذا قول امية بن ابي الصلت (شعراء النصرانيّة ٢٢٨) :

وتفنى ولا يبقى سوى الواحد الذي يُميت ويحيي دائبًا ليس يهمدُ

وممّا اقتبسهُ لبيد من سفر الجامعة قولهُ :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ

ومن مقتبسات لبيد من الاسفار المقدَّسة (دانيال ٤ : ٣٢ وخروج ٣٣ : ١٣) قولهُ :

انّ تقوى ربّنا خيرُ نَفَلْ وبإذنِ الله رَيْثي وعَجَلْ
احمدُ الله ولا ندَّ لهُ بيدَيْهِ الخيرُ ما شاء فعَلْ
مَن هداهُ سُبل الخير اهتدى ناعِمَ البالِ ومن شاء أضَلْ

وقال أفنون (شعراء النصرانيّة ١٩٣) :

لعمرك ما يدري امرؤٌ كيف يتّقي اذا هو لم يجعل لهُ اللهَ واقيا

وقال الآخر :

اذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فاوّلُ ما يجني عليهِ اجتهادُهُ

وقال عليٌ في المغنى (ص٤) : توكَّل على الله يَكْفِكَ . وهذا كثير في الاسفار المقدَّسة . قال في المزامير (٥٤ : ٢٣) : « أَلقِ على الربِّ همَّك وهو يَعولك » . وقال (١٢٦ : ١) : « وان لم يبنِ الربُّ البيت فباطلًا يتعب البنَّاؤون » . وقال بطرس في رسالته الاولى (٥ : ٧) : « أَلقوا عليهِ همَّكم فهو يعتني بكم »

وفي ديوان حاتم الطائي قوله (شعراء النصرانيَّة ص١٢١) :

كُلُوا الآنَ من رزقِ الإلهِ وأيسِرُوا فانَّ على الرحمانِ رزقكمُ غدا

هو كقول المخلّص في انجيل متَّى (٦ : ٣٤) : « لا تهتمُّوا بشأن الغد فالغد يهتمُّ بشأنهِ »

وقد اقتبس اميَّة بن ابي الصلت تسابيحهُ من تسبحة الثلثة الفتية (دانيال ف٣) فقال (شعراء النصرانيَّة ٢٢٧) :

تسبّحهُ الطيرُ الجوانحُ في الخفى وإذ هي في جوِّ السماء تُصعِّدُ
ومن خوف ربِّي سبَّح الرعد فوقنا وسبَّحهُ الاحجار والوحش أُبَّدُ
وسبَّحهُ النينانُ والبحرُ زاخرًا وما طمَّ من شيءٍ وما هو مُقْلدُ

واستمدَّ من سفر حزقيال (ف ١٠) وصف الملائكة فقال :

ملائكةٌ لا يفترون عبادةً كروبيَّةٌ منهم ركوعٌ وسُجَّدُ
ومنهمْ مُلفٌّ في الجناحَيْنِ رأسَهُ يكادُ لذِكرى ربِّهِ يتفصَّدُ

واقتبس الآخر قول اشعيا (٤٠ : ١٨) : « بمن تشبّهون الله وايّ شيءٍ تعادلون بهِ » فقال :

وليس كمثل الله شيءٌ ولا لهُ شبيهٌ تعالى ربُّنا أن يُحدَّدا

وشبَّه داود في المزامير (٣٢ : ١٤) واشعيا في سفر نبوَّتهِ (٤٠ : ٢٤) زعماء الارض بعصافة يتلاعب بها الريح فأخذ هذا التشبيه الحريث بن عنَّاب (الاغاني ١٤ : ١٠٢) فقال :

كأنَّما ريشةٌ في ارضِ بلقعةٍ من حيثما وجَّهتْها الريحُ تنصرفُ

وجاء في الاغاني (٢ : ٥٠) ان كعب الاحبار سمع رجلًا ينشد بيت الحطيئة :

مَن يفعل الخير لم يعدم جوازيَهُ لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والناسِ

فقال : والذي نفسي بين يديهِ انَّ هذا البيت لمكتوب في التوراة . قال العمري والذي صحَّ عندنا في التوراة : «لا يذهب العرف بين الله والعباد» . والشطر الاوَّل ورد في رسالة القديس بولس الى اهـل افسس (٦ : ٨) : « مهما عمل كلُّ واحد من الخير فسينالهُ من الربِّ »

واقتبس الحطيئة ايضاً من الكتاب المقدَّس قولهُ :

ولست أرى السعادة جَمْعَ مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السَعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ ذخراً وعند الله للأتقى مزيدُ

ومثالهُ لامرىء القيس :

والله أنجحُ ما طلبتَ بهِ والبرُّ خيرُ حقيبةِ الرَحْلِ

فهو في المزامير (مز ١١١ : ١) . وقـال ايضاً بولس في رسالتهِ الاولى الى تيموثاوس (٤ : ٧ — ٨) : « روّض نفسك على التقوى فانَّ التقوى تنفع في كلّ شيءٍ »

وقـد ذكر الربّ في انجيل لوقا (٤ : ٢٢) المثل : « أيها الطبيب اشفِ نفسك » وحذَّر عن المرائي الذي يرى القذى في عين اخيهِ ويغفل عن الخشبة التي في عينـهِ (متَّى ٧ : ٢ — ٤) فاخذهُ ابن معاوية الجعفريّ فقال :

ولا تقرننَّ الصَّبيَّ الذي تلومُ اخاك على مثلهِ

وقال الآخر (الاغاني (٢٠ : ٥٧) :

وعاملٍ بالفجور يأمرُ بالبرِّ م كهادٍ يخوضُ في الظُلَمِ
او طبيبٍ قد شفَّهُ سقمٌ وهو م يداوي من ذلك السقمِ
يا واعظَ الناسِ غير متّعظ نفسك طهّرْ او لا فلا تَلُمِ

ومثلهُ لعليٍّ : من أبصر عيب نفسهِ اشتغل عن عيب غيره

وقد اقتبس يحيى بن زياد قول سليمان في امثـالهِ (١٠ : ١٢) : « البغض يثير النزاع والحبّ يستر جميع المعاصي » فقال :

وعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ كما انَّ عين السُخط تبدي المساويا

يقول العرب (الميداني ١ : ٢٩٥) : رُبَّما كان السكوت جواباً . ومثلهُ قول الشاعر :

اذا نطقَ السفيهُ فلا تُجِبْهُ فخيرٌ من اجابتهِ السكوتُ

وهذا قد ورد في امثال سليمان الحكيم (٢٦ : ٤) : « لا تجاوب الجاهل بحسب سَفَهِهِ لئلّا تكون انت نظيرهُ » . وقال (٢٩ : ٩) : « الحكيم الذي يخاصم سَفيهاً لا يجد راحةً »

وقال الربّ (في متى ١٠ : ٢٨) : « ليس خفيٌّ الّا سيُظهَر ولا مكتوم الّا سيُعلَن » . قال زهير بمعناهُ :

« ومهما تكُنْ عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تُعلَم »

ومن حكم العرب : الصدقُ منجاة والكذبُ مهواة . ومثلهُ في سفر ابن سيراخ (٢٠ : ٢٦) : « الكذب عارٌ قبيح في الانسان » . وقال (٢٠ : ٢٨) : « شأن الانسانِ الكذوب الهوان وخزيهُ معهُ على الدوام »

من اقوال العرب الشائعة : « العاقل لسانهُ في قلبهِ » وروي بين حكم عليّ بن ابي طالب (ص ٩٨) : قلب الاحمق في فيهِ ولسان العاقل في قلبهِ . قالهُ ابن سيراخ (٢١ : ٢٩) : « قلوب الحمقى في افواههم وافواهُ الحكماء في قلوبهم » . وقال في امثال سليمان (١٦ : ٢٣) : « قلب الحكيم يفقّهُ فمهُ ويزيد شفتيهِ فائدةً »

وروي ايضاً لعليّ قولهُ (ص ٣٢) : لين الكلام قيد القلوب . وورد مثلهُ في ابن سيراخ (٦ : ٥) « الفم العذب يكثر الاصدقاء واللسان اللطيف يكثر المؤانسات »

وبين حكم عليّ ايضاً (ص ٧٢) : ذكر الآخرة دواء . وقال ابن سيراخ (٧ : ٤٠) : « في جميع اعمالك اذكر اواخرك فان تخطأ الى الابد »

ومن حكم العرب (٢ : ٦٧) : كلام كالعَسَل وفعل كالأَسل . كأنهُ تعريب آية الزبور (٦١ : ٥) : « يباركون بافواههم وفي باطنهم يلعنون » . ولابن سيراخ (١٢ : ١٥) : « العدوّ يظهر حلاوة من شفتيهِ وفي قلبهِ يأتمرُ ان يُسقطك في حفرة »

ومما رواهُ الميداني للعرب (٢ : ١٧٩) : ما على الارض شيءٌ احقّ بطول سجن من لسان . قال القديس يعقوب في رسالتهِ (٣ : ٨) : « لا يستطيع احد من الناس ان يقمع اللسان فهو شرٌّ لا يُضبط »

يقول العرب : ان شئتَ ان تُطاع فسَلْ ما يُستطاع . ومثلهُ في امثال الميداني (٢ : ١٩٩) : المرء توّاق الى ما لم ينَلْ . وقد سبق ابن سيراخ فقال (٣ : ٢١) : « لا تطلب ما يصيبكَ نيلهُ ولا تبحث عمّا يتجاوز قدرتك »

وورد بين الحكم المنسوبة الى عليّ (ص ٦) : ثبــات الملك بالعدل . وفي امثال سليمان (١٤ : ٣٤) « العدل يُعلي الأُمة » :

وروي لهُ (ص ١٠٨) : من اضاع نفسَهُ قتلها ومن عصى نفسَهُ وصلها . وهو منقول عن كلام الرب (متى ١٦ : ٢٥) : « من اراد ان يخلّص نفسَهُ يُهلكها ومن اهلكَ نفسَهُ من اجلي يخلّصها »

وروي ايضاً بين حكم عليّ قولهُ (ص ٧٠) : درهم الفقير ازكى عندَ الله من دينار الغنيّ . وهو كمثل قول الربّ عن فلس الارملة (مرقس ١٢:٤٣) : « انَّ هذه الارملة الفقيرة ألقت اكثر من كلّ الذين القوا في الخزانة »

ومنها (ص ٣٢) : كلام الله دواء القلوب . وقد سبق اليهِ في المزامير حيث قال (مز ١٨:٨) : «شريعة الربّ كاملة تردّ النفوس . امر الرب مستقيم يفرّح القلب»

ومنهــا ايضاً (ص ١٤) . ذليل الخلق عزيز عند الله . وورد في رسائل بولس (١ كو ١:٢٥) : «مستجهَل الله احكم من الناس ومستضعف الله اقوى من الناس»

٢ الحديث والتوراة

رأيت في الفصل السابق كم للعرب من حكم اقتبسوا معانيها في عهد الجاهلية واوائل الاسلام من الاسفار المقدَّسة . على انّنا لم نروِ منها الّا النزر القليل لِمــا يستدعي جمعُها في الكتب القديمة من الزمن الطويل ولا شكَّ انَّ من ينتبه الى ذلك ويحسن معرفة الكتب المقدَّسة لا سيَّما الاسفار الحكميَّة يجد مقتبسات عديدة غيرها ولنــا على ذلك شاهد آخر في الاحاديث النبويّة التي رواها اقدم المحدّثين عن نبيّ الاسلام ننقــل بعض مــا وقفنا عليهِ منها فيظهر للقرّاء الكرام كم كانت شائعة في ذلك الوقت التعاليم النصرانيَّة . وفيه برهان جليّ على كون التوراة واسفار العهــدين القديم والجديد كانت منذ زمن الجاهليّة واوّل الاسلام معرَّبة وان لم نعرف مــاذا جرى لتلك التعريبات القديمة (راجع في المشرق ٤ : ٩٩ — ١٠٨) مقالتنا المعنونة « نسخ عربية قديمة في الشرق من الانجيل الطاهر » . امّا مــا نرويه هنا من الحديث فقد وجدناهُ في مجاميع المحدّثين الاثبات كصحيح الامام البخاري (+ ٢٥٦ هـ = ٨٦٩ م) وصحيح مسلم بن الحجّاج (+ ٢٠١ هـ = ٨٧١ م) وفي

مجاميع ابي عبد الرحمان النسائي (+ ٣٠٣ ﻫ = ٩١٥) ومحمّد بن ماجه القزويني (+ ٢٧٣ ﻫ = ٨٨٧ م) وابن عيسى الترمذيّ (+ ٢٧٩ ﻫ = ٨٩٢ م) وقد وفّر علينا السيوطي في كتاب كنوز الحقائق وفي الجامع الصغير (جس) وشرحه للمناوي (من) ذكر كلّ محدّث بفردهِ واشار اليهم بحروف اصطلح عليها بعد كلّ حديث البخاري (خ) مسلم (م) الترمذي (ت) النسائي (ن) ابن ماجه (ﻫ). ومن هذه الكتب نسخ مخطوطة في مكتبتنا الشرقية . ثم اننا سنذكر كلّ حديث كما رواهُ اصحاب الحديث ونرسم بإزائهِ ما وافقهُ من آيات الكتب الكريمة مباشرةً بالعهد العتيق ثم الكتب التاريخيّة ثمّ الحكميّة ثم النبوّات ومن بعدها العهد الجديد اي الاناجيل والرسائل ورؤيا مار يوحنا

سفر التكوين (تك)

سفر التكوين	الحديث
خلق الله الانسان على صورتهِ . على صورة الله خلقهُ (تك ١ : ٢٧)	خلق الله آدم على صورتهِ (جس ٢٠٤ من نسختنا الخطيّة) = لا تقبّحوا الوجه فانّ الله خلقهُ على صورة الرحمان (من ١٩٣)
انّ الله جبل الانسان تراباً من الارض (تك ٢ : ٧)	خلق الله آدم من تُراب (جس ٧٣)
غرس الربّ الاله جنّةً في عدَن (تك ٢ : ٨)	انّ الله بنى جنّات عدَن بيدهِ (جس ٢٣ من ٣١)
رأى الله انّ جميع ما صنعهُ هو حسن جدًا (تك ١ : ٣١)	كل خَلْق الله حسَن (جس ١١٣)
ولَدَ نوح ساماً وحاما ويافت (تك ٥ : ٣٢)	وُلْد نوح ثلاثة سام وحام ويافث (جس ١٧٨)
رُوِي في الفصل ١٨ من سفر التكوين ذكر اضافة ابرهيم الربّ المتجلّي لهُ على صورة ثلاثة رجال	كان اول من اضاف الضيف ابرهيم (جس ١١٣)

سفر الخروج (خر)

سفر الخروج	الحديث
أكرمْ اباك وامَّك لكي يطول عمرك في الارض (خر ٢٠ : ١٠)=وفي تثنية الاشتراع (٥ : ١٦) : أكرمْ اباك وامَّك لكي	ان الله تعالى يزيد في عمر الرجل يبرّ والديهِ (جس ١٠٠) = مَنْ برَّ والديهِ طوبى

تطول ايامك = وفي سفر الامثال (٢٣: ٢٢): اسمع لأبيك الذي ولدك
مَن ضرب اباهُ اوامه فليُقتَلْ قتلا (حر ٢١: ١٥)

لهُ زاد الله في عمره (جس ١٥٠) = أطع أباك (جس ١٨)
مَنْ ضرب والدَيهِ فاقتلوهُ (جس ١٥٤)

سفر الاحبار (اح)

لا تُبِتْ أُجرَةَ الاجير عندك الى الغد (١ ح ١٩: ١٣). ومثلهُ في طوبيا (٤: ١٥): أُجرةُ أجيرك لا تَبْقَ عندك ابدًا. كلّ من خدمك بشيء فأوْفِهِ اجرتَهُ
إنْ غَشيَ رجلٌ بهيمةً فليُقتَل قتلًا. والبهيمة ايضاً فاقتلوها (١ ح ٢٠: ١٥)

الحديث

أعطوا الأجير أُجرتهُ قبل ان يجفَّ عَرَقُهُ جس ٦١ من ١٩) = أوْفُوا الاجير أجرَه (من ٥٠)
من أتى بهيمةً فاقتلوهُ واقتلوها معهُ (جس ١٤٦)

سفر تثنية الاشتراع (تث)

انّ الربّ هو الاله ليس إلٰه سواهُ (تث ٤: ٣٥ و ٣٩) = ومثلهُ في الملوك الثالث (٨: ٦١) الخ
ملعون من يُضلّ اعمى من الطريق (تث ٢٧: ١٨)
ملعون المستخفّ بابيهِ وامّهِ (تث ٢٧: ١٦)

الحديث

لا اله الّا الله هي الموجبة (جس ١٨٠) = السيّد هو الله (من ٨٧)
لعن الله من أكمه الاعمى عن السَّبيل (جس ١٣٠)
ملعون مَنْ سبَّ اباهُ. ملعون من سب أمهُ (من ٤٠٤)

سفر يشوع (يش)

قال يشوع: يا شمس قفي . . . وقفت الشمس الى أن انتقم الشعب من اعدائهم (يش ١٠: ١٢ — ١٣)

الحديث

ما حُبست الشمسُ على البشر قطّ الّا على يشوع بن نون (من ٢٨٩)

سفر الملوك الاوّل (مل)

انّ الانسان انمّا ينظر الى العينين واما الربّ فانّهُ ينظر الى القلب (١ مل ١٦: ٦)

الحديث

انَ الله لا ينظر الى صوركم واموالكم انمّا ينظر الى قلوبكم واعمالكم (جس ٩٧)

سفر اخبار الايام (اخ)

انت وحدك تعرف قلوب بني البشر (٢ اخ ٦ : ٣٠)

انك تزكّي البارّ وتُعطيهِ بحسب برّهِ (٢ اخ ٦ : ٢٣)

الحديث

علم الباطن سرّ من اسرارهِ عزّ وجلّ وحكم من احكامهِ (من ٣٧٩)

انّ الله لا يضيع أجرَ المحسنين (خ ٣ : ١٩٠)

سفر طوبيّا (طب)

الصَّدقة تنجّي من كل خطيئة (طب ٤ : ١١). الصدقة تمحو الخطايا (طب ١٢ : ٩)

الذين يعملون المَعْصية والاثمَ هم اعداءٌ لانفسهم (طب ١٢ : ١٠)

الحديث

الزكاة طَهور من الذُنوب (جس ٨٣)

انمّا المجنون المقيم على معصية الله (مز ٤٥)

سفر أيُّوب

الذين يحرثون الاثم ويزرعون المشقَّة هم يحصدونها (أيُّوب ٤ : ٨) . ومثلهُ في سفر الامثال (٢٢ : ٨): من زرع الظلم يَحْصُدُ السوءَ . وفي ارميا (١٢ : ١٣) : زرعوا حنطةً فحصدوا شوكاً

المنافق لا يقوم امام الله (أيُّوب ١٣ : ١٦)

الحديث

قال داود يا زارع السيئات انت تحصد شوكها وحسكها (جس ١٠٧) (قد نُسب هذا لداود وليس في مزامير داود آية كهذه)

ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً (في البخاري ومسلم)

سفر المزامير (مز)

جانب الشرّ واصنع الخير (مز ٣٣ : ١٥ و ٣٦ : ٢٧)

علّمني يا ربّ طريقك (مز ٨٥ : ١١) = أدلُلْني يا ربّ على طريق رسومك . . . أسلكني في سبيل وصاياك (مز ١١٨ : ٣٣ – ٣٥) = أسلكهم في سبيل مستقيم (مز ١٠٦ : ٧)

الحديث

إيتِ المعروف واجتنب المُنكر (الجامع الصغير)

ربّ اغفر وارحم واهدني للسبيل القويم (من ٨) ومثلهُ في سورة الفاتحة : إهدنا الى السراط المستقيم

تلذّذ بالربّ فيُعطيك سُؤْل قلبك (مز ٣٦ : ٤)	اذكر الله فانّهُ عونٌ لك على ما تطلب (جس ٤٨ من ١٤)
إن كُنت للآثام راصدًا يا ربّ فمَنْ يَقِفُ (مز ١٢٩ : ٣)	مَنْ نُوقش المحاسبةَ هلك (جس ١٦١)
انّ الف سنة في عينيك كيوم امس العابر (مز ٨٩ : ٤) . وفي رسالة بطرس الثانية (٣ : ٨) : انّ يومًا واحدًا عند الربّ كألف سنة	انّ يومًا عند ربّك كألف سنة مما تعدّون (سورة الحجّ ٢٢ : ٤٦)
انّ يومًا في ديارك خيرٌ لي من الف (مز ٨٣ : ١١)	رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الف يوم فيما سواهُ (جس ٢٣٧)
رأس الحكمة مخافة الرب (مز ١١٠ : ١٠) = وكذا في الامثال (٩ : ١٠) وفي ابن سيراخ ١ : ١٦)	خشيةُ الله رأس كلّ حكمة (جس ٢٠٢) = رأس الحكمة مخافةُ الله (المسعودي ٤ : ١٦٨) = رأس الحكمة معرفة الله (جس ٧٩)
الصدّيقون يرثون الارض ويسكنونها الى الابد (مز ٣٦ : ٢٩)	ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر انّ الارض يرثها عبادي الصالحون (سورة الانبياء ١٠٥)
يا ربّ من يحلّ في مسكنك . . السالك بلا عيب وفاعل البرّ والمتكلّم بالحقّ في قلبه والذي لا يغتاب بلسانه (مز ١٤ : ١ — ٣)	قد افلح مَن أخلص قلبهُ الايمان وجعل قلبَهُ سليمًا ولسانهُ صادقًا ونفسهُ مطمئنّة (جس ٣١١)
الربّ رؤوف كثير الرحمة لا على حسب خطايانا عاملنا ولا حسب آثامنا كافأنا (مز ١٠٢ : ٩ — ١٠)	عفو الله اكبر من ذنوبكم (جس ٢٧٧)
ايّام سنينا سبعون سنةً ومع القوّة ثمانون سنة ورَغَدُها انّما هو ضرر (مز ٨٩ : ١٠)	اعمار امّتي بين الستين والسبعين (خ) قال الشعبيّ : مكتوب في الزبور من بلغ السبعين اشتكى من غير علّة (العقد الفريد ١ : ٢٣١) ومثلهُ قول التميميّ (البيان للجاحظ ٢ : ١٠٨) :

وان امرءًا قد سار سبعين حجّةً ... الى منهل من ورده لقريبُ
اذا كانت السبعون سنّك لم يكن ... لدائك الا ان تموتَ طبيبُ

سفر الامثال (مث)	الحديث
من يرحم الفقير يقرض الرب (مث ١٩ : ١٧)	انّ الصدقة تقع في يد الله (جس ٣٧)

اذهب أيُّها الكسلان الى النملة أنظر الى طُرُقها وكن حكيماً . تُعِدُّ في الصيف طعامها للشتاء (مث ٦:٦-٨)

مُساير الحكماء يصير حكيماً ومؤانس الجهّال يصير شرّيراً (مث ١٣ : ٢٠)

الذي يسودُ على روحه أفضل ممّن يأخذ المدن (مث ١٦ : ٣٢)

الموت والحياة في حكم اللسان (مث ١٨ : ٢١)

الانسان المُطيع يتكلّم كلام المنتصر (مث ٢١ : ٢٨)

الاخ امنع من مدينة محصَّنة (مث١٨ : ١٩)

ككلبٍ عائد على قيئهِ هكذا الجاهل المكرّر سفهَهُ (مث ٢٦ : ١١) ومثلهُ في رسالة بطرس الثانية (٢ : ٢٢)

من يجد المرأة الفاضلة . انَّ قيمتها فوق اللآلئ (مث ٣١ : ١٠)=من وجد زوجة صالحة وجد خيراً (مث ١٨ : ٢٢)

مثل المؤمن كمثل النملة تجمع في صيفها لشتائها (جس ١٤٣)

المرء على دين خليلهِ فلينظر المرء من يُخالّ (حز ١٦٤) = ايَّاك وقرين السوء فانَّك بهِ تُعرَف (جس ١٥٣)

ليس الشديد بالصُّرَعة انَّما الشديد مَنْ يملك نفسَهُ (خ من) = افضلُ الجهاد ان يجاهد الرجل نفسَهُ وهواهُ (جس ٦٥)

البلاء موكَّل بالمنطق (جس ١٦٨)

من اطاع الله فاز (من ١٤٨)

انَّ المرء كثير باخيه (جس ١١٠)

العائد في صدقتهِ كالكلب يعود الى قيئهِ (البخاري ٢ : ١٢٣)

زوجة صالحة خيرٌ ما كنز الناس (جس ٣١٣)

سفر الجامعة (جا)

انَّ البشر لا يعلمون احبًّا يستوجبون أم بغضاً (جا ٩ : ١)

انَّ الله سيُحضِر كلّ عملٍ ليدين على كلّ خفيٍّ خيراً كان او شرًّا (جا ١٢ : ١٤) ومثلهُ في رسالة بولس الرسول الى اهل افسس (٦ : ٨)

لكلّ امرٍ أوان ولكلّ غرضٍ تحت السماء وقت (جا ٣ : ١)

الحديث

عجبتُ لطالب دنيا . . وهو لا يدري أرُضي عنهُ او سُخِطَ (جس ٢٧٥)

من يعمل مثقالَ ذرَّةٍ خيرًا يرَهُ ومن يعمل مثقال ذرَّة شرًّا يرَهُ (خ ٣ : ١٩٩)

لكل شيءٍ ميقاتهُ (من ١٥٨) . ومثلهُ للشاعر :

والامور مواقيتٌ مقدَّرة وكلّ امرٍ لهُ حدٌّ وميزانُ

وقال ايضاً :

فاذا الشيء اتى في وقتهِ زاد في العين جمالًا لجمالٍ

سفر الحكمة (حك)

الربّ يفحص اعمالكم فأربابُ القوّة بالقوّة يُفحَصون وانّ للاشدّاء امتحاناً شديداً (حك ٦ : ٤-٧)

نفوس الصدّيقين بيد الله لا يمسّها عذاب وفي ظنّ الجهّال انّهم ماتوا . . اماّ هم ففي السلام (حك ٣ : ١-٣)

محّص الله الصديقين كالذهب في البودقة . . . فهم في وقت افتقادهم يتلألأون (حك ٣ : ٦-٧)

الحديث

اشدُّ الناس عذاباً للناس في الدنيا اشدُّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة (جس ٥٥)

في سورة آل عمران (٣ : ١٣٣) : لا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء . . . ولا هم يحزنون

مَثَل المؤمن حين يصيبهُ البلاء كمثل الحديدة تُدخَل النار فيذهب خبثُها ويبقى طيبُها (جس ١٣٥)

نشيد الاناشيد (نش)

انّي نائمةٌ وقلبي مستيقظ (نش ٥ : ٢)

الحديث

تنام عيناي ولا ينام قلبي (جس ١٧٥) = انّا معشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا (حس ١٣٢ خ ٢ : ٤٤)

سفر يشوع بن سيراخ (سخ)

يا بُنيَّ اتخذ التأديب منذ شبابك . . . تروَّ في اوامر الربّ فهو ينيلك ما تتمنّاه (سخ ٦ : ١٨ و٣٣)

لا تسلِّم نفسك الى المرأة لئلّا تتسلّط على قدرتك (سخ ٩ : ٢)

لا تشمت بموت احدٍ . اذكر انّا اجمعنا نموت (سخ ٨ : ٨)

الماء يطفىء النار المُلتهبة والصدقة تكفّر الخطايا (سخ ٣ : ٣٣) = وفي لوقا (١١ : ٤١) : تصدّقوا ممّا في ايديكم فيطهر لكم كل شيء

الحديث

انّ الله يحبُّ الشابَّ الذي يفني شبابهُ في طاعة الله (حس ٩٨)

طاعة المرأة ندامة (جس ٩٤)

لا تظهر الشماتة باخيك فيرحمه الله ويبتليك (جس ١٩١)

الصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار (حس ٩٣) = تصدَّقوا فانَّ الصدقة فكاكُكم من النار (جس ٣٣)

في جميع اعمالك اذكرْ أواخرك فان تخطأ الى الابد (سخ ٧ : ٤٠)

أكثرْ ذكر الموت يسلك عماً سواه (جس ٣١٣) = أكثروا ذكر الموت فانهُ يمحص الذنوب و يزهد في الدنيا (جس ٧١)

اوصاهم (اي البشر) كلّ واحدٍ في حقّ القريب (سخ ١٧ : ١٢)

كلكم راعٍ وكلّ راعٍ مسئول عن رعيّتهِ (من ١١٥ م ٦ : ٨ خ ١١٥)

كلّ رِجسٍ مُبغَض عند الرب (سخ ١٥ : ١٣)

انّ الله يُبغض الفاحش البذي (من ٣٤)

الهدايا والرُّشى تُعمي أعين الحكماء وكلجام في الفم تَحجزُ توبيخاتهم (سخ ٢٠ : ٣١)

الهديَّة تعوّر عين الحكيم = الهدايا للامراء غلول = الهديةُ تذهب بالسمع والقلب والبصر (جس ١٧٦)

الإفراط من شرب الخمر خصومة وتراع ومرارة للنفس (سخ ٣١ : ٣٨) وفي رسالة القديس بولس الى افسس (٥ : ١٤) : لا تسكروا من الخمر التي فيها الدعارة

اجتنبوا الخمر فانَّها مفتاح كلّ شرّ (جس ١٤) = الخمر جماعُ الاثم (جس ٧٥)

عجّل الزمان واذكر الأجل (سخ ٣٦ : ١٠)

اغتنموا العمل وبادروا الأجل (جس ٣٠)

الغمّة تأتي بالشيخوخة قبل الاوان (سخ ٣٦ : ٣) = كالعث في الثوب والسوس في الخشب هكذا الكآبة في قلب الرجل (سخ ٣٥ : ٢٠)

الهمُّ نصفُ الهَرَم (جس ١٧٦) . وقال المتنبي في هذا المعنى:

والهمُّ يخترم الجسيمَ نحافةً
ويشيبُ ناصيةَ الصبيّ فيهرمُ

سفر اشعيا (شع)

إنطلقْ وقلْ لهؤلاء الشعب اسمعوا سماعاً ولا تفهموا وانظروا نظراً ولا تعرفوا (شع ٦ : ٦)

الحديث

يدعو الله المنافق فلا يسمع ينظر ولا يبصر (من ٣٢٠) = وفي سورة الاعراف (٧ : ١٩٧) : وان تدعوهم الى الهُدى لا يَسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يُبصرون

ان هذا الشعب يكرمني بشفتيهِ واماً قلبهُ فبعيد عني (شع ٥٢ : ١٣ مت ١٥ : ٨)

ويل لمن يذكر الله بلسانهِ ويعصي الله في عملهِ (جس ١٧٨)

انا الربّ وهذا اسمي ولا أعطي لآخر مجدي (شع ٤٢ : ٨) = ليس الربّ العزَّة وتمطق جا (مز ٩٢ : ٢)

قال الله الكبر ردائي والعظمة إزراري فمن نازعني واحداً منهما قذفتهُ في النار (جس ٣٠٦)

سفر ارميا (ار)

ملعون الرجل الذي يتوكَّل على البشر وقلبهُ ينصرف عن الربّ (ار١٧ : ٥)

الحديث

مَنْ سعى الى الناس فهو لغير رُشْدهِ (جس ١٥٥) . ومثلهُ لعليّ بن ابي طالب(ص٢٢) : ضلّ سَعْي من رجا غير الله

سفر حزقيال (حز)

المنافق اذا تاب عن جميع خطاياه . . . فانهُ يحيا حياةً ولا يموت (حز١٨ : ٢١) وفي سفر الحكمة(١١ : ٢٤) : انك تتغاضى عن خطايا الناس لكي يتوبوا

الحديث

التائب من الذنب كمن لا ذنب لهُ(جس ١٧٧) وفي الايجاز والاعجاز (ص٦) : من كلام النبي: التوبة تهدم الحَوْبة

سفر دانيال (دا)

يضيء العقلاء كضياء الجَلَد والذين هدوا الى البرّ كثيرين كالكواكب الى دهر الداهرين (دا١٢ : ٣)

وفي دانيال تسبحة الثلاثة الفتية في اتون النار يدعون الخلائق الى تسبحة خالقها

الحديث

انَّ مَثَل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يُهتدَى بها (جس١٢٧)

ورد في الحديث وفي السور الصفّ(٦١ : ١) والجمعة (٦٢ : ٢) والتغابن(٦٤ : ١) والملك (٦٧ : ١) مثلها معنًى ولفظاً

سفر زكريّا النبيّ (زك)

ابتهجي جدًّا يا بنت صهيون واهتفي يا ابنت اورشليم هوذا ملكك يأتيكِ عادلاً ودبعاً راكباً على اتان (زك ١١ : ٩)

الحديث

قال في لسان العرب (٥ : ٩٦) : في حديث عطاء : أبْشِري أُورَى شَلَّم براكب الحمار (قال يريد بيت الله المقدَّس)

الانجيل الشريف

الانجيل الشريف (متّى : مت . لوقا : لو . مرقس: مر . يوحنَّا : يو)

الربُّ معكِ . مباركةٌ انتِ بين النساء (لو ١ : ٢)

الحديث

كل بني آدم يمسُّهُ الشيطان يوم ولدتهُ أمُّهُ الا مريم وابنها (جس٣١٩) = ما من بني آدم مولود الَّا يمسهُ الشيطان غير مريم وابنها (جس ٣٩٨)

امتلأت اليصابات من روح القدس وارتكض الجنين في بطنها (لو ١ : ٤١)	خلق الله يحيى بن زكريا في بطن امهِ مؤمناً (جس ٣٠٥)
كان قد أُوحي اليهِ (الى سمعان الشيخ) انهُ لا يرى الموت حتى يعاين مسيح الربّ (لو ٢ : ٢٦)	ان روح القدس نفثَ في رُوعي انّ نفساً لن تموت حتّى تستكمل أجلها . . (جس١١٨)
ليس امرٌ غير ممكن لدى الله (لو ١ : ٣٧) = كلّ شيء عند الله مستطاع (مر ١٠ : ٢٧)	اذا اراد الله خَلْق شيء لم يمنعهُ شيء (جس ٢٥) .
كونوا كاملين كما انّ اباكم السماوي كامل (مت ٥ : ٤٨)	انّ الله تعالى مُحسن فأحسِن (جس ٩٥)
الذي يعمل ويعلّم فهذا يُدعىَ عظيماً في ملكوت السماوات (مت ٥ : ١٩)	كلّ علم وبالٌ على صاحبهِ الّا ما عُمِل بهِ (جس ١١٤) = تعلّموا من العلم ما شئتم فوالله لا تُؤجَروا بجمع العلم حتّى تعملوا بهِ (جس ١٧٣)
الويل لكم أيها الاغنياء (لو ٦ : ٢٤) = طوبى للمساكين بالروح فانّ لهم ملكوت السماوات (مت ٥ : ٣) .	ويلٌ للأغنياء من الفقراء (جس ٤٥٥) = نعم الشيء الفقر (جس ١٦٦) = قمتُ على باب الجنّة فاذا عامّة من دخلها المساكين (جس ٣١٤) = الفقر شَيْن عند الناس زين عند الله يوم القيامة (جس ٣٠٣)
انتم نور العالم . . لا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال لكن على المنارة . . فليضيء نوركم قدّام الناس (مت ٥ : ١٤ – ١٥)	اتبعوا العلماء فانهم سُرُج الدنيا ومصابيح الآخرة (جس ١٠)
انتم ملح الارض فاذا فسد الملح فبماذا يُملَّح (مت ٥ : ١٣)	مَثَل اصحابي كالمِلْح لا يصلَح الطعام الّا بهِ (جس ٤٠٢ الايجاز والاعجاز للثعالبي ص ٦) = قُرَيش صلاح الناس ولا يُصلَح الناس الّا بهم كما انّ الطعام لا يُصلَح الّا بالملح (جس ٣١٣) . ومثلهُ للشاعر: بالملح تُصلَح ما تخشى تغيُّرهُ فكيف بالملح ان حلّت بهِ الغِيَرُ
كونوا وُدعاء كالحمام (مت ١٠ : ١٦)	كونوا بُلْهاً كالحمام (احياء علوم الدين للغزالي) = دخلتُ الجنّة فاذا اكثر اهلها البُلْه (جس ٣١٧)
لا تدينوا لئلاّ تُدانوا فانكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون وبالكيل الذي بهِ تكيلون	مكتوب في الانجيل كما تدين تُدان وبالكيل الذي تكيل تُكتال (جس ٤٠٤) =

يُكال لكم (مت ٧ : ١-٢)

طوبى للرُّحماء فانهم يُرحمون (مت ٥ : ٧)=كونوا رُحماء كما انَّ اباكم هو رحيم (لو ٦ : ٣٦)

اغفروا يُغفر لكم (لو ٦ : ٣٧) = هكذا ابي السماوي يصنع بكم ان لم تغفروا من قلوبكم كلٌّ واحدٍ لاخيهِ (مت ١٨ : ٣٥)

قال يسوع : يا ابتِ اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يعملون (لو ٢٣ : ٣٤)

لا يسقط عصفور على الارض بدون ابيكم . . . فلا تخافوا فإنكم افضل من عصافير كثيرة (مت ١٠ : ٢٩-٣١)

كلُّ ما تُريدون ان يفعل الناس بكم فافعلوهُ انتم بهم (مت ٧ : ١٢ : لو ٦ : ٣١) ; ومثلهُ في طوبيا (٤ : ١٦) : كلُّ ما تكرهُ ان يفعلهُ غيرك بك فاياك ان تفعلهُ انت بغيرك

انَّ ابن البشر لم يأتِ ليهلك نفوس الناس بل ليخلّصها (لو ٩ : ٥٦)

ما بالك تنظر القذى الذي في عين اخيك ولا تفطن للخشبة التي في عينك يا مرائي أخرج اولًا الخشبة من عينك (مت ٧ : ٣ لو ٦ : ٤٢) = أيها الطبيب اشفِ نفسك (لو ٤ : ٢٣)

انتم جميعًا أُخوة (مت ٢٣ : ٨) . وفي رسالة بولس الى اهل غلاطية (٣ : ٢٨) : ليس عبد ولا حرٌّ لأنكم جميعكم واحد في المسيح

أحبُّوا أعداءكم وأحسِنوا الى من

البِرُّ لا يبلَى والذنبُ لا يُنسَى والديَّان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تُدان (جس ١٦٦)

من يَرحم الناس يرحمهُ الله . ومن لا يرحم الناس لا يرحمهُ الله (جس ١٦٢) = كونوا رحماء فانَّ الله رحيم يحبُّ كلَّ رحيم (من ١١٥)

اسمحوا يُسمح لكم (حس ٥٥) — من لا يغفر لا يُغفَر لهُ . من لا يرحم مَنْ في الارض لا يرحمهُ مَن في السماء (حس ٤٣٦)

اللهمَّ اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (من ٣٥) = ارحم يا ربّ امتي لأنهم لا يعلمون ما يصنعون (رواية احياء علوم الدين للغزالي)

الله ارحم بعبادهِ من هذا العصفور بفرخهِ (جس ٢٤)

أَحبب للناس ما تحبُّهُ لنفسك (جس ١٦ الاغاني ١٩ : ٥٥) = لا يؤمن احدكم حتّى يحبَّ لاخيهِ ما يحبُّهُ لنفسه (من ١٨٦) . ونظمهُ الشاعر فقال :

واصنع الى الناس كمثل الذي
تختارُ ان يصنعهُ الناس بكْ

انما بُعثتُ رحمةً ولم أُبعَث عذابًا (جس ١٢٥)

اذا اردت ان تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك (جس ٣٦) = روى في الاغاني لسكينة بنت الحسين بن علي (١٤ : ١٧٠) : اني واللّه واياك كالذي يرى الشعرة في عين صاحبهِ ولا يرى الخشبة في عينهِ = يُبصر احدكم القذى في عين اخيهِ وينسى الجذع في عينهِ (جس ٢٦٧)

المسلم اخو المسلم (جس ٤٤٠) = العبيد اخوانكم فأطعموهم ممَّا تأكلون (خ ٣ : ١١٣)

صِلْ مَنْ قطعك وأحسن الى مَنْ اساء

يُبْغِضكم (مت ٥ : ٤٤ ; ولو ٦ : ٢٧) = ان احببتم من يحبكم فايُّ أجرٍ لكم أليس العشّارون يفعلون ذلك (مت ٥ : ٤٦)

أعداء الانسان اهلُ بيتهِ (مت ١٠ : ٣٦) ومثلهُ في نبوّة ميخا (٧ : ٦)

كم مرّةً يخطأ اليَّ اخي فأغفرَ لهُ أ إلى سبع مرّات. قال لهُ يسوع . . . بل الى سبعين مرّة سبع مرّات (مت ١٨ : ٢١-٢٢)

ملكوت السماوات يُغْصَب والغاصبون يختطفونهُ (مت ١١ : ١٢)

من يُنكرني امام الناس يُنكَر امام ملائكة الله (لو ١٢ : ٩) وفي متّى (١٠ : ٣٣) . . . انكرهُ انا قدام ابي الذي في السماوات

لو كان لكم ايمان مثل حبّة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هاهنا الى هناك فينتقل (مت ١٧ : ١٩)

قال الرسل للربّ: زِدْنا ايماناً (لو ١٧ : ٥)

من أحبَّ أباً او امّاً اكثر مني فلن يستحقّني . . . ومن اهلك نفسهُ من اجلي يجدُها (مت ١٠ : ٣٧-٣٩)

طوبى لعيونكم لأنها تنظر ولآذانكم لأنها تسمع . . ان كثيرين من الانبياء والصدّيقين اشتهوا ان يروا ما انتم راؤون ولم يروا وان يسمعوا ما انتم سامعون ولم يسمعوا (مت ١٣ : ١٦-١٧)

قال يسوع : لأنّك رأيتني يا توما آمنت فطوبى للذين لم يروني وآمنوا (يو ٢٠ : ٢٩)

اليك (جس ٢٥٦) = الفضل في ان تصل مَنْ قطعك وتعفو عمّن ظلمك = أفضلُ الفضل ان تصِل مَن قطعك وتُعطي من حرمك وتصفح عمّن ظلمك (جس ٦٦ و٣٠٢)

اعدى عدوّك زوجتك وما ملكتْ يمينك (جس ٦٠)

أعفُ عن الخادم كلّ يوم سبعين مرّةً (من ١٩) = اني لأتوب الى الله في اليوم سبعين مرّةً (من ٤٧)

حُفَّت الجنّة بالمكاره (الثعالبي المحاضرة والتمثيل ص ٠١ من نسختنا وفي الايجاز والاعجاز لهُ ص ٦-٧ ; من ٦٩) = انَّ ابواب الجنّة تحت اظلال السيوف (خ ٣ : ١٩١ جس ١١٣)

اذا سُئل احدكم أمؤمن هو فلا يشكّ (جس ٣٧)

لا يدخل النار من كان في قلبهِ حبّةُ خردل من الايمان (رواهُ الغزّالي في احياء علوم الدين) = يدخل اهل الجنّة الجنّةَ واهل النار النارَ ثمَّ يقول الله : أخرجوا من كان في قلبهِ حبّةَ خردلٍ من الايمان فيخرجون (خ ١ : ١٠)

قل: ربِّ زِدْني علماً (سورة طه ١١٣)

لا يؤمن احدكم حتّى اكون احبَّ اليهِ من ولده ووالده والناس اجمعين (خ ١ : ٩) = لا يؤمن احدكم حتّى اكون احبَّ اليهِ من نفسهِ (من ١٨٦ . وفي إحياء علوم الدين للغزّالي)

انَّ اناساً من امّتي يأتون بعدي يودُّ احدهم لو اشترى رؤيتي باهلهِ ومالهِ (جس ١١٥)

طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرني (جس ٢٧١) . وفيه: طوبى ثمَّ طوبى ثمَّ طوبى لمن آمن بي ولم يرني = رحم الله

اخواني الذين آمنوا بي ولم يَروْني (من ٨٨) = طوبى لمن رآني او رأى مَن رآني (من ٩٥)

من سمع منكم فقد سمع منّي ومن احتقركم فقد احتقرني ومن احتقرني فقد احتقر الذي ارسلني (لو ١٠ : ١٦) = مَن قبلكم فقد قبلني ومَنْ قبلني فقد قبل الذي ارسلني (مت ١٠ : ٤٠) = الحقّ اقول لكم انَّ الذي يقبل مَن أُرسلهُ يقبلني والذي يقبلني يقبل الذي ارسلني (يو ١٣ : ٢٠)

تسمعون ويُسْمَع منكم (جس ١٧١) = أكرموا العلماء.. فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسولهُ (جس ٧٢) = من احبَّ الانصار احبَّهُ الله ومن أبغض الانصار ابغضهُ الله (جس ٤٠٨) = من أحبَّني فقد احبَّ الله ومن اطاعني فقد أطاع الله (من ١٤٦) = من احبَّ العرب فقد احبَّني حقًّا (من ١٤٧) = من احبَّ عليًّا فقد احبَّني ومن ابغضهُ فقد ابغضني (جس ٨ ٤) = من آذى عليًّا فقد آذاني (من ٢٠٤) = من احبَّ الحسَن والحسين فقد احبَّني ومن ابغضهما فقد ابغضني (جس ٤٠٨)

انَّ الكتبة والفرّيسيين جالسون على كرسيّ موسى فمهما قالوا لكم فاحفظوهُ واعملوا بهِ واماً بمثل اعمالهم فلا تعملوا (مت ٢٣ : ٢-٣)

انظروا قُريشاً فخذوا من قولهم وذَرُوا فِعلَهم (حس ١٤٣)

أوفوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله (مت ٢٢ : ٢٠)

أدُّوا للأُمراء حقَّهم واسألوا الله حقَّكم (رواية احياء علوم الدين للغزالي)

حينئذٍ يُضيء الصدّيقون مثل الشمس في ملكوت ابيهم (مت ١٣ : ٤٣)

انَّ اهل عِلّيين يُشرف احدهم على اهل الجنَّة فيُضيء وجههُ لاهل الجنَّة كما يضيء القمر ليلة البدر لاهل الدنيا (جس ١١٦)

احذروا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بلباس الحُملان وهم في الباطن ذئاب خطفة. . (مت ٧ : ١٥)

انَّ بين يدي الساعة كذّابين فاحذروهم (صحيح مسلم ٦ : ٤) — ومثلهُ للشاعر:

وإذا الذئابُ استنعجَتْ لك مرَّةً
فحذارِ منها ان تعودَ ذئابا
فالذئبُ اخبثُ ما يكون اذا بدا
متلبّساً بين النعاج إهابا

صلّوا في كلّ حين (لو ٢١ : ٣٦) = الحقّ اقول لكم انَّ كلَّ ما تسألون الآب باسمي يعطيكموهُ (يو ١٦ : ٢٣)

الصلاة خير موضوع فمن استطاع ان يستكثر فليستكثر (جس ٢٦٥) = الصلاة مفتاح كلّ خير (من ٢٩٣) = ما اذن الله لعبد في الدعاء حتى أذن لهُ في الاجابة (جس ٢٨٥).

اذا صلّيت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصلِّ الى ابيك في الخفية (مت ٦ : ٦)

اسألوا فتُعطَوا اطلبوا فتجدوا اقرعوا فيفتح لكم (مت ٧ : ٧)

انظروا الى طيور السماء فانها لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الاهراء وابوكم السماوي يقوتها (مت ٦ : ٢٦)

وانتم فصلّوا هكذا ابانا الذي في السماوات ليتقدَّس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض (متى ٦ : ٩–١٠)

حيثما اجتمع اثنـان او ثلاثة باسمي فانا أكون هناك فيما بينهم (مت ١٨ : ٢٠)

اذا صنعتَ صدقةً لا تعلم شمالك ما تصنع يمينُك لتكون صدقتك في خفيةٍ وابوكم الذي يرى في الخفية هو يجازيك (مت ٦ : ٤–٥) = ارملة فقيرة ألقت فلسَين . . انَّ هذه قد القت أكثر من كلّ الذين القوا في الخزانة (مر ١٢ : ٤٣–٤٤)

كلّ من ترك بيتاً او اخوةً . . . لاجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الابديَّة (مت ١٩ : ٢٩)

من سقى احد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط . . . فالحقَّ اقول لكم انهُ لا يضيع اجرهُ (مت ١٠ : ٤٢)

كلّ من رفع نفسهُ اتَّضع ومن وضع نفسهُ ارتفع (لو ١٤ : ١١) = حطَّ المقتدرين عن الكراسي ورفع المتواضعين (لو ١ : ٥٢)

اذا دُعيتَ فامضِ واتّكئ في آخر موضع (لو ١٤ : ٧)

من اراد ان يكون فيكم عظيماً يكون

صلّوا ايها الناس في بيوتكم فافضل صلاة صلاة المرء في بيتهِ الّا المكتوبة (جس ٦٦)

مَن طلب شيئاً وجدَّ وجدَ . مَن قرع الباب ولجَّ ولَجَ (من ١٣٠) = سَلْ تُعطَ (جس ٨٥)

لو انَّكم تتوكّلون على الله حقَّ توكّلهِ لرزقكم كما تُرزق الطير تغدو خِماصاً وتروح بِطاناً (جس ٣٦٨)

اذا تألّم احد او تألّم اخوهُ فليقُل : ربّنـا انت في السماء ليتقدَّس اسمك ليكن ملكوتك في السماء والارض (حديث ابي داوُد ١ : ١٠١)

عليكم بالجماعة فانَّ الله لن يجمع امّتي الّا على هدًى (جس ١٣) = يدُ الله مع الجماعة (الثعالبي الاعجاز والايجاز ٦–٧)

في صحيح البخاري (١ : ٧١) يعدُّ الله يوم الدين مَن عمل الصدقة سرًّا بحيث لا تعلم يده الشمال ما فعلتهُ يمينهُ = افضل الصدقة سرٌّ الى فقير وجُهد من مُقلّ (جس ٦٥) = صدقة السرّ تطفئ غضب الله (الاعجاز والايجاز للثعالبي ٦–٧) = من كنوز البرّ كتمان الصدقة (جس ١٧٠)

انَّ الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنةً يُعطى عليها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة (جس ٩٦)

من سقى عطشاناً فأرواهُ فُتح لهُ بـاب الجنَّة (من ٤ ١)

من تكبَّر وضعهُ الله (من ١٥١) = من تواضع لله رفعهُ ومن تجبَّر قصمهُ (جس ٤١٤) = التواضع لا يزيد العبد (ويروى : العالم) الّا رفعةً فتواضعوا يرفعكم (جس ١٧٧)

انَّ من التواضع الرضى بالدون من شرف المجالس (جس ٤٣)

سيّد القوم خادمهم (جس ٢٤٤ من ٨٦)

لكم خادمًا ومن اراد ان يصير فيكم الاوّل يكون عبدًا للجميع (مر ١٠ : ٤٣–٤٤)

انهُ لأسهل ان يدخل الجمل في ثقب الابرة من ان يدخل غنيٌّ ملكوت السماوات (مت ١٩ : ٢٤)

في اصحابي اثنا عشر منافقًا منهم ثمانية لا يدخلون الجنَّة حتى يلج الجمل في سمّ الابرة (جس ٣٠١) = وفي سورة الاعراف ٣٨: لا يدخلون الجنَّة حتى يلج الجمل من سمّ الخياط

ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الصبيان فلن تدخلوا ملكوت السماوات (مت ١٨ : ٣)

لا يدخلنَّ الجنَّة الَّا مُرْد (من ٧٨)

لا تُعطوا القدس للكلاب ولا تُلقوا جواهركم قُدَّام الخنازير (مت ٧ : ٦)

لا تطرحوا الدرَّ في افواه الكلاب (جس ٤٦١) =لا تطرحوا الدرَّ تحت ارجل الخنازير (من ١٩٣ وفي التمثيل للثعالبيّ)

من احبَّ نفسهُ فهو يهلكها ومن ابغض نفسهُ في هذا العالم فانَّهُ يحفظها للحياة الابديَّة (يو ١٢ : ٢٥)

من أحبَّ دنياهُ اضرَّ بآخرتهِ ومن احبَّ آخرتَهُ اضرَّ بدنياهُ فآثروا ما بقي على ما يفنى (جس ٤٠٨)

اكنزوا لكم كنوزًا في السماء (مت٦ : ٢٠)

من يتزوَّد في الدنيا ينفعهُ في الآخرة (جس ٤٣٦)

انَّما يتكلَّم الفم من فضل ما في القلب (مت ١٢ : ٣٤)

من احبَّ شيئًا أكثر من ذكرهِ (جس ٤٠٨ من ١٤٦)

ذُكر في لوقا (١٥ : ٤–١٠) فرح واجد الخروف الضالّ والدرهم المفقود ثم قال الربّ : هكذا يكون في السماء فرح بخاطىء يتوب اكثر ممَّا يكون بتسعة وتسعين صديقًا لا يحتاجون الى توبة

الله افرحُ بتوبة عبدهِ من العقيم الوالد ومن الضالّ الواجد ومن الظمآن الوارد (جس ٢٥٧)

الويل لكم ايها الضاحكون الآن انكم ستنوحون وتبكون (لو ٦ : ٢٥)

مَنْ أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكي (جس ٤١٠)

بصبركم تقتنون انفسكم (لو٢١ : ١٩) = الذي يصبر الى المنتهى فذلك يخلص (مت ١٠ : ٢٢)

النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وانَّ من العسر يسرًا (جس ٤٤٤) = الصبر مفتاح الفرج (من ٩٣)

الرجل الصالح من كنزهِ الصالح يُخرج الصالحات والرجل الشرّير من كنزهِ الشرّير يُخرج الشرور (مت ١٢ : ٣٥)

الرجل الصالح يأتي بالخبر الصالح والرجل السوء يأتي بالخبر السوء (جس ٢٣٢)

قال لهم: انَّ موسى لاجل قساوة قلوبكم أذن لكم ان تُطلّقوا نساءكم (مت ١٩ : ٨)

مـا أحلَّ الله شيئًا ابغض اليهِ من الطلاق (جس ٢٨٤ من ١٣٩)

انَّ كل من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها في قلبهِ (مت ٥ : ٢٦)

زنا العينين النظر (جس ٢٣٤) = ما من مسلم ينظر الى امرأة اوَّل دفعة ثمَّ يغضُّ بصرهُ الَّا احدث الله تعالى لهُ عبادةً يجد حلاوتها في قلبهِ (جس ٣٩٩)

الويل لكم أيها الكتبة والفرّيسيُّون المراءون فانكم تشيّدون قبور الانبياء وتزّينون مدافن الصديقين ... تشهدون على انفسكم انكم قتلة الانبياء (مت ٢٣ : ٢٩)

لعن الله اليهود . . . اتخذوا قبور انبيائهم مساجد (خ ٢ : ٨٣) = قاتل الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد (جس ٣٠٤)

الويل لكم أيها الكتبة والفرّيسيون انكم تشبهون القبور المجصَّصة التي تُرى للناس من خارجها حسنةً وهي من داخلها مملوَّة عظامَ اموات وكلَّ نجاسة (مت ٢٣ : ٢٧)

مثل الفاجر كمثل القبر المشرَّف المجصَّص يعجب من رآهُ وجوفهُ ممتلىء نتنًا (جس ٤٠١)

اكبَّ يسوع يخطُّ باصبعهِ على الارض. . . . فلماَّ سمعوا طفقوا يخرجون واحدًا واحدًا (يو ٨ : ٦-٩)

قد كان نبيٌّ يخطُّ فمن وافق خطَّهُ ذلك الخطَّ علم (من ١٠٨)

انَّ في انطلاقي خيرًا لكم (يو ١٦ : ٧)

حياتي خير لكم ومماتي خير لكم (من ٦٩) = حياتي خير لكم . . . فاذا انا متُّ كانت وفاتي خيرًا لكم (جس ١٩٧)

اقول لكم انَّ الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولادًا لابرهيم (مت ٣ : ٨)

لو انَّ الماء الذي يكوَّن منهُ الولد اهرقتهُ على صخرة لأخرج الله منها ولدًا (جس ٣٦٧ من ١٦٣)

ان كنت تريد ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا (مت ١٩ : ١٧)

من اشتاق الى الجنَّة سابَقَ الى الخيرات (جس ١٤٨)

كثيرون من الاوَّلين يكونون آخرين ومن الآخرين يكونون اولين (مت ١٩ : ٣٠)

في صحيح البخاري عن ابي هُريرة : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة

الفصل العشرون في متَّى (١-١٦) يذكر الفعلة الذين اخذوا جميعهم دينارًا مع اختلاف ساعات شغلهم

روى ذلك البخاري في صحيحهِ (١ : ١٣٩ و ٣ : ٤٦-٤٧) . . . أُوتي اهل التوراة فعملوا حتَّى نصف النهار فأعطوا قيراطًا قيراطًا . ثمَّ أُوتي اهل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر فأعطوا قيراطًا قيراطًا . ثمَّ اوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين الخ

واخرج يسوع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل (مت ٢١ : ١٢)

نهى عن الشري والبيع في المسجد (جس ٤٤٥)

امَّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الَّا الآب (مر ١٣ : ٣٢)

أُوتيتُ مفاتيح كلّ شيء الَّا الخمس انَّ الله عنده علم الساعة.. (جس١٤٤) = يسألك الناس عن الساعة قُل انَّما علمُها عند الله وما يدريك لعلّ الساعة تكون قريبا (سورة الاحزاب ٣٣ : ٦٣)

انَّها ستأتي ساعة يسمع فيها جميع من في القبور صوت ابن الله فيخرج الذين عملوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيّئات الى قيامة الدينونة (يو ٥ : ٢٨)

انَّ الساعه آتية لا ريب فيها وانَّ الله يبعث من في القبور . . . المُلْكُ يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ في جنَّات النعيم والذين كفروا . . . فأولئك لهم عذاب مهين (سورة الحجّ ٧ و ٥٥)

انَّ الآب لا يدين احدًا بل اعطى الحكم كلَّهُ للابن(يو ٥ : ٢٢)=وحينئذ يشاهدون ابن البشر آتيًا علىسحابة بقوَّة وجلال عظيمين الخ (لو ٢١ : ٢٧)= انَّاجميعًا سنقف امام مِنبَر المسيح (رو ١٤ : ١٠)

ليهبطنَّ عيسى بن مريم حَكَمًا وإماما مُقْسطًا (جس ٣٨٢) = كيف انتم اذا نزل ابنُ مريم فيكم وإمامكم منكم (جس ٣٣٦) = ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق (؟ جس ٤٦٨)

ستقوم أُمَّة على امة ومملكة على مملكة وتكون زلازل شديدة . . . واوبئة ومجاعات وتكون من السماء مخاوف وعلامات عظيمة الخ (لو ٢١ : ١٠–١١)

في صحيح البخاري (٢ : ٢١) : لا تقوم الساعة حتى تُقبَض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج . . .

اعمال الرسل (عم)

اجاب الرسل وبطرس وقالوا انَّ الله أحقّ من الناس بأن يُطاع (عم ٥ : ٢٩)

الحديث

طاعة الامام حقٌّ ما لم يأمر بمعصية الله (جس ٣٦٨) = مَن امركم من الولاة بمعصية الله فلا تطيعوهُ (جس ٤١٦) = لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (من ١٨٤)

رسائل القديس بولس

اعلموا وافهموا انهُ ليس للزاني اوالنجس او البخيل الذي انَّما هو عابد وثن ميراثٌ في ملكوت السماوات (افس ٥ : ٥)=أما تعلمون انَّ الأثمة لا يرثون ملكوت الله (١ كو٦ : ٩)

الحديث

انَّ الجنَّة لا تحلُّ لعاصٍ (من ٣٦) = لا يدخل الجنَّة لا حبٌّ ولا خائن ولا منَّان (جس ٤٦٦)

انَّهُ بالقلب يؤمن الانسان للبرّ ويعترف للخلاص (رو ١٠ : ١٠)

الايمان اقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالاركان (جس ١٦٣) = الايمان معرفة

بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان (من٥٥)

كل انسان كاذب (رو ٣ : ٤) وكذلك في المزامير (١١٥ : ١١) . وفي الجامعة (٧ : ٢١) : ليس من صدّيق على الارض يصنع الخير بغير ان يخطأ

كلّ ابن آدم خطّاء (جس ١١٤)

روّض نفسك على التقوى . . . انّ التقوى تنفع في كلّ شيء ولها موعد الحياة الحاضرة والمستقبلة (١ تيم ٤ : ٧-٨)

عليك بتقوى الله فانّها جماع كلّ خير (جس ٢٨٠ من ٩٨) = اوصيك بتقوى الله فانّهُ رأس كلّ شيء (جس ١٤٥)

لتخضع كلّ نفس للسلاطين العالية . . فمن يُقاوم السلطان يعاند ترتيب الله (رو ١٣ : ٢)

السلطان ظلّ الله في الارض فمن اكرمَهُ اكرمهُ الله ومن اهانهُ اهانهُ الله (جس ٢٤٧)

ما لم ترَهُ عين ولا سمعت بهِ أُذن ولا خطر على قلب بشر ما اعدّهُ الله للذين يحبّونهُ (١ كور ٢ : ٩)

انّ في الجنّة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد (جس ١٣٠) = قال الله تعالى اعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت الخ (جس ٣٠٥)

ان بشّرناكم نحن او ملاك من السماء بخلاف ما بشّرناكم بهِ فليكن مبسلًا (غلاطية ١ : ٨)

لو نزل موسى فاتّبعتموهُ وتركتموني لضللتم (جس ٢٧١)

ذُكر (في ١ كور ١١ : ٢٣-٣٠) اكرام الربّ للخبز اذ كرّسهُ وجعلهُ قرباناً

أكرموا الخبز فانّ الله اكرمهُ فمن اكرم الخبز اكرمهُ الله = اكرموا الخبز فانّ الله انزلهُ من بركات السماء واخرجهُ من بركات الارض (جس ٧٢)

هو (الله) يرحم من يشاء ويقسّي من يشاء (رو ٩ : ١٨)

يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء (سورة المدّثر ٣٤)

الذي يأكل فللربّ يأكل لانهُ يشكر الله والذي لا يأكل فللربّ لا يأكل ويشكر الله (رو ١٤ : ٦)

الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر = الطاعم الشاكر لهُ مثل اجر الصائم الصابر (جس ٢٧١)

إعرضْ عن الكلام العالميّ الملتبس بالبدع . . . الذي انتحلهُ قوم فزاغوا عن الايمان (١ تيم ٦ : ٢٠-٢١) = رَجُل البدعة أعرضْ عنهُ (تيطس ٣ : ١٠)

ايّاكم ومحدثات الامور فانّ كلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلال (ارشاد الطالبين ص٨)

لا بُدَّ ان يظهر انسان الخطيئة ابن الهلاك . . ويُري من نفسهِ انهُ هو الله . . . فيهلكهُ الربّ يسوع بنفس فمهِ (تس٢ : ٣-٨)

لم يسلّط على الدجّال الّا عيسى بن مريم (جس ٢٦٥) = ليقتلنّ ابنُ مريم الدجّالَ بباب لدّ (جس ٢٨١)

رسائل يعقوب الرسول (يع)

الايمان ان كان بغير اعمال فهو ميّت في ذاتهِ (يع ٢ : ١٥ و١٦)

اللسان نار وعالم من الاثم . . . هو شرٌّ لا ينضبط مملوء سمًّا مُميتًا (يع ٣ : ٦–٨) = ان كان احد لا يزلُّ في الكلام فهو رجل كامل (يع ٣ : ٢)

انَّ محبَّة العالم عداوة لله فمن آثر ان يكون حبيبًا للعالم فقد صار عدوًّا لله (يع ٤ : ٤) — حبّ المال اصل كل شرّ (١ تيم ٦ : ١٠)

صلاة الايمان تخلّص المريض والربّ يُنهضهُ (يع ٥ : ١٥)

الحديث

الايمان قول وعمل (جس ٥٦) = الايمان والعمل اخوان . . . لا يقبل الله احدهما الَّا مع صاحبهِ (جس ١٦٣)

اكثر الناس ذنوبًا يوم القيامة اكثرهم كلامًا = اكثر خطايا ابن آدم في لسانهِ (جس ٧٠) = احبُّ الاعمال الى الله حفظ اللسان (جس ١٥ من ٦)

حبُّ الدنيا رأس كلّ خطيئة (جس ١٩٢ من ٦٨)

قمْ فصلِّ انّ في الصلاة شفاء (جس ١١٠)

رسائل بطرس الرسول (بط)

في ايَّام نوح بُني التابوت الذي خَلَص فيهِ نفرٌ قليل (بط ٣ : ٢٠)

اكرموا الملك . . اخضعوا لسادتكم (١ بط ٢ : ١٧–١٨)

الحديث

انّ مثَل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك (جس ١٢٧ و٤٠٢)

بجّلوا المشايخ (من ٥٦)

رسائل يوحنا الرسول (يو)

نحن ابناء الله . . . نعلم انهُ اذا ظهر . . سنشابههُ كما هو (١ يو ٣ : ٢)

لا نكن محبّتكم بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحقّ (١ يو ٣ : ٨) = وفي انجيلهِ (١٧ : ٢٣) : مَن يحبّني يحفظ كلمتي

من يعمل الخطيئة فهو من ابليس . . . ولهذا ظهر ابنُ الله لينقض اعمال ابليس (١ يو ٣ : ٨)

الحديث

انكم سترَون ربّكم يوم القيامة عيانًا (من ٤٥)

من احبّ الله حفظ وصيّتهُ—قال الشاعر:

اذا نُدبوا للقول قالوا فأحسنوا
ولكنَّ حُسْن القول خالفهُ الفعلُ

كلّ بني آدم يطعنهُ الشيطان في جنبيهِ باصبعهِ حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب ليطعنَهُ فطُعن في الحجاب (جس ٣١٩)

كتاب رؤيا يوحنّا الرسول	الحديث
اني كلّ من أُحبُّهُ اوبّخهُ واؤدّبهُ (رؤيا ٣ : ١٩)ومثلهُ في الرسالة الى العبرانيين(١٢ : ٦) وفي سفر الامثال (٣ : ١٢) : انّ الذي يحبُّهُ الربّ يؤدبهُ	اذا احبَّ الله عبدًا ابتلاهُ (جس ٣٢) = اذا اراد الله بقوم خيرًا ابتلاهم (من ٨) = انّ عظم الجزاء مع عظم البلاء وانّ الله اذا احبَّ قومًا ابتلاهم (جس ١١٩)
طوبى للاموات الذين يموتون في الربّ . . . لأنّ اعمالهم تابعة لهم (رؤيا ١٤ : ١٣)	انّ ممّا يلحق المؤمن من عملهِ وحسناتهِ من بعد موتهِ علماً نشرَهُ وولدًا صالحًا تركهُ . . وحياتهُ تلحقهُ من بعد موتهِ (جس ٢١٥)
(السماء) لا يدخلها شيء نجس ولا فاعل الرجس (رؤيا ٢١ : ٣٦)	تنظّفوا فانهُ لا يدخل الجنّة الّا نظيف (جس ١٠٢ و ١٦٣)
انا الاوّل والآخر كنتُ ميتاً وها انا حيّ . . . ولي مفاتيح الموت والجحيم (رؤيا ١ : ١٨) = انا الألف والياء البداءة والنهاية (١ : ٨)	انّما بُعثتُ فاتحًا وخاتمًا (جس ١٣٤) = أُعطيتُ فواتح الكلام وجوامعهُ وخواتمهُ (جس ٦١) = كنتُ اوّل الناس في الخَلْق وآخرهم في البعث (من ١١٥) : انّي أُعطيتُ مفاتيح خزائن الارض (بخاري ٢ : ٨٦)

الفصل السابع

في الخطابة النصرانيّة بين عرب الجاهليّة

بعد كلامنا عن المفردات النصرانيّة في لغة عرب الجاهليّة واعلامها وامثالها وحكمها يقتضي ان نبيّن نفوذ هذا الدين بينهم بما هو ادلّ على آدابهم . وليس اكثر دلالةً على ذلك من فنّ الخطابة

قد افتخر العرب في كلّ اجيالهم بمقدرتهم على البلاغة والتبسُّط في الكلام وقوّة العارضة حتّى انّهم لجهلهم آداب ما سواهم من الشعوب كاليونان والرومان نسبوا الى قومهم الامتياز بفنّ الخطابة دون سواهم . ومهما كان من الصحّة في هذا الادّعاء لا مراء في انّهم عُرفوا في كلّ آن بذلاقة اللسان وطلاقة الكلام

فيا ترى ماذا كان مبلغ نصارى العرب في هذا الفنّ وهل بقي شيءٌ من آثارهم المنبئ ببلاغتهم الخطابيّة بين اهل جلدتهم

فقبل الجواب على هذا السؤال لا بُدَّ من تقديم ملحوظَين: الاوّل انَّ ما بلغنا من خُطَب عرب الجاهليَّة لم يُجمَع الّا بعد الهجرة بعدَّة مديدة فدوَّنهُ الرواة في القرن الثاني للاسلام. فمن البديهي انَّ كثيرًا من تلك الآثار الخطابيَّة قد ضاع بطول الزمان وآفة النسيان او لم يبلغنا منهُ الّا نُتَف قليلة لا تكفي لأن نبني عليها الحكم الصواب في مقدرة نصارى العرب على القاء الخطب .

الملحوظ الاخر انَّ الرواة الذين رووا تلك المقاطيع كانوا من اهل الاسلام لا يهمُّهم كثيرًا الاشارة الى دين خطباء العرب في الجاهليَّة وكلُّهم في مظنَّتهم من اهل الشرك لا يختلف في عرفهم النصرانيّ عن اليهودي او الوثني

فلم يبقَ لكشف القناع عن الحقيقة الّا ان نجري على الاستقراء والدلائل التي سبق لنا جمعُها في الفصول السابقة للتمييز بين النصارى والمشركين واثبات ما يمكن استخلاصهُ لبيان علمهم بالخطابة فنقول :

معلوم انَّ الخطابة على اختلاف اغراضها من تثبيت ومشورة ومشاجرة على قسمين كبيرين دينيَّة ومدنيَّة . وفي كليهما آثار باقية تدلُّ على امتياز النصارى فيهما على عهد الجاهليَّة وأوّل ظهور الاسلام

١ الخطابة الدينيّة بين نصارى عرب الجاهليّة

بيَّنا في فصول مطوَّلة سبقت لنا في القسم الاوّل من هذا الكتاب كم كانت النصرانيَّة منتشرة في انحاء العرب فتتبَّعنا كلّ جهات جزيرتهم واثبتنا قولنا استنادًا الى المؤرخين القدماء من يونان ورومان وسريان معاصرين ثم عرب كتبوا بعد الاسلام بقليل . هذا فضلًا عن الآثار الحجريَّة في الحميريَّة والآثار الفنيَّة المختلفة . فان كان الامر كذلك يلزم القول بانَّ الخطابة الدينيَّة كانت شائعة بين تبعتها لأنَّ الديانة النصرانيَّة تنتشر عادةً بالتعليم الشفاهي اذ قال السيّد المسيح لرسله (متى ٢٨ : ١٩ — ٢٠) : « اذهبوا وتلمذوا كلّ الامم . . . وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتُكم بهِ» فلا يجوز استثناء المبشرين بالنصرانيَّة بين العرب من هذا الحكم . ولا سيَّما انَّهم كانوا شيَّدوا بينهم كنائس عديدة واقاموا لهم اساقفة وكهنة وشمامسة كما قرَّرنا ذلك بالشواهد . وهؤلاء كلّهم في مقدَّمة واجباتهم الارشاد والخطابة في عقائد الدين

ليرسخوها في عقول رعاياهم ويثبتوها للخوارج وللطالبين التديّن بالنصرانيّة . فليت شعري ماذا بقي من تلك الآثار الطيبة والخطب او الميامر . ولا ننكر انّ اللغة الكنسيّة كانت في بعض جهات العرب الكلدانيّة او اليونانيّة الّا انّهُ كان للغة العربيّة حصّتها ايضا في النواحي التي كان اهلها من اصل عربي محض كاليمن والحجاز وبين عرب المدر الساكنين في الخيم حيث كان يسكن بينهم اساقفة يتنقّلون معهم في مناجعهم كما صرّحت الآثار الكنسيّة والمجامع الدينيّة بذلك ودوّنّا اقوالهم

وممّا عرّض الى الفقدان تلك البقايا الجليلة انّ الخطّ العربيّ الذي علّمهُ النصارى لاخوانهم العرب كما أيدنا ذلك بالشواهد لم يكن بعد انتشر انتشارًا كافيًا ليحفظ ذلك القلمُ الحديث كنوزهم الادبيّة . ولمّا جاء الاسلام اتّجهت الافكار الى الدين الجديد وجعلوا القرآن الكلّ في الكلّ لفوز ذويهِ بقبائل العرب

هذا مجمَل مـا يقال عن الخطابة الدينيّة النصرانيّة ولكنّنا لم نيأس من التقاط بعض الحبوب من تلك السنابل المحصودة وبعض الفتات من تلك الموائد الفاخرة . فمن ذلك خطيبٌ دينيّ شاع اسمهُ في بطون بلاد العرب وانجادها اجمع كلُّ اهـل البادية من حضر ومدر على انهُ كان آية في البلاغة الخطابيّة نريد بهِ قسّ بن ساعدة الذي يدلُّ مجرّد اسمهِ على نصرانيّتهِ وضُرب بهِ المثل في اساليب البيان . ولو لم يكن في جزيرة العرب غير قسّ اشتهر في البلاغة والخطابة لكفى النصارى بهِ فخرًا . اما ما يروى عنهُ تأييدًا لهذه السمعة العظيمة فأسطُر قليلة نقلناها في كتابنا شعراء النصرانيّة (ص ٢١٢ — ٢١٣) وهناك اخبار رويناها على علّاتها تثبت رفعة مقامهِ بين العرب لكنها لا تشفي عليلًا ولا تروي غليلا . وكذلك اخبارهُ المرويّة عن كتبة العرب فانّها اقربُ الى اساطير الاوّلين وخرافات الاقدمين فيقول الرواة هناك انهُ ادرك زمن بقايا الحواريّين ورأسهم سمعان الصفا وانهُ عاش ستّمائة بل سبعمائة سنة (ص ٢١٦) وانّهُ بشّر بمجيء نبي المسلمين وانّ محمّدا رآهُ في سوق عكاظ يخطب على جمَل لهُ أورَق (راجع الشرشي ٢ : ٢٧٥) واشياء أخرى اقرب الى الترهـات منها الى صحيح الروايات . ولعلّهم اصابوا بقولهم انّهُ « كان اسقفا على نجران وانهُ كان زاهدا في الدنيا يلبس المسوح ويتبع السيّاح على منهاج المسيح » وكذلك قولهم انهُ « كان يتّكئ على عصا في خطبهِ » (لا سيفًا كما روى البعض) . فان اساقفة النصارى

يمسكون في ايديهم عكازًا وهم يخطبون · وخلاصة الكلام انَّ قسًا كان خطيباً مصقعاً اثّر كلامهُ البليغ في قلوب العرب حتّى نسبوا اليه من الاقوال والاعمال ما يردّهُ النقد الصحيح ولا يقبلهُ الذوق السليم . وها نحن نروي ثلث خطب من خطبه فاتنا ذكرُها في شعراء النصرانيّة لا تأييدًا لصحّتها بل اعلانًا بما تناقلهُ العرب عن قسّ غثًا كان او سميناً وهذه الخطب وجدناها في التذكرة الحمدونيَّة (نسخة باريس الخطّية ص٧ 84)

أيها الناس الحِلم شرف والصبر ظفر والجود سرور والمعرفة كنز والجهل سفَه والعجزُ ذلّة والحرب خُدعَة والظفر دُوَل والايّام عِبَر والمرء منسوب الى فعلهِ مأخوذ بعملهِ فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد واستشعروا الجدّ تفوزوا بهِ ودَعوا الفضول يجاريكم السفهاء وأكرموا الجلوس يعمر ناديكم وحاموا عن الحقيقة يُرغَب في جواركم وأنصفوا مَن آتفكم يرفق بكم وعليكم بمحاسن الاخلاق فانها رفعة وإيّاكم والاخلاق الدنيّة فانها تضع الشرف وتهدم المجد

(خطبة) ايها الناس شارفوا بابصاركم في كرّ الجديدين ثم أرجعوها كليلةً عن بلوغ الامل فان الماضي عظة للباقي ولا تجعلوا الغرور سبيل العجز فتنقطع حجتكم في موقف الله سائلكم .فيه ومحاسبكم على ما اسلفتم . ايها الناس امس شاهد فاحذروهُ واليوم مؤدب فاعرفوهُ وغدًا رسول فاكرموهُ وكونوا على حَذَر من هجوم القدَر فان اعمالكم تطلق ابدانكم والصراط ميدان يكثر فيه العثار فالسالم ناجٍ والعاثرُ في النار

(خطبة) اتقوا عباد الله وانتم في مَهل بادروا الأجل ولا يغرّنّكمُ الامل فكأن بالموت وقد نزل فشغلت المرءَ شواغلُهُ وتركت عنهُ بواطلَهُ وهيأت اكفانهُ وبكاهُ جيرانهُ وصار الى المنزل الخالي بجسده البالي قد فارق الرفاهية وعاين الداهية فوجهُهُ في التراب عفير وهو الى ما قدَّم فقير

هذه كما ترى حكمٌ اكثر منها خطب . والعجب انّ الكتبة السريان المعاصرين الذين استفدنا من تواريخهم عدة اخبار عن العرب لم يأتوا بذكر قس بن ساعدة

على أنهم ذكروا خطيباً آخر وكاتبا بليغا اشتهر بالكوفة في القرن الاوّل من الاسلام وكان اسقفاً على نصارى الكوفة وعاقولاء يُدعى جرجس اسقف العرب . فهذا كان متعمّقاً في درس كتب اليونان ونقل قسماً منها كاورغنون ارسطوطاليس وكتب شروحاً على الاسفار المقدّسة ولهُ عدّة خطب وميامر لم تزل بين مخطوطات عواصم اوربّة كلندن وباريس ورومية يتّضح منها ما اتّصف بهِ جرجس اسقف العرب من العلم والبلاغة في الخطب الدينيّة . بيد انَّ هذه الآثار كلّها لم تبلغ الينا الّا بالسريانيّة . ومن المحتمل انّ عربيّتها ضاعت فبقيت ترجمتها السريانيّة . كانت وفاة

جرجس المذكور في اواخر القرن الاوَّل للهجرة

وممَّن يجب نَظْمهم في سلك خطباء النصرانيَّة اولئك السيَّاح والرهبان الذين تكرَّر ذكرهم في الشعر العربيّ المرويّ سابقاً فأنهم لم ينقطعوا فقط الى الصلاة والزهد بل كثيراً ما كانوا يختلطون بالعرب ويدعونهم الى نبذ اديانهم الباطلة ويرشدونهم الى الصلاح بالخطب والمواعظ. كما ورد في تراجم البعض منهم كالقديس هيلاريون والقديس افتيموس بين عرب الشام والقديس جرجنسيوس رسول عرب اليمن وموسى رسول الغسانيين وغيرهم كثيرين سبق ذكرهم . فينبغي اذن القول بان الخطابة النصرانيَّة الدينيَّة قد ازهرت بين العرب كما ازهرت بين غيرهم من الامم وان لم تبلغ الينا صورتها بسبب آفات الزمان وكوارث الحدثان

٢ الخطابة المدنية بين نصارى الجاهلية

ان كانت الآثار الدينيَّة من خطب نصارى الجاهليّة الباقية الى عهدنا نزرةً قليلة فكان أملنا في جمع مآثرهم المدنيَّة اعظم لكلف الرواة بما هو اقرب الى اخلاقهم وافكارهم . الَّا أنَّهم ما رووهُ منها لا يكاد يستحقُّ الذكر او هو فصول حكميَّة ليست خطباً وُضعت للإقناع والإقناع كما لا يُخفى هو غاية الخطيب ومحور الخطابة

ولكن اذا كانت الخطب المروية لا يكاد يُعبأ بها انَّا نجد في مآثر العرب ما يثبت شيوع الخطابة بين القبائل النصرانيَّة . واوَّل هذه القبائل واقدمها قبيلة اياد التي روينا اخبارها واثبتنا تنصرُّهـا (ص ٧٥ — ٧٦ و ١٢٤) عن عدَّة كَتَبة . ومنها كان قس بن ساعدة الاياديّ المارّ ذكرهُ . فاياد هذه نسب اليها قدماء العرب البراعة في الخطابة لنا على ذلك شاهد حسن في مديح الشعراء لاياد وذكرهم لخطبائها منها قول الشاعر في وصف خطبهم :

يَرْمون بالخطب الطوال وتارةً وَحْيَ الملاحظ خيفةَ الرُّقباء

وصفهم بتطبيق خطبهم على مقتضى الحال تارةَ بالطول والتصريح وتارة بالوجازة والكناية والاشارة . وقال احدهم يرثي ابا دؤاد بن جرير الايادي :

نعى ابنَ جرير جاهلٌ بمُصابهِ فسمّ ترارًا بالبُكا والتحوُّبِ
نعاهُ لنا كالليث يحمي عرينَهُ وكالبدر يُغْشي ضوءُهُ كلَّ كوكبِ

واضرَبُ من حدّ السنان لسانُهُ ... وامضى من السيف الحُسام المشطَّبِ
زعيمُ تزارٍ كلّها وخطيبُها ... اذا قال طأطا رأسَهُ كلُّ مُشغبِ
سليلُ قرومٍ سادةٍ ثمَّ قالةٍ ... يبزُّون يوم الجمع اهلَ المُحَصَّبِ
كقسّ ايادٍ او لقيط بن معبدٍ ... وعذرةَ والمِنطيق زيدِ بن جندُبِ

فأثنى الشاعر على ابي دؤاد الايادي واطرأ بلاغتهُ في الخطـابة ثمَّ ذكر اربعة غيرهُ كلُّهم خُطباء وكلهم من اياد . ذكر لقيطَ بن يَعمُر الايادي الذي انذر قومهُ غزوَ كسرى لهم وارسل اليهم قصيدتهُ العينيَّة التي هي خطبةٌ بليغة حاكت في صدورهم فنجوا من عدوّهم . ومنها قولهُ :

أبلغ ايادًا وخلِّل في سُراتهم ... انّي أرى الرأيَ إن لم أُعصَ قد نَصَعا
يا لَهفَ نفسيَ ان كانت اموركمُ ... شتّى وأُحكمَ امرُ الناسِ فاجتمعا
ألا تخافون قوماً لا آبا لكمُ ... امسوا اليكم كامثالِ الدَّبى سُرُعا
ما لي اراكمْ نياماً في بُلَهنيَةٍ ... وقد ترَونَ شهاب الحربِ قد سطعا
صونوا جيادَكمُ واجلوا سيوفكمُ ... وجدّدوا للقسيّ النَّبلَ والشُّرُعا
يا قومُ لا تأمنوا ان كنتمُ غُيُرًا ... على نسائكمُ كسرى وما جمعا
وقلّدوا امركم للهِ درّكمُ ... رحبَ الذراعِ بأمر الحرب مُضطلعا
لقد بذلتُ لكم نُصحي بلا دَخَلٍ ... فاستيقظوا انّ خيرَ العلم ما نفعا
هذا كتابي اليكم والنذيرُ لكم ... لمن رأى رأيَهُ منكم ومَن سَمِعا

وهي طويلة بليغة . وفيها كما ترى كلّ صفات الخطابة الحماسيَّة . وقد ذكر في مطلعها بيَع قومهِ النصارى

اما الخطيب الثاني المذكور فهو عُذرة بن حجيرة الخطيب الايادي الذي وصفهُ الشاعر وشبَّهُ بقس بن ساعدة بقولهِ :

فانَّك ضحاكٌ الى كل صاحبٍ ... وانطقُ من قسٍ غداةَ عكاظها

لكنَّ آثارهُ الخطابيَّة مجهولة . ومثلهُ زيد بن جُندب المنعوت بالمِنطيق ابي الخطيب المفوَّه البليغ فانَّ خطبهُ لم تبلغ الى يدنا . ويروى عنهُ انهُ كان خطيباً وشاعرا معاً

وكما اشتهرت اياد في الخطابة بين قبائل العرب كذلك قرنوا بها قبيلة تميم وهي ايضاً من القبائل التي غلبت عليها النصرانيَّة كما دلّت اليهِ كتبة العرب (راجع الصفحة ١٢٦ من كتابنا) . فمن خُطبائهم اكثم بن صيفي بن رباح التميمي . قال ابن نباتة في كتابهِ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون (ص ١٢) انهُ « اشهر حكّام

العرب في الجاهليَّة وحكمائهم وخطبائهم * وقد جمعوا من كلامهِ حكماً وامثالاً ووصايا لقومهِ منها قولهُ :

يا بني تميم لا يفوتنَّكم وعظي ان فاتكم الدهرُ بي . يا بني تميم إن مَصارع الالباب تحت ظلال الطمع ومَن سلك الجدَّ أمن العثار . ولن يعدم الحسود ان يُتعب فكرهُ ولا يجاوز ضرُّهُ نفسهُ والسكوت عن الاحمق جوابهُ . . . .

ومما رُوي لأكثم خطابةُ لكسرى لمَّا اوفدهُ اليهِ النعمان بن المنذر (اطلب عقد الفريد لابن عبد ربّهِ ١ : ١٢٧) قال :

« انَّ افضل الاشياء أعاليها وافضل الخطباء اصدقها . الصدق منجاة والكذبُ مَهْواة . والشرّ لجاجة والحزمُ مركبٌ صعب والعجز مركبٌ وطيٌ . آفةُ الرأي الهوى والعجزُ مفتاح الفقر وخير الامور الصبر . حسنُ الظنّ ورطة وسوءُ الظنّ عصمة . اصلاح فساد الرعيَّة خير من اصلاح فساد الراعي . مَنْ فسدت بطانتهُ كان كالغاصّ بالماء . شرُّ البلاد بلاد لا امير بها . شرُّ الملوك من خافهُ البريءُ . . . خير الاعوان من لم يُراءِ بالنصيحة . احقُّ الجنود بالنصر من حَسُنَت سريرتُهُ . حسبُك من شرّ سماعهُ »

ومن اقوالهِ ما اوصى بهِ اولادهُ ليبقوا متحدين وضرب لهم مثل السهام المجتمعة :

كونوا جميعاً يا بنيَّ اذا اعترى خَطْبٌ ولا تتفرَّقوا آحادا
تأبى القداحُ اذا اجتمعنَ تكسُّرًا واذا افترقنَ تكسَّرت افرادا

ومن خطباء تميم النصارى حاجب بن زرارة اثنى العرب على بلاغتهِ واوفدهُ النعمان ايضاً الى كسرى فخطب امامهُ مدافعاً عن العرب مستعطفاً لرضاهُ عليهم (العقد الفريد ١ : ١٢٧) :

« وَرى زندُكَ وعلت يدُك وهيبَ سلطانُكَ . انَّ العرب امَّةٌ قد غلظت اكبادُها واستحصدت مرَّتها ومُنعت دَرَّتها . وهي لك وامقةٌ ما تألَّفتَها مسترسلةٌ ما لاينتَها سامعةٌ ما سامحتَها وهي العلقمُ مرارةً وهي الصابُ غضاضةً والعسلُ حلاوةً والماء الزلالُ سلامةً . نحنُ وفودها اليك وألسِنتُها لديك ذمَّتُنا محفوظة واحسابُنا ممنوعةٌ وعشائرنا فينا سامعة مطيعة . أن نَؤُوب لك حامدين خيرًا فلكَ بذلك عموم محمدتنا وأنْ نُذَمَّ لم نخص بالذمّ دونها »

ومن خطباء تميم الذين ذكرهم ايضاً العرب في اواخر الجاهليَّة واوائل الاسلام الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وعدُّوهما مع عطارد بن حاجب من اكابر السادات وبلغاء الخطباء وذكروا دخولهم على نبي الاسلام وكلامهم بحضرتهِ (اطلب الاغاني ٤ :

١٠ — ١٢) وهو لا يدلُّ على كبير امرٍ لا لفظاً ولا معنًى اذ لم يدوّنهُ كاتبٌ وقت القائه وانَّما روي بعد نيّف ومئة سنة . ويصحّ هذا في لساقفة نجران الوافدين على محمَّد كما ذكرهم ابن سعد وصاحب الاغاني وغيرهما . فلا يمكنَّا ان نبدي حكماً في عارضتهم نظراً للقليل المصنوع المروي عنهم . وكذا قل ايضاً عن بقيَّة خطباء العرب الذين اشتهروا بالخطابة فبقيت اسماؤهم وضاع كلامهم . وانَّما ثبت قولنا انَّ الخطابة النصرانيَّة دينيَّةً كانت او مدنيَّةً بلغت في الجاهليَّة مقاماً رفيعاً شهد لهُ التاريخ وان فُقد معظم آثارها

الفصل الثامن

في التاريخ النصرانيّ بين عرب الجاهليَّة

انَّ ما قيل في آثار الخطابة بين نصارى العرب في عهد الجاهليَّة يصحُّ في آثارهم التاريخيَّة فانَّها قليلة جدًا كأن العرب ظلُّوا في جزيرتهم معتزلين عن بقيَّة الشعوب المسيحيَّة لم يعرفوا منها شيئاً . وليس الامر كذلك كما سترى وانَّما سبب ندرة هذه الآثر انَّ اهل الجاهليَّة لم يدوّنوا معارفهم في بطون الدفاتر لقلَّة انتشار علم الخطّ بينهم فصحَّ فيهم قول المثل « كلُّ علم ليس في القرطاس ضاع »

ويُضاف الى هذا السبب سببٌ آخر وهو قلَّة اكتراث الرواة المسلمين لتدوينها حين باشروا بجمع آثار الجاهليَّة في القرن الثاني للهجرة . فكان حينئذٍ معظمُ همّتهم ان يرووا ما يسمعونهُ من عرب الحضَر والمدَر من الشعر الجاهليّ والمفردات اللغويَّة والامثال والحكم وما اشبه ذلك . امَّا ما عرفهُ اجدادهم من تاريخ النصرانيَّة فلم يعيروهُ بالًا

على انَّنا لو نقَّبنا في الامر ودقَّقنا النظر في تلك المرويَّات السالمة من تيار الحروب الاسلاميَّة لوجدنا انَّ عرب الجاهليَّة عرفوا اشياء كثيرة من تاريخ النصرانيَّة واثبتوا بذلك شيوعها في ظهرانيهم

١ واوَّل دليل الى قولنا معرفتهم بالاسفار المقدَّسة من العهد القديم ليست

الاوّليَّة فقط الشائعة عند اليهود بل الثـانويّة ايضاً التي وردت في النسخة السّبعينيّة وكان النصارى يعتبرونها كمُنْزَلةٍ بالوحي الالهيّ مثل الاوّليَّة. فمن راجع ما نقلناهُ سابقاً في الفصلين الثاني والرابع من هذا الجزء وما ورد فيهما من اخبار العهد العتيق في شعر اميَّة بن ابي الصلت وعديّ بن زيد وزيد بن عمرو بن نوفل وغيرهم تحقّق انّ عرب الجاهليَّة اطّلعوا بفضل النصرانيَّة على كلّ اخبار التاريخ المقدَّس قبل المسيح

٢ وفي ذينك الفصلين بابٌ آخر يثبت معرفة اهل الجاهليَّة بتاريخ العهد الجديد ايضاً اعني اخبار السيّد المسيح واعمالهُ وانجيلهُ ومجيئهُ في آخر الازمان ليدين العالم. وورد مثل ذلك في القرآن والحديث كما روينا سابقاً. وكلُّهُ يشهد على معرفة العرب بزبدة تاريخي العهد القديم والعهد الجديد معاً

٣ وممَّا يُستفاد من فصولنا السابقة ولاسيَّما ما اوردناهُ من الشعر الجاهليّ انّ العرب قبل الاسلام عرفوا ايضاً حقّ المعرفة: ١ً رُسُلَ المسيح وحواريّيهِ وامَّهُ مريم البتول الطاهرة ويوحنَّا المعمدان السابق امام وجههِ وبعض المبشّرين بهِ في بلادهم من تلاميذهِ. ٢ً كنيسةَ المسيح ونظامها من بطاركة واساقفة وكهنة وشمامسة. ٣ً رُهبانَ النصارى واديرتهم وصوامعهم وقلاليّهم ومناسكهم في اعلى الجبـال ومُسرُجهم المتّقدة ليلًا وعيشتهم الشظفة. ٤ً بِيَع النصارى ومعابدهم وما تمتاز بهِ من هياكل ومحاريب ومنابر ومنارات ومصابيح وصلبانٍ وصُوَرٍ ودُمى ونواقيس. ٥ً أسرار النصارى وخصوصاً المعموديّة والقربان الاقدس والذبيحة الالهيَّة المقدَّسة تحت شكلَي الخبز والخمر. ٦ً اعياد النصارى كالدنح (الغطاس) والسباسب (الشعانين) وخميس العهد والفصح والسلّاق (الصعود). ٧ً عادات النصارى في صومهم وصلواتهم وطوافهم حول الكنائس وحجّهم الى القدس الشريف وملابسهم الخاصَّة. ٨ً امتياز احبارهم وعلمائهم بعلم الكتابة وبنقل المصاحف الدينيَّة من توراة وزبور وانجيل مع تنميقها ووَشْيها بالرسوم وضروب النقوش الملوَّنة. فكلّ هذه المعلومات تقوم مقام سِفرٍ جليل ينبئنا بشيوع التاريخ المسيحيّ بين عرب الجاهليَّة

٤ وقد اورثنا نصارى العرب فوائد تاريخيَّة جمَّة منها ما نُقل عنهم بالتقليد في اقدم التواريخ الاسلاميَّة كالطَّبَري يؤخذ منها خبر دخول النصرانيَّة بين عرب العراق والشام وانتشار الدين المسيحيّ في جهـات اليمن قبل وبعد استيلاء الحبش

عليها . ومنها كتابات حجريَّة رُقمت على الصخور بالقلم المسند الحميريّ فاكتشفها السيَّاح في ايَّامنا واشرنا اليها في مقالاتنا السابقة ومَّا ورد في مضامينها ذكر سدّ مأرب والسيل العرم . ومنها عاديَّات خلَّفتها الامم السالفة كبعض القصور التي ينسبها العرب الى قدماء النصارى وبعض البِيَع مثل كنيسة صنعاء المعروفة قديماً بالقُلَّيس التي صبرت بعض آثارها على آفات الدهر او كمثل كعبة نجران وغير ذلك ممَّا يتَّخذ حجَّة لنسبة المعارف التاريخيَّة وغيرها اليهم

٥ وممَّا وقف عليهِ العرب من اخبار الكنيسة ذكر بعض شهدائها كالقديس جرجس الشهيد الذي شاع بين العرب اسمهُ ومنهم مَن دعاهُ بالخضر . ويشهد على انتشار اكرامهِ في جهاتهم ان اقدم الكنائس النصرانيَّة التي بُنيت على اسمهِ انما شُيِّدت سنة ٣٦٧ في مدينة شقّة من اعمال حوران (راجع المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٣٨٧) وقد تكرَّر اسمهُ في الكتابات اليونانيَّة المكتشفة هناك. ومثلهُ القديسان الشهيدان سرجيوس وباخوس المكرَّمان بين العرب في الرصافة والرقَّة وجهات الفرات. وكان بنو تغلب اتَّخذوا صورة الاوَّل كراية تتقدَّمهم في الحرب (ديوان الاخطل ص ٣٠٩) قال:

لمَّا رأونا والصليبَ طالعاً ومار سرجيسَ وسمّاً ناقعاً
وابصروا راياتنا لوامعا خلَّوا لنا راذانَ والمزارعا

وقد ذكرنا سابقاً انَّ اوَّل اثر من الخطّ العربيّ قد كُتب سنة ٥١٢ للمسيح اي ١١٠ سنوات قبل الهجرة على مشهد القديس سرجيوس في زَبد وصوَّرنا هناك صورتهُ (الجزء الاوَّل ص ٢٠٣—٢٠٤) . والاثر الثاني من الخطّ العربي يرقى الى السنة ٥٦٨ م وُجد في حران من اعمال حوران كُتب على مشهد أُقيم تذكاراً للقديس يوحنَّا المعمدان المكرم هناك

وكذلك اصحاب الكهف وهم شهداء أَفسس الذين رُوي عنهم انَّهم هربوا من وجه المتعصب في عهد دقيوس قيصر فالتجأوا الى كهف اي مغارة وظلّوا فيها نائمين السنين الطوال حتَّى افاقوا من سباتهم باذن الله وصاروا آيةً للقيامة. وقد ورد ذكرهم في القرآن وفي شعر اميَّة بن ابي الصلت كما ورد ذكر اصحاب الاخدود اي شهداء نجران الذين القاهم ملك اليمن اليهودي ذو نوَّاس في أُتون النار (راجع سورة البروج في القرآن) - وذكروا تاريخ حبيب النجَّار زعموا انهُ رافق تلاميذ المسيح

الى انطاكية وساعدهم في نشر دينهِ بين اهلها

٦ امّا التاريخ المَدَنيّ فقد عرف منهُ نصارى العرب نُتَفاً لاسيَّما تاريخ الامم المجاورة للعرب من فرس وحبش ورومان . فمن ذلك ما انشدهُ اميَّة بن ابي الصَّلت في محاربة سيف بن ذي يزن للحبش بمساعدة الفرس وطردهم من جزيرة العرب (راجع في شعراء النصرانيّة لاميّة ص ٢٣١) التي اولها :

ليطلب الوِتْرَ امثالُ ابنِ ذي يَزَنٍ في البحر خيّم للاعداء احوالا

وربَّما ذكروا ملوك الروم باسمهم العام « قيصر » كقول امرئ القيس عند رحلتهِ الى حاضرة ملوك الروم يستنجدهم على قَتَلة ابيهِ :

بكى صاحبي لمَّا رأى الدرب دونهُ وايقَنَ انّا لاحقان بقيصرا
فقلتُ لهُ لا تبكِ عينُك انَّما نحاول ملكاً او نموتَ فنُعْذَرا

وخصُّوا بالذكر بعضهم كمُورِق اي موريقيوس قيصر . قال الكندي يذكر بعض من فتك بهم الدهر (حماسة البحتري ع ٣٨٣)

وأَصبْن أَبرهَةَ الذي سجدَتْ لهُ صُمُّ الفيول صواتنًا لم تَنْطِقِ
وأَحَبْن كسرى وابن كسرى بعدَهُ والمرء قيصرَ وانتَحَيْنَ لمُورِقِ

وكذلك ذكروا منهم هِرَقْل او هِرْقِل . قال لَبِيد (ديوانهُ ص ٣٥) :

غلب الليالي مُلْكَ آلِ محرِّقٍ وكما فَعَلْنَ بتُبَّعٍ وبهِرْقَلِ

امَّا ملوك العجم فقد ذكروا معظم اسماء ملوك سلالتهم الساسانيّة مثل كسرى وسابور وازدشير وهرمز

٧ ومن المرويّات العديدة التي نقلها اوَّل كتبة الاسلام على علّاتها فاثبتوها باسانيدها الى بعض اهل الكتاب من نصارى ويهود ممَّا لا يخلو منهُ تأليف واحد من تآليفهم القديمة وربَّما اشار اليها القرآن او نقل عنها الحديث يظهر انَّهُ شاعت في جزيرة العرب مصنَّفات شتَّى معظمُها لبعض المبتدعين او لكَتَبة مجهولين لا صفة لهم رسميَّة في الكنيسة . وقد بقي منها اشياء في قصص الانبياء للثعلبي وغيره . وفيها الغثّ والسمين . ومن هذه التآليف ما ورد ذكره في الشعر القديم ولا نعلم من امره شيئاً كقول بشر بن ابي خازم وقيل الطرماح في كتاب بني تميم (المفضّليات ص ٦٧٦) :

وجدنا في كتاب بني تميمٍ احقُّ الخيل بالرَّكض المُعارُ

وكانت بعض هذه التآليف مكتوبة بالسريانية او الحبشيّة فوقف على مضامينها

العرب ونقلوا اشياء منها خصوصاً من كتاب « مغارة الكنوز » المنسوب زوراً الى القديس افرام . وكان في هذه الكتب الصحيح والسخيف فلم يفرز العرب العليل من السالم

هذا ما استطعنا استخلاصهُ من الآثار الباقية فهو مع قلَّتهِ شاهد صادق على ما توخَّينا اثباتهُ عن شيوع التاريخ المسيحيّ عند قدماء العرب

الفصل التاسع

التعاليم الفلسفيَّة واللاهوتيَّة بين نصارى الجاهليَّة

اثبتنا في مقدَّمة ابحاثنا عن النصرانيَّة وآدابها في عهد الجاهليَّة انَّ العرب كانوا مشركين كبقيَّة الامم ما خلا الشعب الاسرائيليّ وانَّهم عبدوا الاصنام قبل التاريخ المسيحي وفي القرون الاولى بعدهُ وان اختلف شركهم بعض الاختلاف في جنوب جزيرتهم وشمالها وغربها

امَّا الآثار المتأخرة الباقية من القرن السادس واوائل السابع للمسيح فعلى خلاف ذلك فانَّها الى التوحيد اقربُ منها الى الشرك بل لا تكاد تجد في الشعر الجاهليّ المجموع في ذلك العهد اثرًا للشرك اللهمَّ الَّا بقايا قليلة لا يُعبأ بها

وعندنا انَّ هذا الانقلاب انَّما كان سببهُ شيوع النصرانيَّة في ظهراني العرب كما بيَّنَّا ذلك بالشواهد المتعدّدة في القسم الاوَّل من كتابنا . وان تقصَّينا البحث في ما خلَّفوهُ من الآثار وجدنا فيها من المبادئ الفلسفيَّة والتعاليم اللاهوتيَّة ما هو دليل لامع على قولنا

١ الفلسفة النصرانية في عرب الجاهلية

ليس احدٌ من قرّائنا ينتظر منَّا ان نعدّد لهُ ما وضعهُ نصارى العرب في الجاهليَّة من التآليف الفلسفيَّة فانَّ اهل الجزيرة قبل الاسلام وبعدهُ لم يشتهروا مطلقاً في النظريَّات اذ كان همُّهم الاعظم ان يعيشوا في مواطنهم عيشةً فطريَّةً لا يزعجها ضنك الفكر ولا يخالطها التعمُّق في غوامض الكون . وان قيل لنا ألَا تحصي بين كبار فلاسفة العرب الرئيس ابن سينا والفارابيّ وابن رشد اجبنا انَّهم اعاجم ليسوا عرباً . وان وُجد

بينهم افراد احرزوا لهم ذكرًا في ذلك كالكندي فانَّهُ من باب الشذوذ

لكنَّ الفلسفة لا تظهر فقط في المؤلّفات النظريّة بل ربَّما ظهرت في مطاوي الكلام نثرهِ ونظمهِ حيث تلوح المبادئ التي يجري المرء بموجبها ويرتشد بنورها وذلك خصوصاً في فروعها الثلثة اعني بها علم الاله ثمَّ علم النفس ثمَّ علم الآداب والحقوق وكل ذلك متوفر في آثار الجاهليَّة كما سترى

﴿ ١ علم الاله الحقّ ﴾ يُثبت الفيلسوف بالبراهين العقليَّة وجود الله ووحدانيَّتهُ وخلقهُ للعالم وصفاتهِ الحسنى من قداسة وحكمة وعلم وقدرة وعدل وعناية بالمخلوقات وهذا كلُّهُ تجدهُ في شعراء الجاهليَّة الذين روينا اقوالهم في القسم الثاني (ص١٥٨— ١٦٢) كقول زيد بن عمرو:

الى الله أُهدي مدحتي وثنائيا وقولاً رصيناً لا يني الدهرَ باقيا
الى الملك الاعلى الذي ليس فوقهُ إلهٌ ولا ربٌّ يكون مدانيا
رضيتُ بك اللهمّ ربًّا فلن أُرَى ادينُ الهًا غيرك الله ثانيا

وكقول قس بن ساعدة خطيب العرب :

الحمدُ لله الذي لم يخلقِ الخَلْقَ عَبَثْ

وكقول ورقة بن نوفل :

ادينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أُرى ادينُ لمن لا يسمع الدهرَ واعيا
اقول اذا صلَّيتُ في كل بيعة تباركتَ قد أكثرتُ اسمكَ داعيا

وكقول عبد القيس بن الخُفاف (المفضَّليات ص ٧٥٠ ed. Lyall):

اللهَ فاتّقهِ وأوفِ بنذرهِ واذا حلفت مماريًا فتحلّلِ

وكقول طرفة (شعراء النصرانيَّة ٣١٩):

لتُنْقَبَنْ عنيّ المنيَّة انَّ م الله ليس لحكمهِ حكمُ

وكقول سويد بن ابي كاهل :

إنَّما يرفع اللهُ ومن شاء وضَعْ

وكقول حاتم الطائي :

كُلوا اليوم رزق الإلهِ وأيسروا فانّ على الرحمن رزقكُم غدا

واقوال كثيرة لاميَّة بن ابي الصلت ولا سيَّما داليَّتهُ العجيبة التي اوَّلها :

لك الحمدُ والنعماءُ والفضلُ ربَّنا فلا شيءَ اعلى منك حمدًا وامجدُ

وفيها يقول :

هو الله باري الخلقِ والخلقُ كلُّهُ إماءٌ لهُ طوعا جميعًا واعبدُ

أعجب بها نبيُّ الاسلام فقال لمَّا سمعها من الشريد بن سويد : لقد كاد اميَّة ان يُسلم بشعرهِ (اطلب حياة الحيوان للدميري ٢ : ١٩٥)

فهذه واقوال غيرها كثيرة تثبت انَّ العرب في الجاهليَّة عرفوا الاله الحقيقيّ ولا شكَّ بانَّ هذه المعرفة اتتهم من مبشّرين نصارى سبق لنا ذكرهم في تاريخ النصرانيَّة بين العرب (اطلب القسم الاوَّل)

٢ علم النفس كان لقدماء العرب قبل ان يستنيروا بنور الانجيل اراء باطلة في النفس واصلها ومصيرها فيهيمون بخزاعبهم في كل وادٍ . فلمَّا هداهم الله الى الحقّ عدلوا الى ما هو اقرب الى الصواب فأقرُّوا بخلود النفس وحرَّضوا على تُقى الله وممارسة الاعمال الصالحة واشاروا الى ما ينتظر النفسَ من الحساب يوم الدين فتجازى عن اعمالها ثوابًا او عقابا . وهذا كلُّهُ مجمل ما يُستفاد من التعاليم الفلسفيَّة . فدونك بعض الشواهد على قولنا . اوردنا في شعر عديّ بن زيد (ص ٢٥١) ما قال في تصوير الله الانسان ونفخهِ فيهِ من روحهِ . ولطرَفة قولهُ في عقل الانسان (شعراء النصرانيَّة ص٣١٧) وما خُصَّ بهِ من الادراك :

للفتى عقلٌ يعيشُ بهِ حيث تهدي ساقَهُ قدمُهْ

وقد ميَّزوا بين الروح الخالدة والجسد الفاني كقول ذي الرمَّة مستغيثًا :

يا بارئَ الروحِ من جسمي اذا قُبِضَتْ وفارج الكَرْبِ أَنقذني من النارِ

واشاروا الى وقوف النفس امام الديَّان واداتها الحساب عن اعمالها والى جزائها خيرا او شرا على موجب سلوكها . قال الحارث بن عبَّاد (شعراء النصرانيَّة ٢٧٠) :

كلُّ شيءٍ مصيرُهُ الزوال غير ربي وصالحِ الاعمال

وقال مرة بن ذهل في مراقبة الله لاعمال البشر (فيهِ ص ٢٤٨) :

انَّ الاقوام بالمرصادِ

وقال طرفة (فيه ٣١٧) :

وكيف يرجّي المرء دهرًا مخلّدًا واعمالهُ عمًّا قليلٍ تحاسبهْ

وقال امية بن ابي الصلت (القسم الاول ص ١٦٨) :

يوقف الناس للحساب جميعًا فشقيٌّ معذَّبٌ وسعيدْ

وقال عديّ بن زيد :

أعاذِلَ من تُكتَبْ لهُ النارُ يلقَها كفاحًا ومَنْ يُكتَب لهُ الفوزُ يسعَدِ

ومثالهُ لزهير في معلقتهِ :

فلا تكتُمُنَّ الله ما في صدوركم ليَخفَى ومَهما يُكتَمِ اللهَ يَعلَمِ
يؤخّر فيوضع في كتابٍ فيُدَّخر ليوم الحساب او يعجَّلْ فيُنقَمِ

وللبيد ايضا :

وكلّ امرئٍ يومًا سيُعلَمُ سعيهُ اذا كُشفَت عند الإلهِ المحاصلُ

وكأنّ حاتمًا الطائي (شعراء النصرانية ١٢١) نظم آية الكتاب «من يُعطِ الفقير يقرض الربّ» بقولهِ :

ولكنَّما يبغي بهِ اللهَ وحدَهُ فأعطِ فقد أربحتَ في البيعة الكَسْبا

واقوال عديدة مثلها تنطق بمعرفتهم لاحوال النفس والمعاد . وقد ذكرنا سابقًا (ص ٣٢) كيف ردَّ العلّامة اوريجانس بعض المبتدعين من العرب عن ضلالٍ سقطوا بهِ في امر النفس اذ زعموا انها تفنى كالجسد ثمَّ تُبعَث معهُ في الدينونة

(٣ علم الآداب والحقوق) مرجع هذا العلم أن يُعطى كلُّ ذي حقٍ حقَّهُ مع مراعاة الاحوال والمقامات من رؤساء ومرؤوسين وافراد وجماعات الخ . وبديهيٌّ ان احوال اهل البادية تختلف عن احوال سكّان المدن وسُنَنهم عن سُنَنِهم . ولشعراء الجاهليَّة تأييدًا لهذه المبادئ الصحيحة اقوال لا تُحصى جمعها القدماء فنحيل اليها . منها حماسة البحتري الذي نشرناه منذ عهد قريب . قسمهُ جامعهُ على ١٧٤ بابًا تتناول معظم الآداب والاخلاق التي يتباحث بها الفلاسفة فيثبتون وجوبها وقوانينها وفقًا لتعاليم العقل واحكامهِ المصيبة . انظر مثلًا ما يقولهُ الافوهُ الاوديّ في النظام السياسي وحكم ارباب الامر (شعراء النصرانيَّة ص ٧٠) :

لا يصلح الناس فوضى لا سَراةَ لهم ولا سراة اذا جُهَّالهُم سادوا
تُهدى الامورُ باهلِ الرأيِ ما صلحتْ فان تولّت فبالاشرارِ تنقادُ
اذا تولّى سراةُ الناسِ امرَهمُ نما على ذاك امرُ القوم فازدادوا

وهــذا النابغة الذبياني يعزو الى الله سلطة الملوك حيث يقول للملك النعمان (شعراء النصرانيَّة ٦٥٦):

أَلم ترَ انَّ الله أعطاك سُورةً ترى كل مَلْكٍ دونها يتذبذبُ

وكلُّ اديبٍ يعرف خاتمة معلَّقة زُهير وما في ابياتها الاخيرة من الحكم المبنيَّة على علم الاخلاق والآداب الاجتماعيَّة . ومثالها في معلَّقة الحارث بن حلّزة. ولطرفة يطالب بحقوق امّهِ وردة (شعراء النصرانيَّة ٢٩٨):

ما تنظرون بحقِّ وردةَ فيكمُ صَغُر البنونَ ورهطُ وردةَ غُيَّبُ
قد يبعثُ الامرَ العظيمَ صغيرُهُ حتَّى تظَلَّ لهُ الدماء تَصبَّبُ
قد يوردُ الظلمُ المبينُ آجنًا مِلحًا يُخالَطُ بالذعافِ ويُقشَبُ
والاثمُ داءٌ ليس يُرجى برؤهُ والبِرُّ برءٌ ليس فيهِ معطَبُ
أدُّوا الحقوقَ تفِرْ لكم أعراضُكُمْ انَّ الكريمَ اذا يُحرَّبُ يغضَبُ

فهذه كلُّها اقوال من الفلسفة العقليَّة ابرزها عرب الجاهليَّة في صورةٍ شعريَّة

٢ التعاليم اللاهوتيَّة بين نصارى الجاهليَّة

اللاهوت كما هو معلوم اساسهُ الوحي سواءٌ كان مدوَّنًا في الاسفـار المقدَّسة ام شائعًا بتعليم الكنيسة . وقد عرف نصارى العرب الوحي وكتبهُ وائمَّةَ الانبياء والرسل كما اثبتنا ذلك في الفصول السابقة (ص ١٧٩ — ١٩٠) . مثل قول الراهب وَرَقة بن نوفل :

وجبريلُ يأتيهِ وميكالُ معهما من اللهِ وحيٌ يشرحُ الصدرَ مُنزلُ

وقد ورد هنــاك ذكر التوراة والزبور والانجيل وبعض الانبياء والرسل كموسى وداود وسليمان ويونان . وممَّا اخذوهُ عن الوحي معلومات عديدة عن الله جلَّ جلالهُ كتوحيدهِ وصفاتهِ العلويَّة . فانَّ منها ما يُستدلُّ عليهِ بالوحي اكثر من القياس النظريّ والبرهان العقليّ . فايُّ فيلسوف مثلا وصفهُ تعالى كما فعل اميَّة بن ابي الصلت حيث قال :

لك الحمدُ والنَّعماء والملكُ ربَّنا فلا شيءٌ اعلى منك مجدًا وامجدُ

مليكٌ على عرشِ السماء مُهَيمِنٌ لعزَّتِهِ تعنو الوجوهَ وتسجُدُ
عليهِ حجابُ النورِ والنورُ حولَهُ وانهارُ نورٍ حولَهُ تتوقَّدُ
مليكُ السماوات الشدادِ وارضها وليس لشيء عن قضاه تأوُّدُ الخ

وهو الوحي قد انبأهم بوجود الملائكة واوقفهم على مقامهم وجوهرهم وخدمتهم امام الله وطبقاتهم فذكروا منهم باسمائهم جبرائيل وميكائيل ومن طبقاتهم السرافيل (الساروفيم) والكروبيَّة (الكروبيم) والملائكة الحرَّاس (راجع الصفحة ١٦٤ — ١٦٧)

وقد افادهم الوحي تكوين الله للعالم من العدم وإبداعهُ للكائنات جمادها ونباتها وحيوانها ثمَّ خَلقهُ للابوين الاوَّلين ووضعهُ لهما في جنَّة عدَن ثم سقوطهما بتجربة ابليس ونفيهما من الفردوس ثم ما جرى لهما ولنسلهما ولا سيما بوقوع الطوفان. فكلّ هذه الامور التي اثبتناها بالنصوص المتعدّدة لم يعرفها العرب الَّا بواسطة الوحي (راجع الصفحة ٢٥٤ — ٢٦٦)

ومن الوحي استفاد العرب ايضاً معرفة امور الآخرة كالنعيم في السماء للابرار والجحيم في جهنَّم للاشرار وبَعْث الاجساد في آخر العالم . وقد اتينا على كلّ ذلك بشواهد متعدّدة لا تبقي في الامر ريباً (اطلب الصفحة ١٦٣ — ١٦٤ و١٦٧ — ١٧٠)

وممَّا توفَّق العرب الى معرفتهِ بفضل الوحي سرُّ بشارة الملاك جبرئيل لمريم العذراء وبقاء مريم على بتوليَّتها مع ولادة ابنها . وعرفوا السيّد المسيح ورسالتهُ الى العالم وما اتاهُ من المعجزات واختيارهُ لرسلهِ الحواريين ودعوهُ «بأبيل الأبيلينَ المسيح بن مريما» وانهُ هو الذي سيدين الاحياء والاموات (ص ١٨٦ — ١٩٠) وذكروا السابق امام وجهِ يوحنَّا المعمدان ودعوهُ يحيي

وقد عظَّم عرب الجاهليَّة تعليم المسيح ونعتوا دينهُ بالدين القويم كما قال النابغة عن نصارى غسَّان :

محلَّتهم ذاتُ الإله ودينهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وقد عرف العرب كنيسةَ المسيح وما فيها من رؤساء كالبطاركة والاساقفة والقسوس والشمامسة ولا سيَّما الرهبان والنسَّاك (ص ١٩٠ — ٢٠١)

وكذلك اطَّلعوا على اسرار الكنيسة كالمعموديَّة والقربان والقدَّاس وعلى اعيادها

كالسبّار (البشارة) والدنح (الغطاس) والسباسب (الشعانين) والفصح والسلّاق (الصعود) (ص ٢٠٨ — ٢١٠ — ثمّ ٢١٤ — ٢١٨)

وعرفوا مناسك النصرانيّة وكنائسها وهياكلها وما تزان به من النقوش والصور وخصوصاً الصليب فحلفوا بهِ كقول عديّ بن زيد :

سعى الاعداء لا يألون شرّا عليك وربِّ مكّةَ والصليبِ

وقد حلف الآخر بالقربان ودعاهُ الشَّبَر

الحمد لله الذي أعطى الشَّبَرْ

ومثلهُ عديّ :

اذ أتاني خبرٌ من مُنعم لم أخُنْهُ والذي أعطى الشبرْ

وحلف الاعشى بالرهبان الساجدين وبالناقوس فقال :

اني وربِّ الساجدين عشيَّةً وما صكَّ ناقوسَ النصارى ابيلُها
أصالحكم حتَّى تبوءُوا بمثلها كصرخة حُبلى اسلمتها قبيلُها

فهذه كلّها ادلّة اوضح من النور تبيّن ما كان للتعاليم اللاهوتيّة من النفوذ بين نصارى العرب استخلصناها من الشعر الجاهليّ فقط وهي احسن برهان على نفوذ الآداب النصرانيّة بينهم

الفصل العاشر

الفنون الجميلة بين نصارى العرب

ليس شيءٌ يدلّ على رقيّ الامم كشيوع الفنون الجميلة بينهم . لأن الجمال كما لا يخفى يسبي قلب الانسان ويجرّدهُ عن الامور السافلة الدنيَّة ليسمو بهِ الى عالم العقل فيقرّبهُ الى مصدر الجمال سبحانهُ وتعالى . ولذلك قد قيل انَّ الفنون الجميلة هي اثمن درة في تاج الحضارة والمدنية

على انَّ العرب من هذا القبيل قد تخلّفوا عن بقيَّة الشعوب المتمدّنة كالكلدان والاشوريين والفرس والمصريين واليونان والرومان فلا تكاد تجد لهم اثرًا يذكر في القرون السابقة تاريخ الميلاد . والسبب في ذلك عيشتهم الفطريَّة البعيدة من الحضارة

وانتقالهم في البوادي انتجاعاً لمراعي الابل والمواشي واشتغالهم بالغزوات والحروب
اما القرون التابعة للسيد المسيح فانها لا تخلو من بعض آثار هذه الفنون الجميلة
ولا جرم انَّ النصرانيَّة بدخولها في جزيرة العرب ادخلت معها عنايتها الدائمة بترقية
دعائم الحضارة ولا سيما في الازمنة التي سبقت قليلًا عهد الاسلام وفي اوائل ظهوره
كما سترى

وبياناً لذلك قد عوَّلنا على كتابة فصل في ما نعرفهُ من تأثير النصرانيَّة في
ترقية الجمال ونشر اصحابها لاخصّ فنونه بين العرب. واشهر هذه الفنون اربعة:
هندسة البناء والتصوير والحفر والموسيقى نفرد لكلّ منها بابا

١ هندسة البناء

البناء اوَّل صنائع العمران البشري لانَّ الانسان في حاجة اليه لاتقاء عوامل الطبيعة
وأذى العدوّ. على ان البناء لا يُعدّ من الفنون الجميلة الَّا اذا كانت المباني شاهقة
البنيان واسعة الارجاء ذات اوضاع هندسيّة ونقوش فنيّة وفقاً لقواعد راهنة تجعلها
من الابنية المعتبرة فمنها قصور الملوك والمعاقل والحصون والهياكل والكنائس وغيرها
من الابنية الدينيّة والمدنيَّة. وها نحن ندوّن هنا ما يعود فضلهُ الى النصرانيَّة مباشرةً
بالمباني الدينيَّة ثم المدنيَّة

﴿ المباني الدينيَّة ﴾ ان ما قدمناهُ من الشواهد العديدة في انتشار النصرانيَّة
في كلّ انحاء جزيرة العرب في عهد الجاهليَّة يستلزم توفير الابنية الدينيَة والكنائس
والاديرة حيثما وُجد النصارى. وربما صرَّح المؤرخون بذكرها دون وصفها فلا يسعنا
ان نقطع بهندامها وحسن هندستها. ولا مراء انهُ كان بينها الابنية الفخيمة والهياكل
البديعة

فممَّا جاء ذكرهُ من ذلك في اليمن ما رواهُ المؤرخ فليسترجيوس في مطاوي
كلامه عن قسطنسيوس بن قسطنطين الكبير حيث قال انَّ تاوفيل الهندي الذي
كان اوفدهُ هذا الملك الى الحميريين نحو السنة ٣٥٦ م شيَّد في اليمن ثلاث كنائس
في ظفار حاضرة اليمن ثمَّ في عدن وفي هرمز (راجع الصفحة ٥٦ — ٥٧)

وقد ذكر كنائس اليمن قزما الرحالة الكاتب اليوناني نحو السنة ٥٣٥ م فقال:

«حيثما سرت تجد كنائس للنصارى واساقفة وشهداء وسيّاحاً حتى بين اهــل عربيّة السعيدة الذين يُدعَوْن بالحميريين كما في كلّ العرب ايضاً» (راجع الصفحة ٦٥)

وقد خصّ كتبة العرب فصولًا من تواريخهم في وصف كنيسة صنعاء اليمن التي شيّدها أبرهة بعد فتح الحبش لليمن وهم يدعونها بالقُلَّيس اشتقّوهــا من لفظة Ἐκκλησία اليونانيّة وتعريبها الكنيسة. وقد روينا في مجاني الادب (٣ : ٣٠٢) بعض اوصافهم. راجع معجم البلدان لياقوت (في مادّة قليس ٤ : ١٧٠) وتاريخ الطبري (١ : ٩٣٤ — ٩٣٥) وتاريخ الشيخ صــالح الارمني (طبعة اوكسفرد ص ١٣٩). وأقدمُ من كلّ هؤلاء صاحب «اخبار مكّة» ابو الوليد محمّد بن عبدالله الازرقي من كتبة القرن الثالث للهجرة والعاشر للمسيح (طبعة ليبسيك ٨٨—٩٠) وهذا بعض ما رواهُ قال :

«كان القُلَيس مربَّعًا مستوِيَ التربيع جعل (ابرهة) طولهُ في السماء ٦٠ ذراعاً وكَبْسهُ من داخلهِ ١٠ اذرع في السماء وكان يُصعَد اليهِ بدرج الرخام وحولهُ سورٌ بينهُ وبين القليس مائتا ذراع يطيف بهِ من كلّ جانب وجعل بين ذلك كلّهِ حجارة يسمّيها اهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين اطباقها الابرة مطبّقة بهِ. وجعل طول ما بني بهِ من الجروب ٢٠ ذراعاً في السماء ثمّ فصل ما بين حجارة الجروب بحجارة مثلَّثة تشبه الشُّرَف مداخلة بعضها ببعض حجرًا اخضر وحجرًا احمر وحجرًا ابيض وحجرًا اصفر وحجرًا اسود وفيما بين كلّ سافَين خشب ساسَم مدوَّر الرأس غِلظُ الخشبة حضنُ الرجل ناتئةً على البناء ... ثمّ فصل بافريز من رخام منقوش طولهُ في السماء ذراعان وكان الرخام ناتئاً على البناء ذراعاً. ثمّ فصل فوق الرخام بحجارة سود لها بَريق من حجارة نُقْم جبل صنعاء المشرف عليها ثمّ وضع فوقها حجارة صفر ثم حجارة بيض لها بريق. فكان هذا ظاهرَ حائط القليس وكان عرض حائط القليس ستة أذرع... وكان لهُ باب من نحاس ١٠ اذرع طولاً في ٤ عرضاً وكان المدخل منهُ الى بيت في جوفهِ طولهُ ٨٠ ذراعاً في ٤٠ ذراعاً معلق (?) العمل بالساج المنقوش ومسامير الذهب والفضّة. ثمّ يُدخل من البيت الى ايوان طولهُ ٤٠ ذراعاً عن يمينهِ وعن يسارهِ وعقودهُ مضروبة بالفسيفساء مشجّرة بين اضعافها كواكبُ الذهب ظاهرة. ثمّ يُدخل من الايوان الى قبّة ٣٠ ذراعاً في ٣٠ ذراعاً جُدُرُها بالفسيفساء وفيها صلُب منقوشة بالفسيفساء والذهب والفضّة وفيها رخامة ممّا يلي مطلع الشمس من البَلَق مربّعة ١٠ اذرع في ١٠ تُغشي عينَ مَن نظر اليها من بطن القبّة تؤدّي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبّة. وكان تحت الرخامة منبر من خشب اللَّبخ وهو عندهم الابنوس مفصَّل بالعاج الابيض ودرج المنبر من خشب الساج ملبّسة ذهباً وفضّة وكان في القبّة سلاسل فضّة ....»

ثمّ ذكر ما حلّ بهذه الكنيسة بعد الهجرة وكيف هدمها ابو جعفر المنصور ثاني

خلفاء بني عبّاس باغراء احد ابناء الوهب بن المنبّه وبعض يهود صنعاء

وقد ذكر ابو صالح الارمنيّ في تاريخهِ (ص ١٤٠ من طبعة اوكسفرد) كنيسةً أخرى في بلاد اليمن دعاها «مَرُور الدير» قال انهُ كان عليها حصن منيع وتسمى في زمانهِ بمقبرة الحكماء

وممَّا رواهُ السيَّاح المحدثون انَّ جامع صنعاء الباقي الى اليوم كان في سابق الزمان كنيسةً حوَّلها المسلمون الى جامعٍ . وكذلك روى الرحَّالة الالماني الشهير غلازر (Glaser : *Skizze*, I:15,37) انهُ دخل سنة ١٨٨٦ مسجدًا يدعى مسجد نُبَيْم يريم قريباً من ظفار حاضرة اليمن سابقاً فوجد في ابنيتهِ وعمدهِ وجدرانهِ آثاراً نصرانيَّة ونقوشاً تدلُّ على انهُ كان سابقاً كنيسة مسيحيَّة

وقد اشتهرت في تاريخ النصرانيَّة مدينة نجران التي استشهد اهلها في عهد ذي نواس (راجع ص٥٩—٦١) فلمَّا عاد اليها السلام ورجعت النصرانيَّة الى رونقها بُني فيها كنيسة كبيرة عرفها العرب بكعبة نجران فورد ذكرها في شعر الاعشى حيث انشد يخاطب ناقتهُ :

فكعبةُ نجرانَ حتمٌ عليكِ حتَّى تُناخي بابوابها
تزور يزيد وعبد المسيح وقيساً هم خيرُ اربابها

فمدح الاعشى هنا بني عبد المدان الحارثيين سادة نجران النصارى . قال ابو الفرج الاصفهاني (الاغاني ١٠ : ١٤٢) : «والكعبة التي عناها الاعشى هاهنا يقال انها بيعةٌ بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظّموها مضاهاةً للكعبة وسمّوها كعبة نجران وكان اذا نزل بها مستجير أجير او خائف أمن او طالب حاجة قضيت او مسترفد أُعطي ما يريدهُ»

***

وان عدلنا بالنظر عن اليمن الى العراق وجدنا هندسة البناء الدينيَّة رائجة فيهِ ايّ رواج لنمو النصرانيَّة بين اهلهِ واتساع نطاقها في كلّ انحائهِ . فهناك شاعت الطرائق الرهبانيَّة شيوعها في ارض الصعيد . هناك توفّرت المناسك والاديرة التي بلغ عدد المترهّبين في بعضها المئات بل بضعة الوف . وقد عدَّدنا في ما سبق اسماء كثير من هذه الاديرة التي عُني بتشييدها الملوك واعيان الدولة كدير اللجّ الذي بناهُ

النعمان بن المنذر ابو قابوس . قال ياقوت: «ولم يكن في ديارات الحيرة احسن بناء منهُ» ودير الاعور المنسوب الى النعمان الذي تنصَّر وزهد بالدنيا . ودير الجَرَعة المنسوب الى عبد المسيح بن بُقَيلة الغساني . ودير هند الكبرى بنتهُ امّ عمرو بن هند «أمة المسيح وامّ عبدهِ وبنت عبيده» (ياقوت ٢ : ٧٠٩) ودير هند الصغرى . ودير حنظلة . وغيرها كثير (راجع القسم الاوَّل ص ٨٢ — ٨٦) . ولا شكَّ انَّ بُناة هذه الاديرة لم يدَّخروا وسعاً في حسن بنائها واتقان هندستها اذ كانوا من اصحاب الثروة والتقى معاً . وفي بعض بقاياها الى اليوم ما يدلُّ على عظم شأنها . وهكذا يقال عن الكنائس فانها كانت غالبا هياكل واسعة الارجاء شاهقة البنيان ذات اسواقٍ متعدّدة جامعة بين متانة البنيان وحسن الشكل وقد بقي في الشعر القديم عدَّة اقوال لفحول الشعراء وصفوا فيها كنائس النصارى وهياكلها ومحاريبها وصلبانها وما تزان بهِ من النقوش (راجع الصفحة ٢٠١ — ٢١٠) وقد خصَّ الهَمْداني بالذكر في كتابهِ جزيرة العرب «كنيسة الباعونة في الحيرة» . وبعض هذه الكنائس في العراق باقية الى اليوم فاخذ الاثريون يدرسون هندستها ويبيّنون خواصّها منهم تلك الآنسة الشهيرة الانكليزية المس بل (Miss Bell) التي وضعت كتاباً ضخماً في وصف كنائس ما بين النهرين التي سبق عهد البعض منها عهد الاسلام فترتقي الى القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح واثبتت صور كثير منها

وان اقتربنا في جزيرة العرب الى بادية الشام ومملكة بني غسَّان وجدنا فيها من المباني الدينيَّة ما يقضى منهُ العجب . وقد اثبتنا في الصفحات السابقة (راجع الصفحة ٣٠) ما رواهُ مؤرخو العرب عن ملوك غسان الاوَّلين وما بنوهُ من الاديرة كدير ايوب ودير حالي ودير هند ودير ضخم ودير النبعة ودير بصرى ودير سعد . ومن هذه الاديرة ما بقي عامرا بعد الاسلام والى اليوم يُطلق اسم الدير على بعض جهات الصفا وحوران كدير الكهف ودير قن

وقد اختلط بنو غسَّان في منازلهم شرقي الشام وفي جنوبيا الشرقيّ بالرومان واليونان النصارى فجاروهم في حضارتهم وتعلموا منهم هندسة البناء فشيّدوا مثلهم البيع والكنائس التي بقي بعضها حتى اليوم في جهات حوران والصفا واللجا وجولان وفي عبر الاردن وبلقاء (راجع الصفحة ٣٣) وهي من البنايات الفخيمة وعليها الرموز

النصرانيّة والكتابات اليونانيّة واللاتينيّة . وعلى اثرٍ منها كتابةٌ عربيّة وجدت في حوّان سبقت الهجرة باربع وخمسين سنة كُتِبت على « مرتول » اي مشهد القديس يوحنّا المعدان الذي شيّدهُ احد شيوخ القبائل العربيّة المدعوّ شراحيل (ص ٣٤)

وترى مثل هذه الابنية الدينيّة في الجزيرة وديار ربيعة وديار بكر وشمالي سوريّة قد اشرنا اليها سابقاً (ص ٩٣ — ١٠٦) فان كتبة العرب وشعراء الجاهليّة قد ذكروا نحو خمسين ديراً منها نعتوا بعضها باجمل النعوت كقول ياقوت في معجم البلدان عن دير الرصافة (٢ : ٥٦٠) انهُ « من عجائب الدنيا حسناً وعمارة » . وفي زَبَد شمالي سوريّة أُقيم سنة ٥١٢ للمسيح مشهدٌ لذكر القديس الشهيد سرجيوس عليهِ اوّل اثر من الخطّ العربيّ في تلك السنة (ص ١٠٣—١٠٤)

ولم تخلُ اواسط جزيرة العرب كنجد والحجاز واليمامة من الابنية النصرانيّة كالاديرة والبيع والصوامع (اطلب الفصل العاشر من القسم الاوّل ص ١٠٦—١٢٣) وهناك كانت قبائل نصرانيّة كطيّ وتميم التي افتخر خطباؤها لمّا وفدوا على نبيّ الاسلام بتشييدهم للكنائس فقال الزبرقان :

نحن الكرامُ ولا حيٌّ يعادلنا منّا الملوك وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ

ثمَّ ورد في كتاب الوفادات لابن سعد ذكر كنيسة بني حنيفة وراهبها (ص ١٢٩ — ١٣٠) . وقد وُجد ايضاً في الحجاز ونجد اديرة للنصارى في الجاهليّة كدير خندف ودير غطفان وغير ذلك ممّا مرَّ وصفهُ وقد ذكر الطبري في تاريخهِ (١ : ٣٠٤٧) دير سَلع قُرب المدينة المنوّرة يثرب وفيه دُفن الخليفة الثالث عثمان بن عفّان

وما قولنا بالابنية الجليلة التي امر ببنائها الملك يستنيان في طور سينا ذكرًا لتجلّي الرب فيهِ لبني اسرائيل واكراماً للقديسة كاترينا الشهيدة وهذه الابنية تشهد الى اليوم على براعة مهندسيها

***

وممّا يدخل في هذا الباب ما بناهُ النصارى من الابنية الدينيّة لغير ملّتهم فمن ذلك بناء الكعبة نحو السنة ٦٠٥ للميلاد تولّى بناءها روميٌّ اسمهُ باقوم مع رجل قبطيّ كما روى النهروانيّ في كتاب إعلام الأعلام ببيت الله الحرام (ص ٤٩ — ٥٠) قال :

« انَّ امرأة جمّرت الكعبة بالبَخور فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة فاحترق اكثر اخشابها ودخلها سيل عظيم فصدع جدرانها بعد توهينها فأرادوا ان يشدُّوا بنياءها ويرفعوا

بابها حتى لا يدخلها الا مَنْ شاؤوا وكان البحر قد رمى بسفينةٍ الى ساحل جُدَّة لتاجر رومي اسمهُ باقوم وكان نجَّاراً بنَّاءً فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش الى جُدَّة فابتاعوا خشب السفينة وكلَّموا باقوم الرومي ان يقدم معهم الى مكَّة فقدم اليها واخذوا اخشاب السفينة أعدُّوها لسقف الكعبة المحترقة . قال الاموي : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم يحمل فيها الرخام والخشب والحديد مع باقوم الى الكنيسة التي احرقها الفرس بالحبشة . فلمَّا بلغت قريب مرسى جُدَّة بعث الله عليها ريحاً فحطَّمتها ... قال ابن اسحاق وكان بمكَّة قبطيٌّ يعرف نجْر الخشب وتسويتهُ فوافقهم ان يعمل لهم سقف الكعبة ويساعدهُ باقوم (١) »

وليست هذه المرَّة الوحيدة التي عمَّر النصارى ما خرب من الكعبة . اخبر الازرقي في اخبار مكَّة (ص ٣٩٥ — ٣٩٦) انهُ وقع سيل جُحاف في سنة ثمانين (٧٠٠ م) في خلافة عبد الملك بن مروان دخل المسجد واحاط بالكعبة فكُتِب في ذلك الى عبد الملك فبعث بمالٍ عظيم وكتب الى عاملهِ على مكَّة لاصلاح ما خرب قال : « وبعث رجلًا نصرانيًا مهندساً في عمل ضفاير المسجد الحرام وضفاير الدور في جنبتي الوادي فامر بالصخر العظام فنُقلت على العجل وحفر الارباض دون دور الناس فبناها واحكمها من المال الذي بعث بهِ »

وكذلك جرى في عهد الوليد بن الملك فانَّهُ اراد توسيع المسجد الحرام وزخرفتهُ فاستقدم لذلك مهندسين نصارى . قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٤٦٦) : « في ايَّام الوليد استقدم من ملك الروم اربعين روميًا واربعين قبطيًّا ليعمروا المسجد فعمَّروه سنة ٨٧—٨٨ (٧٠٩ — ٧١٠ م) مائتي ذراع » . قال الازرقي (ص ٢٠٩) : « وهو (اي الوليد) اوَّل من نقل الى المسجد الحرام اساطين الرخام .. وسقَّفهُ بالساج المزخرف وجعل على رؤوس الاساطين الذهب على صفائح الشَّبَه من الصفر وأزَّر المسجد بالرخام من داخله وجعل في وجه الطيقان في اعلاها الفسيفساء » . فكل هذه الاعمال قام بها عملة النصارى

وما صنعهُ النصارى في الكعبة والمسجد الحرام في مكَّة قاموا بهِ ايضاً في المدينة في مسجد النبيّ لمَّا اراد الوليد ان يجدّد بناءهُ . قال الطبريّ (٢ : ١١٩٤) في تاريخ سنة ٨٨ هـ (٧٠٩م) :

« بعث الوليد بن عبد الملك الى صاحب الروم يُعلمهُ انهُ امر بهدم مسجد رسول الله صلعم وان

(١) راجع ايضاً كتاب اخبار مكَّة للازرقي : ص ١٠٤ — ١١٠

بيعة فيه فبعث اليه بمائة الف مثقال ذهب وبعث اليه بمائة عامل وبعث اليه من الفسيفساء باربعين حملاً وامر بأن يتتبّع الفسيفساء في المدائن التي خربت فبعث بها الى الوليد فبعث الوليد بذلك الى عمر بن عبد العزيز . . وفيها ابتدأ عمر بن عبد العزيز بناء المسجد »

ومثلهُ ايضاً مسجد دمشق المعروف بالجامع الامويّ الذي خلف كنيسة مار يوحنا بعد الفتح الاسلاميّ . فانّ الوليد لذ اراد تجديد عمارته التجأ ايضاً الى ملك الروم ليوجّه اليهِ مائة صانع كما روى ابن عساكر في تاريخ دمشق (١ : ٢٠٢). فاجتهدوا في بنيانهِ وترويقهِ وزخرفتهِ حتّى عُدَّ مع كنيسة الرها ومنارة الاسكندريّة من جملة عجائب الدنيا . وقد ذكرنا في المشرق (١٤ [١٩١١]: ٦٣٩) اعمال الفسيفساء الراقية الى عهد بناتها التي ظهرت قبل بضع سنين في مصلّب الجامع وقناطره وكواه بعد تنظيفها من سخام حريق تيمورلنك ومن اللاط والكلس فلاحت بزهو الوانها العجيبة ومحاسنها الباهرة وتفنّن مهندسيها النصارى في النقش وتصوير مجالي الطبيعة من زهور واشجار وانهار وصروح وقصور . وكلّ يعلم ان ترميم الجامع الاموي وتجديد زخارفهِ القديمة تولّاها في الحقبة الاخيرة المهندس أبيري النصراني

ومن رأى المسجد الأقصى في بيت المقدس ودرس هندستهُ لا يلبث ان ينسب ايضاً بناءهُ الى صَنَعة من الروم الذين انتدبهم الى تشييدهِ الخليفة عبد الملك بن مروان . وبأمرهِ قُلعت قبّة كانت للنصارى في كنيسة مدينة بعلبك وهي من نحاس مطليّ بالذهب فنصبها على صخرة هيكل سليمان(تاريخ ابن البطريق ٢: ٤٢). وقال ابن خلدون في مقدّمتهِ « انّ عُمَر لمّا حضر لفتح بيت المقدس وكشف عن الصخرة بنى عليها مسجداً على طريق البداوة ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجدهِ على سَنَن مساجد الاسلام . . . والزم ملك الروم ان يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد وان ينمّقوها بالفسيفساء فاطاع لذلك وتمّ بناؤها على ما اقترحهُ »

ولمّا ابتنى عمرو في جهات منف جامع الفسطاط وكلَ بتشييدهِ الى النصارى وروى المقريزي في الخطط (٤ : ١٢٤ من الطبعة الجديدة) « انّ بعض عمدهِ او اكثرها ورخامه من كنائس الاسكندريّة وارياف مصر » وكذا قال عن جامع الجيزة

فيثبت من هذه الشواهد كلّها شيوع الهندسة النصرانيّة في كلّ انحاء جزيرة العرب قبل الاسلام ونسبة كل الابنية الاسلاميّة الاولى اليها

وقد استبان علماء المستشرقين في عهدنا تأثير الهندسة النصرانيَّة في ابنية الاسلام الدينيَّة . فانَّ المسلمين عند الفتح العربيّ لم يحوّلوا فقط كنائس النصارى الى جوامع ومساجد كما يتّفق عليهِ المؤرخون لكنّهم تقلّدوا ايضاً هندسة البيع المسيحيَّة فانَّهم اذ كانوا يجهلون فنَّ البناء كما قال ابن خلدون التجأوا في الشام والعراق ومصر والاندلس الى مهندسين وطنيّين مسيحيين كان البعض منهم دانوا بالاسلام فهؤلاء جروا في تشييد مقامات الاسلام الدينيَّة على ما اعتادوهُ في اوطانهم وقد درس الاختصاصيّون بقايا تلك الابنية فقابلوا بين كلّ اقسامها واقسام الكنائس الوطنيَّة فاثبتوا العلاقة التامَّة بينهما حتَّى في اخصّ مميّزات الجوامع كالقبلة والمحراب والمنبر والمأذنة والحرم فانَّ كلّ ذلك منقول دون فرقٍ يُذكر عن المباني النصرانيَّة التي وجدها العرب في فتوحاتهم . وقد بيّن ذلك العلّامة جيرو دي پرانجه (Giraud de Prangey) في كتابين مميّزين خصَّها بابنية العرب في الاندلس وصقلّية ومرّاكش (اطلب الجرنال الاسيوي 357 — J.As. 1842ª, 336) والمستشرق الاختصاصي ڤان برخم (Max Van Berchem) في مقالة بديعة نشرها هناك (J. As. 1891ª, 411—495;) وفي كتاب الصناعة العربيَّة للمهندس غايه (A. Gayet: *L' Art arabe*) وغيرهم فكلّهم لسان واحد في اثبات شبه مباني الاسلام الدينيَّة بالكنائس النصرانيَّة في ذلك العهد . فمنها ما يشبه الطرز القبطيّ ومنها ما هو اشبه بالطرز البوزنطي او الطرز السوريّ على اختلاف الصّنعة والبنّائين النصارى الذين كانوا ملتزمين العمل بحيث لا يجوز انْ يُدعى بناؤها بهندسة عربيَّة البتَّة (١ . فشتَّان بين قولهم ورأي بعض المتهوّسين كالمسيو سيديايو والمسيو غوستاف لوبون الذين بخسوا حقوق اليقين ونسبوا الى العرب ما كان للذمّيّين

---

١) ودونك ما كتبهُ المسيو غايه في فاتحة كتابهِ L'Art arabe

C'est à regret qu'en tête de ce livre je me suis vu contraint d'inscrire ce titre consacré par l'usage « *l'Art arabe* » ... si jamais titre fut vide de sens, voire même en opposition absolue avec la chose qu'il définit, c'est assurément celui-là. L'Arabe n'a jamais été artiste ...

﴿ الهندسة المدنيَّة ﴾ قد اتّسعنا في ذكر الهندسة النصرانيَّة الدينيَّة في عهد الجاهليَّة واوائل الاسلام بين العرب . وفي جزيرتهم ايضاً ابنية غيرها مدنيَّة كالقصور والحصون وغير ذلك ممَّا يشيّدهُ الملوك والدولات لاغراضهم الخاصَّة او لشؤون مملكتهم . وهذه الآثار كثيرة في كلّ انحاء العرب ولاسيَّما في ممالكها الثلث اي التبابعة في اليمن والمناذرة في العراق والغساسنة في الشام وردَ شيءٌ من ذكرها في الشعر الجاهليّ والتقليد القديم وكشف على بعضها اصحاب الرحل الى جزيرة العرب في الحقبة الاخيرة . فهذه المباني لا يُعرَف لها غالباً تاريخ ولم تُذكر اسماء بُناتها ولا جرم انَّ للنصارى في قسم منها نصيباً صالحاً

وان باشرنا بالعراق وشمالي الجزيرة وجدنا في شعر الاسود بن يَعفُر بعض قصور لآل محرّق ولبني إياد فقال :

ماذا اؤمّل بعد آل محرّقٍ تركوا منازلهم وبعد إيادِ
اهل الخَوَرْنق والسدير وبارقٍ والقصر ذي الشُرفات من سِندادِ

فهذه القصور بُنيت لملوك نصارى وقد تولَّى بناءها مهندسون نصارى ذكروا احدهم وهو رجل روميّ يقال لهُ سِنِمَّار بنى الخورنق للنعمان الكبير (ياقوت ٢ : ٤٩١)

وقد اطرأ العرب محاسن الخَوَرْنق دون ان يدقّقوا في وصف بنائهِ . ولعلَّهُ هو القصر الذي زارهُ المستشرق البارع لويس ماسينيون سنة ١٩٠٨ المعروف بقصر الأُخَيْضر وألفتَ اليهِ نظر العلماء في جمعيَّة الكتابات والفنون سنة ١٩٠٩ ثمَّ زارتهُ الآنسة الانكليزيَّة مس بَلْ سنة ١٩١٠ واحسنت وصفهُ في كتابها المدعو (Amurath to Amurath) واثبتت صورهُ (ص ١٤٧ — ١٥٨) وهو بناء عظيم ذو طابقين تدلُّ بقاياهُ الجليلة على عظم شأنهِ امَّا اسمهُ الاخَيْضر فقد اختلفوا في اصلهِ ولعلّ اصحّ ما قيل في ذلك انهُ تصحيف الأُكَيْدِر صاحب دومة الجَنْدَل النصراني الذي مرَّ لنا ذكرهُ (ج ١ ص١٠٨) . وقد جاء هناك عن البلاذريّ ان عمر بن الخطَّاب نفاهُ من وطنهِ لمخالفتهِ دين الاسلام فنزل موضعاً قرب عين تمر في جهات العراق وبنى بهِ منازل سمَّاها دومة باسم حصنهِ (راجع مجلّة لغة العرب ٢ : ٤٧)

وممَّا ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (٤ : ١١٦) من الابنية النصرانيَّة المدنيَّة قصر العَدَسيّين قال « انهُ في طرف الحيرة لبني عمَّار بن عبد المسيح نُسبوا الى جدّتهم

عدَسة بنت مالك بن عوف الكلبي»

ولا نشكُّ في انَّ النصارى هم الذين شيَّدوا للخلفاء وامراء العراق مبانيهم ٠فان الالمانيين ارباب الحفريَّات في سامرًا وجدوا بين انقاضها صورًا وتماثيل اشخاصٍ بالوانها مع رسوم هندسيَّة متنوعة وصلبان كثيرة موقعة باسم شمَّاس نسطوريّ بارع بالتصوير ورد اسمهُ على صورة الاسم الكلدانيّ «مسمس» (ܡܫܡܫܢܐ)

وقد افادنا ياقوت الروميّ (٤: ٤١٣) انَّ قصر الخليفة المتوكل المعروف بالجعفري الجامع لكل محاسن البناء كان بانيهِ دليل بن يعقوب النصرانيّ كاتب بغا الشرابيّ

وممَّا وقف عليهِ الاثريُّون والسيَّاح في ايَّامنا من الابنية الجليلة والآثار البديعة في جهات العرب في انحاء مؤاب عربيّ وادي سرحان عدَّة قصور فخيمة ومعاقل جليلة سبق لنا ذكرها في المشرق غير مرَّة (١ [١٨٩٨]: ٤٨١ و ٦٣١ ثم ٤ [١٩٠١]: ٧٦٥—٧٦٦ الخ) كالمشتَّى وقُصَيْر عَمْرة وطوبة وفيهـا من الآثار الهندسيَّة ومن التصاوير وتمثيل احوال البادية كالصيد والغزوات والمآدب والصنائع ما اندهل العلماء لوجودهِ في البراريّ ٠وا تسعت مذ ذاك الحين مجلَّات العلماء ولاسيَّما تاليف المستشرقين في وصفهـا والبحث عن بُناتها ومصوريها ٠ واليوم قد رجَّح العلماء انَّ هذه الابنية من عهد الوليد بن يزيد الخليفة الامويّ ٠ وكان يفضِّل العيش في البادية على المدن ٠ فصرف القناطير المقنطرة لبناء تلك الآثار لسكناهُ وسكنى جنودهِ وحاشيتهِ ٠ امَّا مهندسو هذه القصور فكانوا ايضاً من نصارى الشام ومصر والجزيرة وقد نسبها العلماء اوَّلًا الى بعض ملوك العجم ثمَّ الى بني غسَّان او الى بني لخم حتَّى رجَّحوا آخرًا كونها للوليد بناها لهُ النصارى الوطنيُّون ٠ وفي هندسة هذه القصور ما استدلُّوا بهِ على بلادهم المختلفة فكأنَّ كلّ فريق منهم تتبع طريقتهُ الهندسيَّة التي اعتادهـا في موطنهِ ٠وقد وقف حضرة الاب هنري لامنس في تاريخ بطاركة مصر لساويروس بن المقفَّع على ما يؤيّد نسبة هذه البنايات في بوادي العرب للوليد ٠قال ابن المقفع ما حرفهُ:

« وضبط المُلك (بعد هشام) الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان همَّهُ ببغضهُ مبدأ يبني مدينة على اسمهِ في البريَّة وجعل اساسًا عليها وكان الماء بعيدا منها خمسة عشر ميلًا وجمع الناس من كلّ موضع وبنى فيها بيد قويَّة ومن كثرة الناس كان يموت كلّ يوم فيها جماعة من قلَّة الماء

وكان يحمل لها الماء الف ومائتا جمل وما يكفيهم كلّ يوم وكانوا الجمال فرقتين ٦٠٠ تحمل يوماً و ٦٠٠ تحمل يوماً فوثب عليه رجل اسمهُ ابراهيم (١ فقتلهُ واخذ الملك منهُ واطلق الاسارى فمضى كلّ منهم الى موضعهِ»

ولو تتبّعنا بعد هذا الآثار البنائيَّة العربيَّة في شمالي الشام وفي باديتهـا وما وراء الاردن وفي الحجاز واليمن وفي مصر لوجدنا آثار الهندسة المدنيَّة النصرانيَّة في كثير منها غير ان هذه الفنون الهندسيَّة لم يُحكم العلماء درسها ليتحقَّقوا اصلها ودقـائق صُنعها وفي القليل ممَّا ذكرناهُ دَليل كافٍ لاثبات قولنا بانَّ للنصـارى اكبر فضل في البناء العربيّ الدينيّ والمدنيّ معاً

٢ و ٣ التصوير والنحت

يظهر الجمال في البناء بحسن رسمهِ وبراعـة هندستهِ وانتقاء موادّهِ ووحدة أقسامهِ واتقان نظامه . امَّا في فنَّي التصوير والنَّحت فانّ الجمال يلوح بتمثيلها لمواليد الطبيعة الثلثة جمادها ونباتها وحيوانها فيخرجهـا المصوّر بهيئاتها والوانها وملامحها وعواطفها فيكاد يحييها بقلمهِ الساحر. ويجسّمها النحّات فيظهرها بنتوّاتها وتداويرها الطبيعيَّة فيُحكم صورة وجدانها كأنها لا ينقصها سوى الحركة والنطق

وكما شاع بين نصارى العرب في الجاهليَّة فنّ هندسة البنـاء كذلك استخدموا فنَّي التصوير والنَّحت . واوّل شاهد يمكن الاستدلال بهِ ما ورد في الشعر الجـاهليّ من ذكر الصور والدُّمى والتماثيل في بيَع النصارى واديرتهم فأُعجبوا بجمالها ونقوشها البديعة حتَّى ضربوا بها المثل في الجمال فقـالوا (الميداني ١ : ٣٠٠) : «احسن من دمية» . وقال عديّ بن زيد (شعراء النصرانيَّة ص ٤٥٥) :

كدُمى العاج في المحاريب او كالـ ـبَيض في الرَّوض زهرهُ مستنيرُ

وقال عبدالله بن عَجلان (الاغاني ١٩ : ١٠٢)

عراءٌ مثل الهلال صورتُها ومثلُ تمثال بيعة الذّهب

وقال الاحوص (الاغاني ٤ : ٤٩ والشريشي ١ : ٢٩١) :

---

١) والصواب ان الوليد قُتل في محاربة يزيد الثالث ابن عمهِ قتلهُ بعد انتصارهِ عليهِ ولم يطل زمن ملك يزيد ثم ملك بعده ابراهيم المذكور هنا

كأنَّ لُبْنَى صبيرُ غاديةٍ او دُميةٌ زُيِّنت بها البيَعُ

ومثلهُ للاخطل (ديوانهُ ص ١٢) :

حُلْيٌ بِشبِّ ياض النَّحر واقدهُ كما تُصوِّرُ في الدَّير التماثيلُ

وقال عُمَر بن ابي ربيعة (الكامل للمبرد ص ٣٧٠):

دميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادِ صوَّروها في جانب المحرابِ

وقال اميَّة بن ابي عائذ (ديوان الهذيليّين ص ١٧٧):

او دُميةُ المحراب قد لبسَتْ بها ايدي البُناةِ بزُخرفِ الإتراسِ

وقال الاعشى (لسان العرب ٦ : ١٤٤) وبنَى فعلَيْن من لفظ الصلبان والصُّوَر :

وما أيبُليٌّ على هيكلٍ بناهُ وصلَّب فيهِ وصارا

ومن العجب انَّ بعض الشعراء اذ رأوا هذه التماثيل في كنائس النصارى دعوها اصناماً واوثاناً . قال ابو قطيفة (معجم البلدان لياقوت ٣ : ٦٦١)

ولَحَيٌّ بين العُرَيض وسَلْعٍ حيث أرسى اوتادَهُ الإسلامُ
كان أشهى اليَّ قربُ جِوارٍ من نصارى في دورها الاصنامُ

وروى في المفضليَّات (ed. Lyall ص ٥٤٩) :

يطوفُ العُفاةُ بأبوابهِ كطَوْف النصارى ببيت الوَثَن

قالوا : اراد بالوثن الصليب . وكانوا ينصبونهُ في وسط الكنائس . وقال بشر بن ابي خازم يمدح بني الحذَّاء النصارى (البيان للجاحظ ٢ : ٧١)

لله درُّ بني حذَّاءَ من نَفَرٍ وكلُّ جارٍ على جيرانهِ كَلِبُ
اذا غدَوْا وعصيُّ الطلح ارحلهم كما تُنَصَّبُ وَسْط البيعةِ الصُّلُبُ

فهذه الشواهد وغيرها مثلها تدلُّ كلها على شيوع فنّ التصوير ونحت التماثيل بين نصارى العرب . قال صاحب تاج العروس (٨ : ١١١) : « التمثال الشيء المصنوع مشبَّهاً بخلق من خلق الله عزَّ وجلَّ . . والتماثيل هي صور الانبياء وكان التمثيل مباحاً في ذلك الوقت . . . »

وممَّا تكرَّر ذكرهُ في الشعر الجاهليّ نقش النصارى لكتبهم الدينيَّة كقول رؤبة (ديوانهُ ص ١٤٩):

انجيلُ أحبارٍ وحيٌ مُنَمْنِمُهُ ما خطَّ فيهِ بالمداد قَلَمُهْ

وكقول المرقش يصف رسوم الدار :

الدارُ قفرٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهر الاديم قَلَمْ

وقال في المفضَّليات (ص ٦٩٨) :

كتابُ مُحبِّرٍ هاجٍ بصيرٍ يُنَمِّقُهُ وحاذرَ ان يُعاقا

وقد ورد في تواريخ العرب القديمة ذكر آثار دينيَّة من النحت والتصوير عُني بها النصارى في انحاء الجزيرة . فمن ذلك ما رويناهُ سابقاً (ص ٣٣٤) عن نقوش وتصاوير القُلَّيس التي زان بها ابرهة تلك الكنيسة الشهيرة . وقد ذكر بعضهم تماثيلها فعدَّها لجهله اصناماً (اطلب في معجم البلدان وصف القُلَّيس وما قال هناك عن كُعَيْت ٤ : ١٧٢)

وما قيل عن كنيسة صنعاء يصحُّ عن بيعة نجران المعروفة بكعبة نجران التي عُني ببنائها بنو عبد المدان فان قدماء الكتبة يشيدون بمحاسنها ولعلَّ صورها التي بها الحبشة بعد محاربتهم لذي نوَّاس وفتحهم نجران فانَّ الحبش كانوا يحسنون التصوير . وفي الحديث الاسلامي انَّ بعض نساء محمَّد اللواتي كنَّ هاجرْنَ الى ارض الحبشة ذكرنَ امامهُ حسن كنيسة مارية هناك وتصاويرها . فقال لهنَّ محمَّد وهو في مرض الموت : «اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا ثمَّ صوَّروا فيه تلك الصور» (اطلب البخاريّ في باب المساجد)

وقد ورد في معجم البلدان لياقوت (٢ : ٧٠٣) ذكر كعبة نجران وصورها مع شهادةٍ لعموم نصارى العرب باتّخاذ الصور في كنائسهم . قال في وصف دير نجران :

«موضع باليمن لآل عبد المدان بن الديَّان من بني الحارث بن كعب . . . بنَوهُ مربَّعاً مستوي الاضلاع والاقطار مرتفعاً عن الارض يُصعَد اليهِ بدرجة على مثال بناء الكعبة فكانوا يحجُّونهُ وهم طوائف من العرب ممَّن يحلّ الاشهُرَ الحُرُم ولا يحجّ الكعبة . ويحجّهُ خثعم قاطبة وكان اهل ثلاث بيوتات يتبارون في البِيَع وربُّها اهل المنذر بالحيرة وغسَّان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران ويعملون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور . كان بنو الحارث بن كعب على ذلك الى ان جاء الاسلام »

ومن التصاوير التي لا تزال آثارها الى يومنا في جزيرة العرب ما تردان به كنيسة طورسينا

الراقية الى القرن السادس للمسيح فانَّ فيها من النقوش والفسيفساء والصور المختلفة اشياء كثيرة اتّسع في وصفها زوّار ذلك المقام الجليل وهي لمصوّرين وصنَعة بوزنطيين ارسلهم يوستنيانوس الملك لتشييد تلك المقامات وتزيينها بضروب النقوش

وكذلك مكّة كان للمصوّرين والنحّاتين النصارى فيها آثار ذكرها اقدم مؤرخ لتلك المدينة وهو ابو الوليد الازرقي في كتاب اخبار مكّة (ص ١١٠ — ١١١ طبعة ليبسيك) قال يذكر بناء قريش الكعبة في الجاهليَّة :

«وزوّقوا سَقفها وجدرانها من بطنها ودعائمها وجعلوا في دعائمها صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة فكان فيها صورة ابراهيم خليل الرحمن (١ . . . وصورة عيسى بن مريم وأمّهِ وصور الملائكة عليهم السلام اجمعين فلمَّا كان يوم فتح مكّة دخل رسول الله صلعم البيت . . . وامر بطمس تلك الصور فطُمست ووضع كفّيهِ على صورة عيسى بن مريم وأُمّه عليهما السلام وقال: امحوا جميع الصور الّا ما تحت يدي . فرفع يديهِ عن عيسى بن مريم وأمّهِ . . .»

ثمَّ روى عن عطاء بن ابي رباح «انهُ ادرك في البيت تمثال مريم مزوّقاً في حجرها عيسى قاعدًا مزوَّقاً» وذلك « في العمود الذي يلي الباب » وانَّهُ « هلك في الحريق في عصر ابن الزبير» . وروى عن ابن شهاب (ص ١١٣) « انَّ امرأة من غسّان حجّت في حاجّ العرب فلمَّا رأت صورة مريم في الكعبة قالت :بأبي وامّي انكِ لَعربيَّة . فامر رسول الله صلعم ان يمحوا تلك الصور الّا ما كان من صورة عيسى ومريم » . وذكر الازرقيّ ايضاً (ص ٤٥٠) انَّ في مكّة « دارًا لسعد القصير غلام معاوية بناها سعد بالحجارة المنقوشة فيها التماثيل مصوَّرة في الحجارة » . فلا شكَّ انَّ هذه التماثيل والصور اصطنعها النصارى في عهد الجاهليَّة . كما عُهد اليهم في زمن المهدي بناء مسجد مكّة وتزويقهُ . قال المقدّسي في كتابهِ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ص ٧٣) يذكر المهدي : «المسجد اليوم من بنائهِ وقد أُلبست حيطان الأَزوقة من الظاهر بالفسيفساء حُمل اليها صنّاع الشام ومصر ألا ترى اسماءهم عليهِ»

١) ذكر المسعودي في مروج الذهب (٤: ١٢٦) : « انهُ لما انهدمت الكعبة بالسيل سُرق منها غزال من الذهب وحلي وجواهر فنقضتها قريش وكان في حيطانها صُور كثيرة بانواع من الاصباغ عجيبة منها صورة ابراهيم الخليل في يدهِ الازلام ويقابلها صورة اسمعيل ابنهِ يمير بالناس مقيضاً والفاروق قائم على وفد الناس يقسّم فيهم . وبعد هذه الصورة صور كثيرة من اولادهم الى قُصيّ بن كلاب وغيرهم في نحو ٦٠ صورة مع كلّ واحدةٍ من تلك الصور إلهُ صاحبها وكيفيَّة عبادتهِ وما اشتهر من فعلهِ »

والى هؤلاء الصَنَعَة النصارى تُعزى ايضاً النقوش والتصاوير المختلفة بالفسيفساء التي مرَّ لنا ذكرها في الكلام عن الجامع الاموي في دمشق وفي الاقصى في القدس الشريف وفي جامع النبيّ في المدينة . وكذلك النقوش والتصاوير التي اشرنا اليها في الهندسة المدنيَّة في قصور المشتّى وقُصَير عمرة والأُخَيْضِر فانها كلها اعمال صنَعَة يُدعون في الغالب روماً وهم من نصارى الشام ومصر والعراق

ومما وقف عليه ارباب العاديَّات والسياح في الحقبة الاخيرة كنائس قديمة بعضها مطمور في الارض يرتقي عهدها الى القرون الثلثة قبل الاسلام في العراق وما بين النهرين وجهات الاناضول والارمن على جدرانها تصاوير شتّى يدلّ بعضها على براعة اصحابها في الفنّ ونُقلت رسومها في المجلّات الاثريّة او في تآليف مستقلّة

وكان صَنَعَة الحياكة ينسجون الاقمشة ويزينونها بالصلبان والتصاوير فشاعت بين العرب وقد ورد ذكرها غير مرّة في اخبار نبيّ الاسلام وفي الحديث (اطلب مجلّة المنار في مجلدها العشرين ص ٢٢٠—٢٣٠) فمن ذلك ما رواهُ عن مسلم انَّ عائشة «سترت جانب بيتها بقِرام (اي سِتْر احمر) عليه تصاوير وتماثيل» وانها «اشترت نُمْرقةً عليها تصاوير» وانها «سترت بابها بدرنوك (اي طنفسة) فيه الخيل ذات الاجنحة» . وكانت هذه الانسجة يحيكها اهل اليمن النصارى كما سترى فيزينون نقشها بالتصاوير

وكانوا يصوّرون على بعضها الصليب وصور القديسين ويتّخذونها كألوية كما ذكرنا سابقاً (ص ٣٣٤) عن راية بني تغلب الممثلة لمار سرجس . ومن هذا القبيل راية العُقاب التي اتّخذها خالد بن الوليد في اوّل عهد الاسلام (اطلب ياقوت ٣ : ٦٩٠ — ٦٩١) دُعيت بذلك لصورة عُقاب كان منسوجاً فيها

ومما يدخل في هذا الباب نقود نصرانيَّة عليها صور ملوك وقديسين اتّخذها اولياء الامور والخلفاء في اوّل الاسلام فطبعوا عليها شعارهم او عبارة قرآنيّة يوجد منها شيءٌ في المتاحف الكبرى . وقد ذكرنا في مجلّة المشرق (١٨ [١٩٢٠] : ٧٩٩) نقوداً للسلجوقيين وللأُرتقيين مصوَّرة فيها صور ملوك الروم او اوليائهم وبعضها يمثّل شخص السيّد المسيح وأمه الطاهرة

وبالاجمال يمكننا القول بانَّ فن التصوير لولا الصنَعةُ النصارى في انحاء الشرق كان فُقد بعد ظهور الاسلام لانَّ اصحابهُ استنكفوا من صناعة التصوير لما وجدوا فيها من

المثرة وخطر الشرك واستنادًا الى ما رُوي في الحديث: «ان الملائكة لا تدخلُ بيتاً فيهِ كلبٌ او تصاوير» وانهُ «اشدّ الناس عذاباً عند الله المصوّرون» وانَّ «كلَّ مصوّر في النار» فكسد لذلك فنّ التصوير بين المسلمين الّا العجم منهم الى أن عادوا فاتّخذوهُ زينةً وفرقوا بين صور العبادة وغيرها . ولا شكَّ انَّهم التجأوا الى النصارى فتعلَّموهُ منهم . وبرع فيهِ بعض المسلمين كالكتاميّ والنازوك والقصير وابن العزيز الذين ذكرهم المقريزي في كتاب الخطط (٢: ٣١٨) في وصف جامع القرافة وذكر شيئاً من اعمالهم . وقد قال العلّامة غايه (Al. Gayet) في كتابهِ الصناعة العربيَّة (ص ٢٥٠—٢٥٢) «انّ ما يوجد في مصر من آثار التصوير والحفر والاشغال الخشبيّة ونقوش الانسجة والزجاج كلّها مأخوذة عن الصَّنعة الاقباط الذين علّموا هذه الفنون المسلمين في مصر كما يقرُّ بهِ المسلمون انفسهم»

٤ فنّ الموسيقى والغناء

الموسيقى من اجلّ الفنون الجميلة غايتها تأليف الالحان وتناسب النغمات وتنظيم الاوزان المحرّكة للنفس تحريكا ملذًا . فمنها الموسيقى الطبيعيَّةُ لتلحين الاصوات البشريَّة والآليَّةُ المتَّخذة من آلات الطرب كالعود والارغن . وكلتاهما امَّا دينيَّة لتمجيد الله وتحريك القلوب على خدمته ولمّا مدنيَّة ليسلو بها الانسان عن اشجـانهِ وتطرب بنغماتها الصدور وتتشنَّف بالحانها الآذان فتهيّج في سامعيها مختلف العواطف الليّنة او الشديدة المحزنة او البهجة على حسب ايقاعها . ولذلك قال بعضهم: انَّ الغناء غذاء الارواح كما انَّ الشراب غذاء الاشباح

ولم يكن العرب ليجهلوا هذا الفنّ وبعض اصولـهِ في الجاهليَّة كما يؤخذ من روايات شتّى اثبتها ابو الفرج الاصفهاني في كتابه الشهير بالأغاني وربمـا دلّ على بعض اوزانهِ ونغماتهِ بمفردات كان اصطلح عليها قدماء المغنّين فكشف بعض المحدثين شيئاً من اسرارها (١

١) اطلب مقالات حضرة الاب كولنجت عن الموسيقى العربيَّـة في المجلَّة الاسيويَّة الفرنساويَّة (Journal Asiatique, 1905. IV. 365 et VIII. 149)

هذا في غناء اهل الحضر اماً عرب البادية فلم يعرفوا الّا القليل من هـذا الفنّ كالحداء لسَوْق ابلهم وكالبسيط من التـلاحين يسمّونها بالترنّم والتهليل والسناد والهزج. قال ابن خلدون في المقدّمة (٢: ٣٥٩ من طبعة باريس): «وهذا كلهُ من اوائل التلاحين لا يبعد ان تتفطّن لهُ الطباع من غير تعليم شأن البسائط كلها من الصنائع ولم يزل هذا شأن العرب في بداوتهم وجاهليّتهم»

ولا نشكّ انّ نصارى العرب في الجاهليّة احرزوا لهم فخرًا في هـذا الفنّ كما اصابوهُ بالفنون الجميلة السابق ذكرها وذلك في قسمَي الموسيقى الدينيّة والمدنيّة معاً

﴿الموسيقى الدينيّة﴾ اثبتنا في ما سبق لنا من الكلام كم كان لنصـارى العرب من كنائس واديار وصوامع ومقامات دينيّة شتّى في كلّ انحاء الجزيرة في شمالها وجنوبها واواسطها كانت تقام فيها الحفلات الدينيّة. ومن المعلوم انّ الرتب النصرانيّة تُباشَر غالبـاً بالغناء والترتيل سواء أُنشدت التسـابيح التقويّة او تُليت المزامير والصلوات الفرضيّة وذلك منذ اوائل النصرانيّة كمـا ورد في رسائل القديس بولس حيث قال لاهل افسس (٥: ١٨—١٩): «امتلئوا من الروح متحـاورين فيما بينكم بمزامير وتسابيح واغانيّ روحيّة ومرنّمين ومرتّلين في قلوبكم للرب» . ومثلهُ قولهُ لاهل كولسيّ (٣: ١٦)

وقد ورد في كتب العرب انّ الرهبان كانوا اذا خافوا الملالة والفتور على ابدانهم ترنّموا بالالحان واستراحت اليهِ انفسهم . وقال الابشيهيّ في المستطرف في كلّ فنّ مستظرف (٢ : ١٧٧) : « لاهل الرهبانيّة نغمات والحان شجيّة يمجّدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكّرون نعيم الآخرة» . وقد قيل في مغنّ منهم (ياقوت ٢ : ٦٩١)

اذا رجّع الانجيلَ واهتزَّ مائدًا تذكّر محزونٌ وحنَّ غريبُ
وهاج لِقلبي عند ترجيع صـوتهِ بلابـلُ اسقـامٍ بهِ ووجيبُ

وقيل في غيرهم (٢ : ٦٩٥) :

اني طربتُ لرُهبـان مجاوبةٍ بالقدسِ بعد هدوّ الليل رُهبانا

وفي الشعر الجاهلي الفاظ اطلقوها على غناء القسوس والرهبـان . فيقولون « هينَمَ القسّ» اذا نغّم بخفوت الصوت . قـال ابن بن خُرَيم يشير الى تقديس الكأس عند النصارى (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

ولم يشهد القسُّ المهيمِن نارَها طروقاً ولا صلّى على طبخها حَبْرُ

ومثلهُ «زَمْزَمَ» اي طرَّب في صوتهِ خفياً. قال الاعشى في المعنى (شعراء النصرانيَّة ص ٣٧٨) :

لها حارسٌ لا يبرحُ الدهرَ بيتها وإن ذُبحت صلَّى عليها وزَمْزما

واذا رفع صوتهُ بالدعاء قالوا «سبَّح» وانشدوا :

وما سَبَّحَ الرهبانُ في كلّ بيعةٍ ابيلُ الابيلين المسيحُ بن مَرْيما

واذا تغنَّى القسُّ بقراءتهِ قيل شَمْعل. واذا اطلق صوتهُ بالدعاء قيل جأر. قال ربيعة بن مقروم في وصفهِ راهباً (الاغاني ١٩ : ٩٢)

يَجأر ساعات النيام لربّهِ حتَّى تخدَّد لحمهُ مُتَشَمْعِلِ

(قال) المُتَشمعل المتغني في تلاوة الزبور. وقال عديّ بن زيد النصرانيّ يقسم برئيس دينهِ :

انّي واللهِ فاقبلْ حلفتي بأبيلٍ كلَّما صلَّى جَأرْ

وقولهم «رجع الانجيل» اذا ردَّد نغماتهِ في حلقهِ. وقد مرَّ. ومثلهُ التلحين في قراءة الانجيل. وجاء في الحديث (ارشاد الانام للشيخ عليّ سالم ص ١٩ وفي الجامع الاصغر) : «ايّاكم ولحون اهل الكتابين. اي التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى فانهم كانوا يُراعون حُسْن الصوت ولا يلتفتون الى تدبُّر المعنى» (كذا). فمن هذا كلّهِ ترى ما كان من المقام السنيّ للغناء الديني بين نصارى العرب

ولمّا ظهر الاسلام وشاع القرآن بين اهلهِ اخذوا قراءتهُ وتلحينهُ من قراءة وتلحين نصارى العرب. روى الفاكهي في كتاب اخبار امّ القرى (ص ٩) عن عائشة قالت: سمع النبي صلعم قراءةَ ابي موسى الاشعريّ فقال : لقد أُوتي هذا من مزامير داؤد. وجاء في الحديث في الجامع الاصغر (اطلب ارشاد الانام للشيخ عليّ سالم ص ١٧ و١٩) : «سيجيءُ بعدي قوم يرجّعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانيَّة والنَّوح لا يجاوز حناجرهم مفتونةٌ قلوبهم بقلوب من يعجبهم شأنهم». وروى ايضاً في الحديث: «اقرأوا القرآن بلحون العرب واياكم لحون اهل الكتابين»

٣° الموسيقى المدنية: راجت في الجاهليَّة في دور الملوك من تبابعة وغساسنة

ومناذرة . وقد عرف القرّاء من فصولنا السابقة نفوذ النصرانيّة بين هؤلاء الملوك الذين تقلّدوا في افراحهم عادات الشعوب المجاورة لهم لا سيَّما اليونان والفرس والروم والدليل على ذلك ما قالهُ المسعودي في مروج الذهب (٨ : ٩٩): « انَّ العودَ عند اكثر الامم وجُلِّ الحكماء يونانيٌّ صنعةَ اصحاب الهندسة على هيئة طبائع الانسان». ثمَّ انَّ كثيرًا من الالفاظ الدالَّة على ادوات الغناء دخيلة فممَّا استعاروهُ من الروم الارغن (ὄργανον) والبَربط (βάρβιτος) والسَّنطور (ψαλτήριον) والقانون (κανών) والقيثار (κιθάρα) . وكانوا يأتون بالقيان الروميَّات وغيرهنَّ كما روى حسَّان بن ثابت في وصفهِ لبعض الحفلات التي احتفل بها ملك غسَّان جبلة بن الايهم قال (اغاني ١٦ : ١٥) : «لقد رأيتُ عشر قيان خمس روميات يغنّين بالروميَّة بالبرابط وخمس يغنين غناء اهل الحيرة » اهداهنَّ اليهِ اياس بن قبيصة

ومنهُ يتَّضح انَّ الغناء والادوات الموسيقيَّة استعارها العرب من الامم المجاورة لا سيَّما النصرانيَّة . امَّا اهل البادية فبقي هذا الفنّ بينهم في بساطتهِ على موجب معرفتهم الفطريَّة . وقد شهد على ذلك ابو الفرج في كتابهِ الاغاني قال يذكر عمر بن الخطَّاب اوَّلَ الخلفاء الراشدين ومفتدًا قول ابن خرداذبه (٨ : ١٣٩) :

« ولا كان الغناء العربي ايضًا عُرف في زمانهِ الَّا ما كانت العرب تستعملهُ من النَّصْب والحداء وذلك جارٍ مجرى الإنشاد الَّا انهُ يقع بتطريب وترجيع يسير ورَفْع للصوت ... واوَّل من دُوّنت لهُ صنعته منهم (اي من الخلفاء) عمر بن عبد العزيز فانهُ ذُكر عنهُ انهُ صنع في ايَّام امارتهِ على الحجاز سبعة الحان ... ومن الناس من ينكر ان تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصنعة ... ولم يوجد في وقت من الاوقات ولا حالٍ من الحالات اشتهر بالغناء ولا عرف بهِ ولا بمباشرة اهلهِ ... ومخالفوهم قد ايَّدهم اخبارٌ رويت »

وفي ايَّام بني اميَّة اشتهر اوَّل المغنّين من العرب وهم : ابو يحيى عبيد الله بن سريج المتوفّى بالجذام في زمن هشام بن عبد الملك . ثمَّ ابو الخطَّاب مسلم بن محرز وكان اصلهُ من الفرس . ثم سعيد بن وهب كان ابوه اسود وكان هو خلاسيًّا مات في ايَّام الوليد بن يزيد في دمشق . ثمَّ الغريض واسمهُ ابو يزيد وقيل ابو مروان عبد الملك . وابو الوليد مالك بن ابي السمح . وسبقهم ابو عثمان سعيد بن مُسجح وكان في ايَّام معاوية

ولا شكَّ انَّ نصارى العراق والروم مع اهل فارس هم الذين علَّموا هؤلاء فنَّ

الغناء. قال ابو الفرج في كتاب الاغاني (ص ٣ : ٨٤) وقولهُ حجّة في هذا الباب في ترجمة ابن مُسْجح انهُ :

« مكّيّ اسود مغنٍّ متقدّم من فحول المغنّين واكابرهم واوّل من صنع الغناء منهم ونقل غناء الفرس الى غناء العرب ثمّ رحل الى الشام واخذ الحان الروم والبربطيّة والاسطوخوسيّة (اي تنظيم الاوزان (στοιχειώσεις) وانقلب الى فارس فاخذ بها غناءً كثيرًا وتعلّم الضرب. ثمّ قدم الى الحجاز وقد اخذ محاسن تلك النغم وألقى منها ما استقبحهُ من النبرات والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب وغنّى على هذا المذهب فكان اوّل من اثبت ذلك ولحّنهُ وتبعهُ الناس بعد ... وهو الذي علّم ابن سريج والغريض »

وجاء له في محلّ آخر عن الغريض (٢ : ١٤٦) :

« قال هارون بن محمّد الزيّات حدّثني حمّاد بن اسحاق عن ابيهِ انّ الغريض سمع اصوات رهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها فقال لهُ مَنْ معهُ : يا ابا يزيد صُغْ على مثل هذا الصوت لحناً فصاغ مثلهُ في لحنهِ : « يا امَّ بكرٍ ... » فما سُمع باحسن منهُ »

فترى تأثير غناء النصارى والرهبان في الغناء العربيّ في الاسلام. ولنا ما هو اشهر من ذلك نزيد بهِ ترجمة بعض المغنّين من الذين ذكرهم ابو الفرج وغيرهُ من كتبة العرب. فمنهم حُنَيْن الحيري من فحول المغنّين روى ابو الفرج ترجمتهُ (1 في الاغاني (٢ : ١٢٠–١٢٧) وقال هناك انهُ من العباديين واخوالهُ من بني الحرث ابن كعب النصارى كان في ايام بني اميّة وهو من اهل الحيرة وكان مغرماً بالغناء فاتصل الى أن نبغ فيهِ وفي صناعة العود وكان نسيج وحدهِ في العراق فبلغ خبرهُ المغنين في الحجاز ابن سريج والغريض ومعبد فكتبوا اليهِ ووجّهوا اليهِ نفقةً ليشخص اليهم فخرج الى الحجاز وسكن في بيت سكينة بنت الحسين بن علي ابي طالب فمات عندها وذلك لأن الناس ازدحموا على سطح بيتها ليسمعوا غناءهُ فسقط الرواق ومات حنين تحت الردم. وجاء في الفهرست لابن النديم (ص ١٤١) انّ لاسحاق الموصليّ كتابا في اخبار حُنَيْن الحيريّ

واشتهر في الغناء في اوائل الاسلام من النصارى غير حنين. منهم عَوْن الحيريّ وكان عباديًا ايضاً ذكرهُ صاحب الاغانيّ (٣ : ١٢٥ و١٠ : ١٣٥). وذكر برصوما الزمّر (٥ : ٣٤ و٤٦ الخ) وذكر ايضا بعض الحيريّين وبهِ يثبت قولنا انّ للنصرانيّة

1) اطلب مجلة الاسيوية الفرنسوية (Journ. As., 1873[b], 425-433)

في عهد الجاهليَّة واوائل الاسلام فضلًا في اشاعة الغنـاء والموسيقى العاميَّة والمدنيَّة كما اشاعوا بين العَرب الغناء والموسيقى الدينيَّة. وكانت طريقتهم في الغناء على النمط القديم المستحسن الى ان اشتهر في ايَّام الرشيد اخوه ابراهيم بن المهديّ الذي قال عنهُ ابو الفرج في الاغاني (٩ : ٣٥) انهُ «هو اوَّل من افسد الغناء القديم وجعل للناس طريقاً الى الجسارة على تغييره»

الفصل الحادي عشر

العلوم والصنائع بين نصارى العرب

بديهيّ انَّ عيشة العرب الساذجة في البوادي تحت الخيم بين الشاء والنوق لا تحتاج الى علوم واسعة وصنائع راقية . واحسن ما قيل في ذلك ما ورد في كتاب طبقات الامم للقاضي ابي قاسم صاعد الاندلسيّ (١ حيث بيَّن إجمالاً مـا كان عليهِ العرب من البداوة وقلَّة الاكتراث بالعلوم سواء كانوا من اهـل المدَر او اهل الوبر حتَّى قال انهم «لم يكن فيهم عالم مذكور ولا حكيم مشهور» على انَّهُ استثنى منهم اهل اليمن وبني حِمْيَر فسلَّم لهم بالمعارف الدالَّة عليها الآثار الباقية من عهدهم وخصَّ منهـا علم النجوم وعلم الهندسة . وكذلك لم ينكر انَّ لبقيَّـة العرب في عهـد الجاهليَّة واوَّل ظهور الاسلام الماماً في مرئيَّات الافلاك والمواقيت والطبّ. ومعرفةً ببعض الصنائع . وها نحن نذكر هنا ما يثبت قولنا في نفوذ النصرانيَة بين عرب الجاهليَة من جهة بعض العلوم والصنائع

١ العلوم بين عرب الجاهلية

ذكرنا منها في فصل الفنون الجميلة (علم الهندسة) وما كان للنصارى من الفضل

(١ راجع طبعتنا (ص ١-٦٧) التي سبقنا نشرها مع شروح وفهارس سنة ١٩١٢ فاختلسها عبد الرؤوف افندى الدبَّاغ ونشرها في مصر بعد تجريدها عن فوائدها

في الآثار البنائيَّة الدينيَّة والمدنيَّة قبل الهجرة وفي اوَّل الاسلام فليراجع . ونضيف الى قولنا هناك انَّ النصارى اوَّل من نقل الى العربيَّة كتب اوقليدوس في الهندسة وذلك في صدر الدولة العبَّاسيَّة نقلهُ اوَّلاً الحجَّاج بن يوسف بن مطر ثمَّ ثابت بن قرَّة . فبقي علينا ان نثبت ما ادَّاهُ النصارى للعرب من الخدم في علوم الطبّ والنبات والنجوم والفقه . امَّا الشعر والعلوم اللغويَّة فسنفرد لها باباً آخر

﴿ الطبّ ﴾ قال صاعد (ص ٤٧) : « انَّ صناعة الطبّ كانت موجودة عند جماهير العرب لحاجة الناس طرًّا اليها » . لكنَّ هـذا العلم قد اقتبسوهُ من الامم النصرانيَّة المجاورة ولا سيَّما من الكلدان والسريان واليونان . وكان للسريان مدارس طبيَّة ومستشفيات في العراق وفارس في جنديسابور وكذلك اليونان اشتهرت مدرستهم الطبيَّة في الاسكندريَّة . فان تصفَّحنا التواريخ القديمة وجدنا ان الطبّ شاع بين العرب بواسطة حكماء نصارى او متطبّبين من تلامذتهم

فممَّن سبقوا الاسلام وجاء ذكرهم في تواريخ الاطباء تيادروس . قال ابن النديم في الفهرست (ص ٣٠٣) ونقلهُ عنهُ ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء في طبقات الاطبَّاء (١ : ٣٠٧) : « تيادروس كان نصرانيًّا ولهُ معرفة جيدة بصناعة الطبّ ومحاولة لاعمالها وبنى له سابور ذو الاكتاف البيَع في بلدهِ ويُقال ان الذي بنى لهُ البيَع بهرام جور ولتيادروس من الكتب كنَّاش (اي مجموع طبي) »

وقد سبقَ عهد الاسلام ايضا اطبَّاء سريان او روم شاعوا عند العرب كاهرن بن اعين المعروف بالقس الذي وضع كنَّاشاً بالسريانيَّة في ٣٠ مقالة قال ابن جلجل انَّ عمر بن عبد العزيز وجـدهُ في خزائن الكتب فامر ماسرجويه اليهودي باخراجهِ فوضعهُ في مصلَّاهُ واستخار الله في اخراجهِ الى المسلمين للانتفاع بهِ » (ابن ابي اصيبعة ١ : ١٦٣) . وكشمعون الراهب المعروف بطيبويه (١ : ١٠٩) وكسرجيس الراسعينيّ اوَّل ناقل كتب اليونان الى السريانية . وكسرابيون ويوحنَّا ابنهِ من اهـل باجرمي . فليوحنَّا كتاب كنَّاش كبير في سبع مقالات . وذكر ابن بختيشوع في تاريخهِ من الاطبَّاء الروميين اصطفن الحرَّاني واقرن الروميّ (تاريخ الحكماء للقفطي ص ٥٦) . وذكروا طبيباً آخر روميًّا يدعونهُ انسطاس ولم يعرفوا زمانهُ ضربوا بهِ المثل في الحذق بالطبّ . وقيل من اسمهِ اشتقُّوا اللفظة العربيَة النَّطس او النطـاسيّ (تاج العروس ٤ : ٢٥٨) .

قال اوس بن حَجَر يذكر رجلًا من تَيم الرِباب اسمهُ حِذْيَم ضُرب المثل بحذقهِ في الطبّ:

هل لكمُ فيها اليَّ فانّني طبيبٌ بما أعيا النِطاسيَّ حِذْيَمَا

واشهر من هؤلاء الحارث بن كَلَدة الثقفيّ المعروف بطبيب العرب كان من نصارى النساطرة. وقد اتسع في ترجمتهِ وذكر مآثرهِ الطبيّة كثيرون من كتبة العرب كالقفطيّ في تاريخ الحكماء (ص ١٦١) وابن ابي اصيبعة (١ : ١٠٩) وابن قتيبة في المعارف (ص٩٨) وذكر لهُ ابن عبد ربّه شعرًا (في العقد الفريد ٣ : ١١٤) قالوا انهُ كان من الطائف وسافر الى بلاد فارس واخذ الطبّ من نصارى جنديسابور وغيرها وبرَّز في صناعة الطبّ وطبَّب في فارس وعالج بعض اجلّائهم فبرئوا وحصل لهُ بذلك مال كثير ثمَّ رجع الى بلدهِ الطائف وادرك الاسلام فاتخذهُ صاحبهُ كطبيب. وكان محمَد يأمر من بهِ علّة ان يأتيهُ وبقي الى ايام معاوية. قال ابو زيد: «وكانت للحارث معالجات كثيرة ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج اليه». وقد ذكروا انهُ حِكماً واقاويل عديدة تدلُّ على تقوب عقلهِ وكثرة علمهِ. وقالوا انهُ أَسلم لكنَّ اسلامهُ لم يصحّ

وتبع الحارثَ ابنهُ النضرُ بن الحارث بن كَلَدة وهو ابن خالة نبيّ المسلمين قال ابن ابي اصيبعة (١ : ١١٣): «وكان النضر قد سافر البلاد ايضاً كأبيهِ واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكّة وغيرها وعاشر الاحبار والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة اشياء جليلة القدر واطّلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمــة وتعلَم من ابيهِ ايضاً ما كان يعلمهُ من الطبّ وغيرهِ» ثم ذكر معاداتهُ لمحمّد وسعيهُ بأذاهُ الى ان كان يوم بدر فانتصر محمّد وانصارهُ على اعدائهم وكان النَضْر من جملة المــأسورين فامر بقتلهِ (سنة ٦٢٤ م). وقد روينا سابقاً رثاء اختهِ قتيلة لهُ (اطلب الاغاني ١ : ١٠) وقول محمّد عند ما سمع ابياتها: «لو سمعتُ هذا قبل ان اقتلهُ ما قتلتهُ»

وقد ذُكر من الاطبــاء النصارى في صدر الاسلام عبد الملك بن ابجر الكنانيّ. قال فيه ابن ابي اصيبعة (١ : ١١٦): «كان طبيبا عالما ماهرًا وكان مقيماً في اوَّل امرهِ في الاسكندريَّة لانهُ كان متولّي التدريس بها من بعد الاسكندرانيين وذلك عند ما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى. ثم ان المسلمين لمَّا استولوا على البلاد وملكوا الاسكندريَّة أَسلم ابنُ ابجر على يد عمر بن عبد العزيز وكان

حينئذٍ اميرًا قبل ان تصل اليهِ الخلافة وصحبهُ . فلمّا افضت الخلافة الى عمر وذلك في صفر سنة ٩٩ للهجرة نقل التدريس الى انطاكية وحرّان وتفرّق في البلاد وكان عمر بن عبد العزيز يستطبّ ابنَ ابجر ويعتمد عليهِ في صناعة الطبّ »

واشتهر في الطبّ غير هؤلاء من نصارى العرب في اوائل الاسلام ذكر منهم القفطيّ وابن ابي اصيبعة الطبيبَ ابن الأثال. قال في طبقات الاطبّاء (١ : ١١٦) : «كان طبيباً متقدّماً من الاطبّاء المتميّزين في دمشق نصرانيّ المذهب ولمّا ملك معاوية ابن ابي سفيان دمشق اصطفاهُ لنفسهِ واحسن اليه وكان كثير الافتقاد لهُ والاعتقاد فيهِ والمحادثة معهُ ليلًا ونهارًا وكان خبيرًا بالادوية المفردة والمركّبة» . وقد روى في الاغاني (١٥ : ١٣) كيف قتلهُ خالد بن المهاجر لانهُ سقى بامر معاوية سمًّا عمَّهُ عبد الرحمان بن خالد

واشتهر ايضاً في ايّام معاوية الطبيب النصرانيّ ابو الحكَم الدمشقيّ . قال ابن ابي اصيبعة (١ : ١١٩) : «كان طبيباً نصرانيًّا عالمًا بانواع العلاج والادوية ولهُ اعمال مذكورة وصفات مشهورة وكان يستطبُّهُ معاوية ويعتمد عليهِ في تركيبات ادوية لاغراضٍ قصدها منهُ . وعُمّر ابو الحكم عمرًا طويلًا حتى تجاوز المئة سنة» . ثم ذكر ابنهُ الحكم وحفيدهُ عيسى بن الحكَم وجرى كلاهما على خطّتهِ متطبّبَين وماتا في عهد الدولة العبّاسيّة

ومن مشاهير الاطبّاء المسيحيين في اوائل الدولة الامويّة تياذوق وثاودون «كان تياذوق طبيباً فاضلًا ولهُ نوادر والفاظ مستحسنة في صناعة الطبّ وكان في اوّل دولة بني اميّة ومشهورًا عندهم بالطبّ . وصحب ايضاً الحجّاج بن يوسف الثقفي المتولّي من جهة عبد الملك بن مروان وخدمهُ بصناعة الطبّ وكان يعتمد عليهِ ويثق بمداواتهِ وكان لهُ منهُ الجامكيّة الوافرة والافتقاد الكثير .. ومات تياذوق بعد ما اسنّ وكبر وكانت وفاتهُ في واسط في نحو سنة ٩٠ للهجرة . ولهُ من الكتب كنّاش كبير الّفهُ لابنهِ وكتاب ابدال الادوية وكيفيّة دقّها وايقاعها واذابتها» (ابن ابي اصيبعة ١ : ١٢١) . امّا ثاودون فذكرهُ ابن العبري في تاريخهِ (ص ١٩٤) وذكر لهُ ايضاً كنّاشاً ولم نجد لهُ ذكرًا في غيره

فترى صدق قولنا في فضل النصارى العرب في فنّ الطبّ والمعالجات . امّا فنّ

الجراحة فزاولها رجل نصراني من تميم على عهد رسول الاسلام اسمهُ ابن ابي رِمْثة ذكرهُ ابن ابي اصيبعة (١ : ١١٦) قال انه كان مزاولاً لاعمال اليد وصناعة الجراحة وقد صحّفهُ المرحوم جرجي زيدان في كتاب التمدُّن الاسلامي (٣ : ٢١) بابن ابي رومية

﴿علم النبات﴾ يُلحق العرب علمَ النبات بعلم الطبّ الذي يستمدُّ منهُ موادَّهُ وادويتهُ وذلك ما يدعونهُ بالمفردات ومنها يستحضر الاطبَّاء أدويتهم فيعدُّون المركَّبات. ولا جرم انَّ العرب في الجاهليَّة عرفوا كثيراً من النباتات التي تنمو في جزيرتهم وعلموا بالتجربة فوائدها الغذائيَّة والعلاجيَّة. والدليل عليهِ ما ورد في معاجمهم من اسماء النباتات التي جمع منها الاصمعيّ كتاباً دعاهُ كتاب النبات والشجر نشرهُ الدكتور هفنر في مجموعنا الموسوم بالبلغة في شذور اللغة (ص١٧—٦٢) ونشر ايضاً للاصمعي كتاب النخل والكرم (٦٣—٩٨)

غير ان هذه اللغويات لا يحصل منها علمٌ مفيد الَّا بمعرفة خواصّ تلك المفردات ومنافع كل صنف من النبات. وقد اصبح النصارى في هذا العلم كما في علم الطب قوماً وسطاً بين القدماء والعرب. فانَّ الاطباء الذين ذكرهم اذ درسوا في مدارس الاسكندرية وجنديسابور اقتبسوا منها ايضاً علم النبات الصالح للطب والغذاء. والدليل عليهِ فصول اوردها ابن ابي اصيبعة وغيرهُ من الكتبة للحارث بن كلَدة فيها عدَّة اوصاف للادوية النباتيَّة وللاشجار والاثمار والحشائش ذكرها في محاورة جرت لهُ بينهُ وبين كسرى انوشروان

وكذلك تآليفهم التي دعوها بالكنَّاشات وهي لفظة سريانيَّة يراد بها المجاميع الطبيَّة واوصاف الادوية المتَّخذة عموماً من النبات

ولعلّ هؤلاء الاطبَّاء درسوا كتاب ديسقوريدس العين زربيّ اليوناني في النبات والحشائش والادوية المفردة في اصلهِ اليونانيّ وعليهِ كان المعوَّل في الطب القديم. لمَّا ترجمتهُ العربية فكان النصارى ايضاً اوَّل المُقدمين عليها. قال ابن جُلجل (في طبقات الاطبَّاء ٢ : ٤٦—٤٨): «انَّ كتاب ديسقوريدس تُرجم بمدينة السلام في الدولة العبَّاسيَّة في ايَّام جعفر المتوكل وكان المترجم لهُ اصطفن بن بسيل الترجمان من اللسان اليونانيّ الى اللسان العربيّ وتصفَّح ذلك حنين بن اسحاق المترجم فصحَّح الترجمة واجازها». ثمَّ قال ما خلاصتهُ انَّ اصطفن كان ابقى اسماء كثيرة من النباتات على

لفظها اليوناني لجهلهِ ما يوافقها في اللسان العربي . وبقي الامر كذلك الى ان ارسل ملك الروم الى صاحب الاندلس الملك الناصر عبد الرحمان نسخة من كتاب ديسقوريدس مع صور الحشائش بالوانها ثمَّ إرسل اليهِ راهباً يدعى نيقولا جاء الى قرطبة سنة ٣٤٠هـ (٩٥١ م)وأعاد النظر في ترجمة اصطفن فصحَّحها ووضع للنباتات اسماء عربيَّة موافقة لها وذلك بصحبة اطبَّاء وجدهم هناك ذوي معرفة بالنباتات والعقاقير فصارت هذه الترجمة هي المعوَّل عليها واستفاد منها ابن جاجل وابن البيطار في تآليفهما عن المفردات . ثمَّ كان لجالينوس ايضاً تأليف في النبات عرَّبهُ حنين بن اسحاق

٣(علم النجوم) : انَّ صفاء اديم السماء في انحاء جزيرة العرب في معظم ليالي السنة لمَّا ألفتَ انظار اهلها الى ما زيَّن بهِ الله الافلاك من النجوم والكواكب والسيَّارات فعرفوها منذ سالف الاعصار ودلُّوا اليها باسماء شاعت بعدئذ بين الامم الغربيَّة وهي لا تزال الى اليوم جاريةً على لفظها العربي بين ارباب الفلك . وكان ممَّا يبعث همَّتهم الى رصد الفلك ومراقبة النجوم حاجتهم اليها ليهتدوا بها في اسفارهم وهم قوم رحَّل يقطعون البراري والاقفار . ومنهم القوافل التي كان عليها المعتمد في المواصلات بين الهند وفارس وسواحل الشام . وكانوا استفادوا شيئاً كثيراً من ذلك بمجاورتهم للكلدان اللذين سبقوا جميع الامم في علم الفلك . فاخذوا عنهم علم الانواء الجويَّة وحركات السيَّارات ومنازل القمر ومنطقة البروج . وفي الشعر القديم آثار من ذلك

ولنا شاهد في سفر ايوب على معرفة العرب لاسماء النجوم وحركاتها في الفلك اذ كان ايوب النبيّ عربيَّ الاصل عاش في غربيّ الجزيرة حيث امتحن الله صبره . وكذلك في المجوس الذين اهتدوا بالنجم الى مذود السيّد المسيح شاهد آخر على قولنا والمجوس على رأي كثيرين من الآباء من شيوخ العرب . على انَّ هذا العلم كبقيَّة العلوم كان عند العرب عمليا ليس نظريا . وربَّما قام بينهم وفي جيرتهم مَن يبحث فيه بحثاً مدقّقاً . وكان السريان اول من فعلوا ذلك منهم بردَيصان المبتدع (راجع ترجمته في المشرق ١٨ : ٩٧٧) . ومنهم سرجيوس الراس عيني ويعقوب الرهاوي وجرجس المعروف باسقف العرب وساويرس سبوكت وغيرهم . وتآليفهم باقية الى يومنا

في خزائن كتب اوربّة الكبرى . منها ترجمتهم لعدّة مصنّفات يونانيّة لجالينوس ولاسيّما لبطلميوس القلوذي فانّهم نقلوا كتابهُ المجسطيّ وهو افضل وامتع كتاب وضعهُ اليونان في علم الهيئة . ثمّ تولّى بعدهم تعريبهُ وتفسيرهُ علماء النصارى اوّلهم حنين بن اسحاق ثمّ الحجّاج بن يوسف بن مطر الكوفي وثابت بن قرّة في عهد المأمون ثمّ عبد المسيح بن ناعمة الحمصيّ فاصبح مذ ذاك علم النجوم زاهرًا في الاسلام

❊ الفقه ❊ هو علم الاحكام الشرعيّة العمليّة . ولم يكن للعرب ان يستغنوا عنهُ وهو امّا دينيّ وامّا مدنيّ . وللنصارى في كليهما بعض الآثار بين عرب الجاهليّة

فامّا الفقه الديني فكان نصارى العرب يتّبعون احكامهُ المنصوصة في المجامع الكنسيّة العموميّة والخصوصيّة التي كان يُعلن بها اساقفتهم في انحاء الجزيرة . وكانت هذه الاحكام مكتوبة امّا باللغة السريانيّة كما ترى في المجامع النسطوريّة التي نُشرت بالطبع (راجع القسم الاوّل ص ٧١) وامّا باللغة اليونانيّة كالحقوق القانونيّة التي وضعها القديس جرجنسيوس رسول الحِميَريين بعد موت شهداء نجران (القسم الاوّل ص ٦٤)

وامّا الفقه المدني فغلب على المتنصرين من بني غسّان والقبائل المجاورة للفرات وما بين النهرين الفقهُ الرومانيّ كما نظّمهُ الملك يوستنيان . ولمّا جاء الاسلام ادخلوا كثيرًا من احكامهِ في الفقه الاسلاميّ كما بيّن ذلك العلماء الاوربيّون

وكان لقبائل العرب قضاةٌ نجد بينهم بعضاً من الدائنين بالنصرانيّة نخصّ منهم بالذكر قسّ بن ساعدة اسقف نجران المدعو بحكيم العرب وحَكَمهم . وزهير بن جناب القضاعيّ وذو الاصبع العَدْواني (راجع تراجمهم في شعراء النصرانيّة)

وقد اشتهر في الجاهليّة قضاة بني تميم واغلبهم نصارى بينهم اسقف نصرانيّ مرّ لنا ذكرهُ (ص١٢٦ و٢٥١) وهو محمّد بن سفيان بن مجاشع بن دارم (نقائض جرير والفرزدق ص٤٥٣) . وقد ورد هناك عن حكّام تميم ما حرفهُ (ص ١٣٩) : «كان حكّام بني تميم في الجاهليّة ستّةٌ : ربيعة بن مخاسن احد بني أُسَيّد بن عمرو بن تميم . وزُرَارة بن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم . وضَمْرة بن ضَمْرَة النَّهْشَلي . وأكثم بن صيفيّ . واوه صيفيّ من بني أُسَيّد بن عمرو . والأقرع بن حابس حتّى بَعَث الله نبيّهُ محمّدًا صاحم وهو الاقرع بن حابس بن عقال بن محمّد بن سفين بن

مجاشع» . وقال في تفسير قول جرير (ص٤٣٨) : «ونحنُ الحاكمون في عكاظٍ» : انَّ الحكام والائمة في الموسم (اي عكاظ) كانوا بعد عامر بن ظرب في بني تميم فكان الرجل يلي الموسم منهم ويلي غيرهُ القضاء . فكان من اجتمع لهُ الموسم والقضاء جميعاً سَعْدُ بن زيد مناة بن تميم . ثمَّ وليَ ذلك حنظلة بن مالك بن زيد مناة وولِيَهُ ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم . ثمَّ ولِيَهُ مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . ثمَّ الأضبط بن قُريع بن عوف بن كعب بن سعد . ثمَّ صَلْصل بن أوس بن مخاشن بن معاوية بن شُرَيف بن جُرْوة . وكان آخر تميميّ اجتمع لهُ القضاء والموسم سُفيان بن مجاشع فمات حتّى جاء الاسلام وكان محمَّد بن سفين بن مجاشع يقضي بعكاظ فصار ميراثاً لهم فكان آخر من قضى منهم الذي وصل الى الاسلام الاقرع بن حابس»

٢ الصنائع بين عرب الجاهلية

ان كان العرب في الجاهليَّة قد استغنوا عن كثير من العلوم لعدم حاجتهم اليها ليس الامر كذلك في الصنائع . فانهم كانوا مع سذاجة عيشهم يحتاجون الى كثير من المصنوعات التي لا تُنال الّا بالحِرَف والصناعات كالأكول والملبوس والاسلحة والعاملات التجاريَّة . وقد كان للنصارى من العرب اليد الطولى في كلّ ذلك كما سترى

❊ (صناعة النسيج والحياكة) هذه الصناعة من مذاهب الحضارة . فكان عربُ البادية يجهلونها وانّما شاعت بين عرب الحَضَر . واكثر ما نرى شيوعها بين نصارى العرب في جهات اليمن والبحرين والشام وفي بلاد قضاعة وكانوا يبيعون بعضها من اقباط مصر . وهذه بعض الشواهد على اثبات قولنا

قال الثعالبيّ في لطائف المعارف (طبعة ليدن ص ٢٨) انَّ اهل اليمن «كانوا يعيرون بالحياكة» . وكان المثل يضرب برياط اليَمَن وبِبُرود اليمن وربّما كانوا يخلطونها . قال اوس بن حَجَر :

فاني رأيتُ العرضَ احوجَ ساعةً الى الصَّوْن من رَيْطٍ يمانٍ مُسهَّمِ

وكانت البرود اليمانيَة غالية الثمن (التاج ٢ : ٣٠٠) ومنها ما كان يُصطنع في نجران . جاء في صحيح البخاريّ في باب البرود انّ صاحب الاسلام كان يلبس «بُرْدًا

نجرانياً غليظ الحاشية » . وقد وصفوا انواعــاً من برود اليمن ذكرها ابن سيده في المخصّص (٤ : ٧٢) كالعَصْب قال « هو ضرب من الثياب يُعصَب غزلهُ ويُدرَج ثم يُصبَغ ويُحاك يقال بُردُ عَصبٍ » . وكالمَرَاجل يقــال ثوب مُمَرْجَل اي على صنعة المِرجَل وهو ضرب من الوشي . وكالحَال وهو الثوب النــاعم . وكالحِبَرة والعَبَرة وكلها من برود اليَمَن

ومما نُسب من الثياب الى مخاليف اليمن الوشيُ العَبقري المنسوب الى عَبقَر من ارض اليمن والطنافس العبقرية . قال ياقوت (في مادة عبقر) : «بنو يزيد ينسجون الصوف فعمــلوا منهُ الزرابيّ العبقرية وعملوا البرود اليزيدية». ومما نُسب الى شَرعَب المخلاف باليمن البرود الشرعبيّة . ونُسب الى مخــلاف جَيشان الخُمُرُ الجيشانيّة . والى سَحُول ورَيدة قريتين في اليمن الثياب السَّحُولية المصنوعة من القطن الابيض قال طرفة (ديوانهُ ٧٦) :

وبالسَّفح آياتٌ كأنَّ رسومها يَمَانٍ وشَتْهُ رَيدَةٌ وسَحُولُ

والى السَّدير من ارض اليمن نسبوا البرود السَّديريّة قال الاعشى :

وبيداء قفر كبُرْد السديرِ مشاربُها داثراتٌ أُجُنْ

وكان اليمنيّون يعملون الرحال وينقشونها ويحسنون صنعها قال جرير (نقائض ٧٥٦) يصف رحالاً :

ومنقوشةٍ نقشَ الدنانير عوليَتْ على عجَلٍ فوق العتاق اليامِ

ومن ثياب اليَمَن الرَّقمُ والعَقْلُ وهما أحمران كانوا يسدلونهما على هوادج النساء (المفضليات ص ٥٧٨) . ومثلهما النزل اليماني ذكرهُ ابو الفرج في الاغاني (١ : ٣٢) . وما يدل على انَّ هذه المنسوجات كانت من صنع النصــارى ما ذكرهُ ابن سعد في طبقاتهِ في باب الوفود قال عن وفد نجران وكلّهم من النصارى انّ رسول الاسلام صالحهم « على الف حُلّة في رَجب والف في صَفَر اوقيةٌ كلّ حلّةٍ من الاواق وعلى عاريّة ثلثين درعاً وثلثين رمحاً وثلثين بعيراً وثلثين فرساً » . وقد تكرّر في كتب الحديث ذكر الحلل والانسجة والحرائر النجرانيّة

وكان العرب قبل الهجرة وفي اوائل الاسلام يقتنون ايضاً ملابسهم عند نصارى منبج واليها نسبوا الاكسية المنبجانيّة ويقال الانبجانيّة

وقد اشتهرت بين العرب المنسوجات القبطية. فان بعض مدنها كالاسكندرية ودمياط وتنيس والفرما كانت تحتوي على معامل شائعة الذكر قال ياقوت(٢ :٦٠٣) : «ان دمياط كان يُعمل فيها القَصَب البلخيّ من كلّ فنّ والثياب البيض الغالية الثمن والفرش القلموني من كلّ لون المعلّم والمطرَّز». والى القبط نُسبت القباطيّات وكانت ثياباً معروفة بالرقّة والدقّة والبياض. قال الكميت يصف ثوراً:

لياحٌ كأنْ بالأتحميّة مُشْبعٌ ازارا وفي قبطيّةٍ متجلببْ

وفي الحديث ان محمّدًا كان يجلّل بدنَهُ القباطيَّ والأنماط. والنَمَط ضرب من الثياب المصبغة . وقد ذكر المقريزي في الخطط (١ : ١٨١) أنهم في الاسلام كانوا يأخذون كسوة الكعبة من تنيس وذكر عن الفاكهيّ انهُ رأى لهارون الرشيد كسوة من قباطيّ تاريخها سنة ١٩٠هـ (٨٦٠ م) . وذكر ايضاً الثيابَ القيسيّة والثياب الدبيقيَة المنسوبة الى دَبيق مدينة بين الفرما وتنيس وكانت من ادقّ الثياب المنسوجة بالذهب

وكان اكثر الحرير يأتي بهِ العرب من بلاد الروم. قال الاخطل (راجع ديوانهُ ص ٣٨٧):

باتُ الروم في سرق الحرير

والسَرَق واحدتهُ سَرَقة وهي شقائق الحرير او اجودهُ وقال في ذلك :

يَرفلن في سَرَقِ الفرندِ وقزّهِ يَسحَبْنَ من هُدَّابهِ أذيالا

ومن الانسجة الثمينة التي كان يتزاحم عليها امراء العرب الدَّفنيّ من مصنوعات اليمن . قال الاعشى يصف بعض الاعيان (شرح المفضليات ص ٥٢٨ ,éd. Lyall):

يَمشون في الدَّفنيّ والأبرادِ

ومثلها السِّيَراء من برود اليمن الموشّاة المخطَّطة التي يخالطها الحرير كالسيور كان يحيكها نصارى نجران ودومة الجندل. وفي الحديث انَّ أُكيدِر بن عبد الملك النصراني صاحب دومة اهدى الى محمّد حلّةَ سِيَراء (التاج ٣ :٢٨٧) . وكذلك عرف اهل مكّة الارجوان من مصنوعات سواحل الشام وورد ذكرهُ في تاريخ اليعقوبي

(٢ : ٢٣) في وصف زينة نبيّ الاسلام وفي حديث الخليفة عثمان بن عفّان (النهاية لابن الاثير ٢ : ٧١) . وقد ورد في صحيح مسلم (٢ : ١٥٢) وصحيح الترمذي (١ : ٣٣١) وفي انساب البلاذري (٣٣٢) وغيرها ذكر حلل الديباج والثياب المُعَصْفَرة والحِبَر المفوَّفة اي الرقيقة الوشاة والطيالسة التي كان يهديها الوفود من اهل اليمن ومن الرهبان الى صاحب الشريعة الاسلاميَّة واكثرها من صُنع نصارى اليمن او الشام. قال ابن الاثير في أُسد الغابة في اخبار الصحابة (٢ : ٤١١) انَّ عطارد بن حاجب الذي وفد على نبيّ الاسلام مع وجوه تميم النصارى وكان سيّداً في قومه اهدى محمَّداً ثوب ديباج. وروى المسعودي في مروج الذهب (٤ : ١٧٨) انَّ ملوك اليمن قدموا الى ابي بكر وعليهم الحُلَل والحِبَر وبرود الوشي. وذكر ايضاً (١ : ٢٢١) الساج والطيلسان فيما فرضهُ خالد بن الوليد على النصارى العباديّين وزعيمهم عبد المسيح بن بقيلة من اهل الحيرة. وكذلك صاحب بانقيا بُصْبُهْر بن صَلوبا ذكر البلاذريّ في فتح البلدان (ص٢٤٤) انَّهُ «صولح على الف درهم وطيلسان»

وكان اليمنيُّون يحسنون عمل الرحال وينقشونها قال جرير (النقائض ص٧٥٦):

ومنقوشةٍ نقش الدنانير عُوليَتْ على عَجَلٍ فوق العِتاقِ العياهِمِ

ومن منسوجاتهم ايضاً الطنافس والبُسُط والأَنطاع. اتَّخذوا بعضها لكسوة الكعبة قال البلاذريّ في الفتوح (ص٤٧): «وكانت كسوة الكعبة في الجاهليَّة الانطاع والمغافر (والصواب المعافر وهي منسوجات يمنيَّة) فكساها الرسول صلعم الثياب اليمنيَّة ثمَّ كساها عُمر وعثمان القباطيّ ثمَّ كساها يزيد بن معاوية الديباج... وكساها بنو اميَّة في بعض ايَّامهم الحلل التي كان اهل نجران يؤدُّونها». ومن الطنافس الشهيرة الطنافس العبقرية التي كان يصطنعها نصارى تنوخ وقضاعة. قال ابن خلدون في تاريخه (٢ : ٢٤١): «انَّ التنوخيين نزلوا عَبقَرة من ارض الجزيرة ونسج نساؤهم البرود العبقرية». وقال ياقوت في معجم البلدان (٣ : ٦٠٧) ان عبقرة كان يوشى فيها البسط وغيرها فنُسب كل شيء جيد الى عبقرة. وقال الفرَّاء هي الطنافس الثخان. وقال مجاهد: العبقريّ الديباج. وقد ذكر المقريزي في الخطط مصانع البُسط في صعيد مصر ممَّا كان يشتغله نصارى الاقباط في البهنساء ودمياط وتنّيس ودابق. ذكر انَّ بعض البسط كان يبلغ طوله ٣٠ ذراعاً وكان يباع الزوج منها

مائتي منقال ذهب. وروى ان فسطاطاً صنعوهُ في تنيس منسوجاً بالذهب بيع بقيمة ١٤٠٠٠٠ دينار ما يساوي اليوم من نقودنا نحو ٢٠٠٠٠٠٠ فرنك وكانوا ينقشون على هذه البُسط صورًا شتّى من الرجال والسباع والخيل والطيور. وفي متاحف اوربة منها بقايا (Gayet : l'Art Arabe, 248-252) وكان البعض منها مصلَّباً اي منقوشاً عليها الصلبان (١ . وروى في التاج في حديث جرير (١ : ٣٣٨) قولهُ : « رأيتُ على الحُسَين ثوباً مصلَّباً اي فيهِ نقش امثال صلبان »

﴿النجارة﴾ هي ايضاً احدى الصنائع التي شاعت بين النصارى فاستفاد منها العرب في الجاهليّة واوائل الاسلام وذلك لندورة الخشب في انحاء كثيرة من جزيرة العرب الّا اطرافها ولبُعد العرب عن العمران الحضَري . قال ابن خلدون في المقدّمة (٢ : ٣١٣ طبعة باريس) : « انّ العرب ابعد الناس من الصنائع والسبب في ذلك انهم أعرق في البدو وأبعد من العمران الحَضَري . والعجم من اهل الشرق وامم النصرانيّة عدوة البحر الرومي اقوم الناس عليها لأنهم اعرق في العمران الحَضَري وابعد عن البدو» ثم ذكر كيف ان العرب استجلبوا صنائعهم من عند تلك الامم

وقد مرَّ لنا شيءٌ من اعمال النصارى الخشبيّة في جزيرة العرب منها ما سبق في ذكر القليس (المشرق ١٨ [١٩٢٠] : ٥٢٥) وما دخل فيهِ من الاخشاب الثمينة كالسأسم والساج والابنوس اشتغلها النصارى فزيّنوا بها كنائسهم قبل الاسلام

ومثل ذلك ما رواهُ ابو الوليد محمّد الازرقيّ في كتاب اخبار مكّة (ص ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٤) عن باقوم الروميّ النجّار والبنّاء الذي وكلت اليهِ قُرَيش بناء الكعبة بعد حريقها وتصدُّع جدرانها فبناها بما اشتراهُ القريشيّون من الخشب الذي اقبلت بهِ سفينةٌ للروم الى جُدَّة . وهم نصارى الاقباط والروم ايضاً الذين سقّفوا بالساج المزخرف المسجد الحرام في مكّة في ايّام الوليد بن عبد الملك (الازرقيّ ص٢٠٩)

وممّا صنعهُ النصارى في اوّل الاسلام لخدمة نبيّه وخلفائهِ الراشدين المنبر اصطنعهُ اوّلًا روميٌّ نجّار كما روى ابو سعيد وقيل « انّ اسمهُ باقوم او باقول الروميّ غلام سعيد بن العاص » وقيل انّ اسمهُ ابرهيم النجّار (اسد الغابة في معرفة الصحابة

---

١) اطلب ايضاً H. Lammens : Fâtima, 70-71

لابن الاثير ١ : ٤٣) كان يجلس عليهِ محمَّد للجمعة

وكان في خدمة نبيّ الاسـلام صانعٌ نصرانيّ آخر اسمهُ تميم بن اوس الداري من نصارى لخم أسلم سنة ٩ للهجرة وخدم محمَّدًا وكان يسكن معهُ المدينة ويدعونه راهب الأمة (١ ثم اقطعهُ قرية عينون عند بيت المقدس (اسد الغابة ١ : ٢١٥)

ثمَّ اضافوا الى المنبر عرشاً كان يجلس عليهِ محمَّد اذا خطب كما جاء في طبقات ابن سعد (ج ٢ ق ٢ ص ١١) وكان ايضاً من عمل النصارى . وبعـد موت نبيّ المسلمين تردّد الخلفاء الراشدون في رقيّ المنبر وقد اخبر المقريزيّ (الخطط ٢ : ٢٤٧) ان عَمْرو بن العاص اتّخذ منبرا فكتب اليهِ عمر بن الخطَّاب يعزم عليهِ في كسرهِ ويقول « أمَا حسبُك ان تقوم قائماً والمسلمون جلوس تحت عقبَيك » فكسرهُ . لكنَّهم ما لبثوا أن اقاموا المنابر في المساجد . روى المقريزيّ (٢ : ٢٤٨) عن والي مصر قُرَّة بن شريك العبسيّ انهُ نصب منبرًا جديدًا في السنة ٩٤ هـ (٧١٣م) . (قـال) « وذُكر انهُ حُمل اليهِ من بعض كنائس مصر وقيل انَّ زكريَّا بن برقنى ملك النوبة النصراني اهداهُ الى عبدالله بن سعد بن ابي سرح وبعث معهُ نجارًا حتَّى ركَّبهُ واسم هذا النجَّار بقطر من اهل دندرة ولم يزل هذا المنبر في المسجد حتَّى زاد قرَّة بن شريك في الجامع فنصب منبرًا سواهُ »

وكان العرب يلتجئون ايضاً الى اهل الارياف من الشام واليمن والعراق فيتَّخذون من نجّاريهم العَمَد والاوتاد لخيامهم والحدوج لظعائنهم والرمـاح والقسيّ والسهام لسلاحهم لأنَّ الخشب مادَّةٌ لكلّ هذه كما بيّن ابن خلدون في مقدّمتهِ (٢ : ٣٢٤) ولا تصير الى الصورة الخاصَّة بها الّا بالصناعة والقائم على هذه الصناعة هو النجّار . وقد بقي من اعمال النصارى الدالّة على براعتهم في هذه الحرفة عدَّة آثار تُرى في كنائس واديرة اقباط الصعيد وطورسيناء والجزيرة ومنها ما تحوَّل الى جوامع ومنها المقاصير القديمة والشعاري والمشارب كان النصارى يهندسونها قديماً وصبر بعضها على آفات الدهر

﴿ الحدادة ﴾ كما النجارة كذلك الحدادة خدم بها نصارى اليمن والشام والبحرين قبائلَ عرب البادية . وكان الحدّاد يُدعى في الجاهليَّة قَيْنـاً . والقيون عند العرب بنو

---

١) اطلب مجلَّة تاريخ الاديان Revue de l'Hist. des Religions, 1920. p. 250.

اسد قيل انّ اوّل من عمل الحديد منهم كان الهالك بن عمرو بن اسد بن خزيمة فدُعي ايضاً الحدَّاد هالكياً . وممّن ورد ذكرهم في اوائل الاسلام من ارباب الحدادة خُباب بن الارث من نصارى بني تميم سُبي من وطنهِ وبيع في مكّة فحصل في خدمة نبي المسلمين والخلفاء الراشدين من بعدهِ توفي سنة ٣٧ هـ (٦٥٨م)

وكان اكثر اتخاذ العرب للحديد لتهيئة آلات حربهم اعني السيوف والدروع ونصال الرماح والسهام والخُوَذ . امّا السيوف فمن اكرمها واشهرها المَشرفيات المنسوبة الى المشارف من قرى الشام . ومنها السيوف الحاريّة وهي التي كان يصنعها نصارى الحيرة في العراق . ومنها السُريجيات وكانت سيوفاً منسوبة الى قَيْن يُدعى سُرَيْجاً مصغَّر سرجيس . وفيها يقول العجَّاج :

وبالسُّرَيجيَّات يَخطِفْنَ القَصَرْ

وقد ذكروا سبعة من مشاهير السيوف زعموا انَّ بلقيس ملكة سبأ اهدَتْها الى سليمان الحكيم وفي ذلك دلالة على اهلها اليمن وهي ذو الفِقار كان لمنبّه بن حجّاج فصار الى نبيّ الاسلام ثم ذو النون والصمصامة كانا لعمرو بن معدي كرب ثمَّ مِخذم ورَسُوب كانا للحارث بن جبلة ملك غسَّان النصراني ثم ضِرْس الحمار وقيل ضرس العير او ضرس البعير كان لعلقمة بن ذي قيفان الحميريّ ثم الكَشوح ولم يذكروا صاحبهُ .

امّا الدروع فممّا يدلُّ على علاقتها بالنصارى واهل الكتاب ان العرب ينسبون نسجها الى داود وسليمان كما رويناهُ سابقاً (راجع الصفحة ٢٢٣ و٢٧٢ -٢٧٣) . وكل يعرف خبر الدروع التي اودعها امرؤ القيس الكندي الشاعر النصراني عند السموأل (اطلب ديوان السموأل الذي نشرناهُ آنفاً ص ٨) . وقد عُرف ايضاً اهل نجران بصناعة الدروع والدليل عليه ان محمّدا صالحهم على ثلثين درعاً كما سبق . ومن دروع البحرين الرُدَينيّات نُسبت الى امرأة تدعى رُدينة كانت تبيعها او تصنعها . ومنها ما كان يُنسج حلقتَين حلقتَين وهي المضاعفة قالت الخنساء تصف لامة اخيها صخر :

اذا تلأم في زغف مضاعفة وصارم مثل لون الملح حرادِ

امّا نصال الرماح والسهام فزعم الثعالبي في لطائف المعارف (ص ٧ ,éd. de Jong)

«انّ اوّل من عُمل لهُ سنان من حديد سيف ذو يزن الحميري واليهِ نُسبت الرماح اليَزَنيَّة وانَّما كانت اسنَّة العرب صياصيْ البقر» والله اعلم وانَّما يُرجَّح الرأي بانَّ اصل النصال من اليمن ومن الامم النصرانيَّة المجاورة للعرب. وقد امتازت بين الرماح العربيَّة السَّمهَريَّات نسبة الى سَمْهَر اسم رجل قيل انهُ زوج رُدَينة ورفيقها في الحدادة. ومنها الخطّيَّات وهي رماح كانوا يستجلبونها من الخطّ وهو مرفأ السفن في البحرين وعمان. وكذلك السهام الصاعديَّة منسوبة الى قريةٍ صَعْدة في اليمن على غير قياس

واتَّخذوا ايضاً من الحديد الجواشن ومثلها الخُوَذ يقتِنون بها رؤوسهم تعلّموها من الروم والفرس وهي البَيْض. ثم انتشر استعمالها في بلاد الاسلام حتَّى انهم أحصوا ما في خزانة السفَّاح اوّل خلفاء بني عبَّاس فوجدوا خمسين الف درع وخمسين الف سيف وثلثين الف جوشن ومائة الف رمح. وزادت على ذلك في ايام هارون الرشيد فاحصاها الفضل بن الربيع فوجد عشرة آلاف سيف محلَّاة بالذهب وخمسين الفاً للشاكريَّة والغلمان ومائة وخمسين الف رمح ومائة الف قوس والف درع خاصَّة محلَّاة والف درع عامَّة وعشرين الف بيضة وعشرين الف جوشن ومائة وخمسين الف ترس واربعة آلاف سرج محلَّاة خاصَّة وثلثين الف سرج عامَّة (مطالع البدور للغزولي ٢: ١٦٢)

وممَّا يدلّ على اتّساع فنّ الحدادة بين نصارى العرب وَفرة اسلحة ملوك الحيرة. فقد ذكر ابو الفرج في الاغاني (٢٠: ١٣٢) انَّ النعمان بن المنذر لمَّا خاف كسرى وحاول الفرار من وجهِ استودع مالهُ هانئَ بن مسعود الشيباني وكان في جملة وديعتهِ «الف شِكَّة ويقال اربعة آلاف شكَّة. والشكَّة السلاح كلّه». وكان للنعمان بن المنذر كتائب مدجَّجة بالاسلحة الحِيريَّة اخصّها كتيبتاهُ الشهباء والدَّوسر. وقد ذكر ابن خلدون في تاريخهِ (٢: ١٨٠): «الباهوت مَسْلحة كسرى في الحيرة»

وكانت في بُصْرى ايضاً في حوران مصانع اسلحة مشهورة. قال الحصين بن الحُمام يذكر عمرو بن هند ملك الحيرة المعروف بالمحرّق (شرح المفضّليات ص ١٠٨ ed. Lyall):

عليهنَّ فتيانٌ كساهمْ محرّقٌ وكان اذا يكسو أجاد وأكرما

صفائحَ بُصرى أخلصَتْها قيونُها ومُطَّرِدًا من نَسْجِ داوودَ مُبْهِما
يعزُّون سُمْرًا من رماحِ رُدَيْنةٍ اذا حُرِّكت بَضَّت عواملُها دَما

وكانوا يطبعون اسلحتهم ويرسمون عليها النقوش والتماثيل فكان على سيف الحارث بن ظالم صورة حيّتين وانشد (شرح المفضّليّات ص ٦١٦):

علوتُ بذي الحيّات مَفرِقَ رأسهِ وهل يَركبُ المكروهَ الّا الاكارمُ

اراد بذي الحيّات سيفهُ لِما كان عليهِ من تمثال الحيّات. وذكر الآخر سيفاً عليهِ صورة سمكة فعُرف بذي النون ومرّ ذكرهُ:

ويُخبِرهُ مكانُ النُّونِ مني وما اعطيتُهُ عَرَقَ الخِلالِ

(التجارة) قد اشتهر العرب منذ القديم بالتجارة كما ورد ذلك في سفر التكوين (٣٧: ٢٥) في قصّة يوسف الحسن الذي باعهُ اخوتهُ للاسمعيليين المنحدرين بتجارتهم الى مصر. على انَّ هذه التجارة راجت اسواقها بعد المسيح بهمَّة الامم النصرانيّة المجاورة للعرب لاسيَّما الرومان والحبش. وقد سبق لنا (ص٥٧) ذكر الوفد الذي ارسلهُ الى الحميريين الملك قسطنسيوس ابن قسطنطين الكبير لعقد معاهدة تجاريّة مع ملكهم. وذكرنا هناك ايضاً ما ورد في الدستور التيودوسيّ لثاودوسيوس الكبير بخصوص متاجرة الرومان والحبشة مع العرب

وقد اشتهر نصارى الحيرة بالتجارة. وقد ذكر ابو الفرج الاصبهاني (الاغاني ٢٠: ١٣٤) لَطيمتَهم قال: «وهي عِيرٌ كانت تخرج من العراق فيها البزّ والعطر والالطاف يرسلونها الى اليمن». وقال في التاج (٩: ٦٠): «اللَّطيمة وعاء المسك او سوقهُ وقيل كلّ سوق يُجلَب اليها غير ما يؤكل من حرّ الطيب والمتاع غير الميرة»

وكانت قريش في الجاهليّة ترتزق بالتجارة وربَّما رحلوا الى الحيرة. وقد ذكر في الاغاني (٨: ٤٨–٤٩) خروج مسافر بن ابي عمرو بن اميّة من سادة قُريش وابي سفيان بن حرب الى الحيرة لامورهم التجاريّة. وقال الثعالبيّ في لطائف المعارف (éd. de Jong, ص ٧–٨) ان هاشماً وهو عمرو بن عبد مناف كان «اوّل من سنّ الرحلتين في التجارة رحلة الشتاء والصيف وهو اوّل من خرج الى الشام من قُريش ووفد على الملوك وأبعد في السَّفر ومرّ بالاعداء واخذ منهم الإيلاف الذي ذكره الله تعالى» يُشير الى سورة قُريش (١٠٦: ١–٢) حيث يقول: «لإيلاف قُرَيْش

إيلافهم رِحلةَ الشتاء والصيف» . قالوا الايلاف العهد والذمام قال الفيروزابادي: «الإيلاف شبه الاجازة بالخفارة واوّل من اخذها هاشم من ملك الشام». وورد في تفاسير القرآن انَّ اصحاب الايلاف كانوا اربعة اخوة وهم بنو عبد مناف اوّلهم هاشم وكان يؤالف ملك الشام باع منهُ خيلًا فسمح لهُ ان يتاجر في الشام . والثاني عبد شمس وكان يؤالف الى الحبشة . والثالث المطّلب وكان يرحل الى اليمن . والرابع نوفل وكان يرحل الى فارس وكان هؤلاء يسمّون المتّجرين . وفيهم قال الشاعر:

يا أيّها الرجلُ المحوّلَ رحلهُ هلّا نزلتَ بآلِ عبد منافِ
الآخذون العهدَ من آفاقها والراحلون لرِحلةِ الايلافِ
والرائشون وليس يوجد رائش والقائلون هلمَّ للأضيافِ
والخالطون غنيّهم بفقيرهم حتّى يصير غنيُّهم كالكافي

وقال الثعالبي في ثمار القلوب (ص٩): «انَّ قريش زهدوا في الغُصوب فلم يبقَ لهم مكسبةٌ سوى التجارة فضربوا في البلاد الى قيصر بالروم والنجاشي بالحبشة والمقوقس بمصر وصاروا باجمعهم تجارًا خلطاء» وقال في الاغاني (٨: ٥٢): «وكانت ارض الحبشة لقريش متجرًا» . وذكر هناك عمارة بن الوليد المخزوميّ وعمرو بن العاصي بن وائل السهميّ وخروجهما الى النجاشي في الجاهليّة للاتّجار

وكان للعرب عدّة اسواق يجتمعون فيها للمقايضات وضروب المبايعات قد ذكرها في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٨٦٧) جناب الاديب محمود شكري افندي الالوسيّ . وكان معظم هذه الاسواق في جهات الجزيرة العربيّة التي يغلب فيها عدد النصارى في الجاهليّة واكثرهم من الحضَر يرتزقون بالتجارة كأسواق البحرين في عمان وهَجَر والمشقَّر وصُحار وكأسواق حَضرَمَوْت والشِّحرْ وكأسواق اليمن مثل سوق صنعاء وكسوق دَوْمة الجندل وكسوق عُكاظ في الحجاز التي كان يقوم فيها قسّ بن ساعدة واعظًا وخطيبًا مصقعًا

وممّا لم يذكرهُ هناك من الاسواق العربيّة النصرانيّة سوق الحيرة وقد ذكرهُ ابو الفرج في الاغاني قال (١٦: ٩٩) قال: «وكان بالحيرة سوقٌ يجتمع اليهِ الناس كلّ سنةٍ» وروى هناك خروج الحكم بن ابي العاصي اليهِ ومعهُ عطرٌ يريد بيعهُ واخذ حسّان بن جَبَلة الخير على نفسهِ ان يقدّم للقوم «كلّ خمر او لحم او طعام ما اقاموا

في سوق الحيرة» . وقصد حاتم الطائي هذه السوق ايضاً واظهر فيها شيئاً من كرمهِ الذي ضُرب بهِ المثل بنحرهِ الجزور وإطعام الناس

وما لا يُنكر انَّ اهل اليمن وعمان والبحرين وهَجَر والحيرة كانت تجارتهم واسعةً رابحة ومعائشهم رغدة والخصبُ والرخاء غالبين على اطرافهم مع ما فيها من وفرة الغلّات والذخائر وصنوف المعادن والارفاق بخلاف عرب نجد والحجاز فكانت بلادهم مجدبة قاحلة كثيرة الرمال والصحارى. وقد جاء في سيرة نبيّ الاسلام انهُ تعاطى التجارة في شبابه استأجرتهُ خديجة بنت خويلد في مالها فكان يخرج بهِ الى الشام تاجرًا فرأى اهلها النصارى ودخل صوامع رهبانها وكان محظوظاً في تجارتهِ فدعا ذلك خديجة الى ان تقترن بهِ

وكما كان العرب يخرجون الى بلاد النصارى المجاورة لبلادهم كذلك كان النصارى يقدمون الى الحجاز ويبيعون اهلها محصولات اوطانهم . ولنا على ذلك عدَّة شواهد . منها «موقف النصارى» في مكَّة قال في التاج في مادَّة حسر(٣: ١٤٠) : «بطن مُحَسِّر واد قرب مُزْدلفة بين عرَفات ومِنًى . وفي كتب المناسك هو وادي النار لانهُ موقف النصارى. وانشد عمر رض حين افاض من عَرفة الى مزدلفة وكان في بطن مُحسّر :

اليك يعدو قلقاً وضينا مخالفاً دين النصارى دينا»

وكذلك «مقبرة النصارى» في مكّة ايضاً ذكرها الازرقي في اخبار مكّة (ص ٥٠١) وقال انها دُبر المثلع اي الجبل الذي باسفل مكّة على يمين الخارج الى المدينة على طريق بئر عَنبسة

وكان بعض هؤلاء التجار يتشرون النصرانيَّة في مكَة . جاء في أُسد الغابة لابن الاثير (٥: ١٧٢) انّ ولدين لابي حصين الانصاري تنصرا على يد تجّار من الشام اتوا الى مكّة وانهما لحقا معهم بالشام

ومن سلَع تجار النصارى في الجاهليَة وبعدها الخمرُ كانوا يعصرونها ويبيعونها ويشربونها في مجالس الانس. وقد وصفها شاعرهم الاعشى بقولهِ :

وكأس شربتُ على لذّة وأُخرى تداويتُ منها بها
ليعلم مَن لام انّي امرؤٌ ابيتُ المروءة من بابها

وقد اعتادوا عَصر للدامة لدخولها في مشاعرهم الدينيّة في القربان . كما مرّ سابقاً . وتغنّوا في معانيها الرمزيّة كما فعل ابن الفارض في ميميّته

وممّا تاجر بهِ نصارى اليمن والعراق والبحرين الجواهر والحجارة الكريمة كالجَزْع والياقوت واللآلئ وقد اشتهر الجَزْع السماني وقد عُرف ايضاً بالخرز السماني (conque de Vénus) وكان يتاجر بهِ اهل ظَفار فنُسب اليهم . قال المرقّش الاصغر يصف ظعائن يقطَعنَ القفار :

تحلّينَ ياقوتاً وشَذْراً وصِيغَةً وَجَزْعاً ظَفاريّاً ودُرّاً تَوَائِما

وقد ذكر في الاغاني (١١ : ١٦٣) دَرْجاً لطلحة الطلَحات كان فيه حجارة ياقوت يساوي ثمنُ كلّ حجرٍ منها اربعين الف درهم

وروى البكري في مُعجَم ما استَعْجم يصف ركوب ملك الحيرة الى دير اللجّ (ص ٣٦٦) : « وكان النعمان يركبُ في كلّ احوالهِ وفي كلّ عيدٍ ومعهُ اهلُ بيتهِ خاصّةً من آل المُنذِر مَن يُنادمُهُ عليهم حُلَلُ الديباج المذهّبة وعلى رؤُوسهم اكاليل الذهب وفي اوساطهم الزنانير المفضّضة بالجوهر وبين ايديهم اعلامٌ فوقها صُلبان الذهب فاذا قضَوا صلاتهم انصرفوا الى مستشرفة على النجف »

امّا اللآلئ والدُرر الثمينة فكان يغوص عليها اهل البحرين منذ زمن الجاهليّة . قال النابغة الذبيانيّ :

او دُرّةٍ صَدَفيّةٍ غوّاصُها بَهِجٌ متى يَرَها يُهِلَّ ويَسْجُدِ

وقد احسن المسيّب بن علَس في وصفهِ الغائص على اللآلئ وانتخابهِ الثمين بينها واستخراجها من البحر قال (شعراء النصرانيّة ٣٥٦ وخزانة الادب ١ : ٥٤٤)

كجُمانة البَحْريّ جاء بها غوّاصُها من لُجّة البَحْرِ
صَلْبُ الفؤادِ رئيسُ اربعةٍ متخالفي الألوان والنَّجْرِ
فتنازعوا حتّى اذا اجتمعوا ألقوا اليهِ مقالدَ الأمرِ
وعلَتْ بهم سَجْحاءُ خادمةٌ (١ تهوي بهم في لُجّة الغَمرِ
حتّى اذا ما ساء ظنُّهُمُ ومضى بهم شهرٌ الى شهرِ
ألقى مراسيَهُ بتَهْلكةٍ ثبتَتْ مراسيها فما تجري

١) اراد بالسَّجْحاء السفينة الطويلة الظهر

فأنصبَ أسقفُ رأسِ لَبِدٌ نُزعت رباً عيناهُ للصبْرِ (١
أشفى يمجُّ الريتَ (٢ ملتمسٌ ظمآنُ ملتهبٌ من الفقرِ
قتلتْ اباهُ فقال أتبعُهُ أو استفيدَ رغيبةَ الدهرِ (٣
نصفَ النهار الماءُ غامرُهُ وتريكُهُ بالغيبِ ما يدري
فاصاب منيتَهُ فجاء بها صدفيَّةً كمضيئةِ الجمرِ
يُعطَى بها ثمناً فيمنعُها ويقولُ صاحبُهُ ألا تشري
وترى الصواري (٤ يسجدون لها ويضمُّها بيديهِ للنحرِ
فلتلك شِبهُ المالكيَّةِ اذ طلعت ببهجتها من الخدرِ

(الملاحة) كما اشتهر نصارى العرب بالتجارة البرّيّة كذلك اصابوا في التجارة البحريّة سهماً فائزاً. وقد بيّنا سابقاً انتشار النصرانيّة في سواحل جزيرة العرب في اليمن وعمان والبحرين فوجدوا في مجاورة البحار وسائلَ جديدة لتنمية ثروتهم وزيادة ارباحهم. فكان الحميريون واهل البحرين يحسنون اصطناع السفن وعمارتها فيقطعون بها خليج العرب الى الحبشة وبحر عمان الى الهند وخليج فارس الى جهات العجم. وقد اشاروا الى ذلك في شعرهم قال عمرو بن كلثوم التغلبيّ في معلّقته يفتخر بكثرة سفن قبيلته تغلب النصرانيّة :

ملأنا البرَّ حتّى ضاق عنّا وظهرُ البحرِ نملأهُ سَفينا

وقد احسن طرفة في وصفهِ لسُفن قومهِ في البحرين فذكر بعض اشكالها العظيمة وهي الخلايا والعَدَوْليّة من سفن البحرين وذكر احد رؤساء البحر المدعو ابن يامن ومخر سفينته غمرَ المياه فقال :

كأنَّ حُدوجَ المالكيَّةِ غُدْوَةً خلايا سَفينٍ بالنواصفِ من دَدِ
عدوليةٌ او من سَفينِ ابنِ يامنٍ يجورُ بها الملّاحُ طوراً ويهتدي
يَشقُّ حَبابَ الماءِ حيزومُها بها كما قسمَ التُرْبَ المُفائلُ باليدِ

وذكر الأعشى النوتيَّ الساتر بسفنهِ على الفرات عند طغيانهِ :

---

١) اي رمى نفسهِ في البحر وغاص لإخراج الدُرَر. والأسقفُ الطويل المنحني ليغوص. واللبد اي المتلبّد ٢) اراد بالريت الماء اي انترف يقذف الماء من فيهِ كعادة الغائص
٣) يريد انَّ ابا هذا الغائص هلك في تحصيل هذه الدرَّة غرقاً فقال انهُ أتبعهُ او انالها
٤) الصواري جمع صار وهو الملّاح والبحري. ويُروى: السواري جمع سار اي المشتري. وسجودهم لفخر الدرة ونفاستها

مثـل الفُراتيّ اذا مـا طـما يَقذِفُ بالبوصيّ والماهرِ

واشار امرؤ القيس الى طَلْي السُّفن بالقير :

فشبَّهتُم في الآلِ حـين زَهـاهُمُ عصائبَ دَوم او سفينـاً مُقيَّرا

وقال الشمّاخ يذكر سفن البحرين وغواربها الكبيرة :

رِماح رُدَينةٍ وبِحـارِ لُجٍّ غَوارِبُها تُقـاذِفُ بالسَّفينِ

وكانوا يدعون النوتيّ ملّاحاً وصراريّاً جمعهُ صراريّ ايضاً وصُرّاء قـال ربيعة ابن مقروم:

واعرضَ واسـطهُ فعدَلْنَ عنهُ كما عَدلَ الصراريُّ السفينا

وقال المزّق العبديّ :

الا انّ المُلَى خِلْتَنَا وحَسِبْتَنـا صراريَّ نُعْطِي الماكسينا مُكُوسا

على انّ فنّ الملاحة الذي كان يعرفهُ ويزاولهُ عرب الحضَر في سواحـل الجزيرة كان في الغالب مجهولاً لدى عرب الحجاز ونجـد. بل كانوا يعدُّون ركوب البحر كالطامّة العظمى فبعد انتشار الاسلام وثبوت قدمهِ اذ رأوا في سواحل الشام ومصر سفن الروم ارادوا ان يعبروا البحر ليغزوا الجزائر كقبرس او سواحل اليونان وآسية الصغرى فالتجأوا الى من كان في حوزتهم من الروم في الشام والاقباط في مصر ومن نصارى العرب في جهات البحرين فتعلّموا منهم صناعة السفن كما اخذوا صناعة التجارة لأنّ انشاء السُّفن يحتاج اليها لما يدخلها من الالواح والدُّسُر والصواري والمجاذيف مع هندسة اجزائها فعمّروا لهم السُّفن وجهّزوها لحروبهم في ايام معاوية ودولة بني اميّة

وفي اللغة ما يدلُّ على اصل فنّ الملاحة الاجنبيّ فترى فيها الفاظاً متعدِّدة امّا رومية وامّا آراميّة او حبشيّة تثبت حدوث الملاحة في الحقبة الاولى من الاسلام وقد تقلّدوا في صنعها صورة مراكب الروم واليونان في هيئاتها المختلفة واجرامها المتباينة . فممّا استعاروه من اليونانيّة: اسطول (στόλος) أَنجر (ἄγκυρα) نوتي (ναύτης) . ومن السريانيّة او الآراميّة: سفينة . قارب . قرقور . دَقَل . ربّان . ملّاح . سُكّان . قِلع . مجذاف . صارٍ . ومن الحبشيّة : بحر . شِراع . مرسى

(النُّقود) انّ التجارة والمقايضات في البيع والشراء لا تجري عادةً الّا بمسكوكات ونقود تُدفع بدلاً من السِّلَع والبضائع . وكان للدول النبطيّة ولملوك ميشان وخراسان

في العراق ولملوك الجزيرة في جهات الرها وحضَر. ولملوك تدمر نقود ضربوها باسمهم ذهبيَّة وفضيَّة ونحاسيَّة منهــا امثالٌ حسنة في متاحف اوربَّة وعند بعض الخــاصَّة فوصفوها ورسموا صورها وفنَّدوا بذلك ما كتبهُ المقريزيّ في كتــابهِ النقود القديمة الاسلاميَّة حيث قال :

« كانت نقود العرب في الجاهليَّة التي تدور بينها الذهب والفضَّة لا غير ترد اليها من الممالك دنانير الذهب قيصريَّة من قبل الروم ودراهم فضَّة على نوعين سوداء وافية وطبريَّة عتقًا وكان وزن الدراهم والدنانير في الجاهليَّة مثل وزنها في الاسلام مرَّتين ويسمَّى المثقال من الفضَّة درهمًا ومن الذهب دينارًا ولم يكن شيء من ذلك يتعامل بهِ اهل مكَّة في الجاهليَّة وكانوا يتعاملون باوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم»

فانَّ علماء النقود العربيَّة كالمسيو ڤكتور لنغلوا (V. Langlois) في كتابهِ عن نقود العرب قبــل الاسلام (Numismatique des Arabes avant l'Islamisme) والمسيو هنري لاڤوا (H. Lavoix) في كتابهِ عن النقود الاسلاميَّة المصونة في مكتبة باريس العموميَّة والمسيو دي تيسِنْهوَزن (de Tiesenhausen) وغيرهم اثبتوا استعمال عرب الجــاهليَّة للنقود النحاسيَّة واستغربوا قول المقريزي عن الدراهم السوداء والطبريَّة واستنتجوا من كلامهِ جهلهُ بالنقود القديمة

وما لا يُنكر انَّ العرب قبل الاسلام تداولوا في بلادهم ومع الامم المجاورة لهم النقود النصرانيَّة فراجت بينهم ايَّ رواجٍ على اختلافهــا ذهبيَّةً كانت ام فضيَّة او نحــاسيَّة واغلب ما عرفهُ العرب من النقود ممَّا كانوا يتعاملون بهِ نقودٌ قيصريَّة روميَّة ذات وسوم دينيَّة. وقد اشتهرت بينهم نقود هِرَقل قال المسعودي في مروج الذهب (٢ : ٣٣٣) : « وهو الذي ضرب الدنانير والدراهم الهرقليَّة » وقال البلاذري في فتح البلدان (ص ٤٩٦) : « وكانت دنانير هرقل تَرِد على اهل مكَّة في الجاهليَّة » وروى في الاغاني (١١ : ٥٢) لكُثَيِّر عزَّة قولهُ :

يروقُ عيونَ الناظراتِ كأنَّهُ هِرَقْليُّ وزنٍ احمرُ التِبْرِ راجحُ

وروى الانباري في شرح معلَّقة عنترة (éd. Rescher, 61) :

دنانيرُ ممَّا شِيفَ في ارضِ قيصرِ

اراد الدنانير الجلية المُلمة الموسومة بالكتابة. وقــد ذكر أُحيحة بن الجلاح

دنانير مدينة أيلة التي كان صاحبها الامير النصراني يوحنّا بن روبة قال يرثي ابنهُ (ياقوت: معجم البلدان ١ : ٤٢٢) :

ألا انَّ عيني بالبكاء تهلّلُ جزوعٌ صبورٌ كلَّ ذلك تفعلُ
فما هبرزيٌّ من دنانير أيلةٍ بأيدي الوشاةِ ناصعٌ يتأكّلُ
بأحسنَ منهُ يومَ اصبح غادياً ونفّسني فيهِ الحِمامُ المعجّلُ

(قال) «يتأكّل اي يأكُل بعضهُ بعضاً لحسنهِ . والوشاة الضرّابون» . وقد وصفوا كذلك الدراهم الروميّة . قال عنترة يصف روضةً اصابها المطر الجَوْد فأنعشها :

جادت عليهِ كلُّ بِكْرٍ ثرَّةٍ فتركنَ كلَّ حديقةٍ كالدرهمِ

ومثلهُ الاسود بن يَعْفُر (شعراء النصرانيّة ص ٤٨٢) :

من خمرِ ذي نَطَفٍ اغنَّ مُنطَّقٍ وافى بها كدراهم الأسجادِ

(قال) اراد بالاسجاد اليهود والنصارى . وكانوا يدعون النقود الخفيفة النحاسيّة نُمّياً وفلوساً . قال اوس بن حَجَر (ديوانهُ éd. Haffner) :

وفارقَتْ وهي لم تَجْرَبْ وباع لها من الفصافِص بالنُّمِّيِّ سفسيرُ

وقال جرير يهجو الاخطل (الاغاني ٧ : ١٧٨) :

والتغلبيَّة مُهْرها فَلْسانِ

ومن الادلّة التي تشهد على رواج النقود الروميّة بين عرب الجاهليّة انَّ معظم الالفاظ الدالّة عليها يونانيَة او لاتينيَّة الاصل كدينار (δηνάριον) ودرهم (δράχμη) وقيراط (κεράτιον) ونُمّي (νοῦμμος) وفلس (φόλλις) وقِنْطار (centenarium)

ثمَّ ظهر الاسلام والمسلمون لم يعهدوا ضرب النقود فتعاملوا بمسكوكات الروم التي كانوا يربحونها بتجارتهم مع بلاد الشام ومصر والعراق او وجدوها في فتح البلدان فأخذوها غنيمةً واقتسمها جنودهم . ولجهلهم لغة البلاد التي استولوا عليها اقاموا لهم عمّالًا من نصارى الوطنيين ولّوهم على دواوينهم الماليَّة لجباية الخراج والضرائب المختلفة . وكان من جملتهم في دمشق سرجيوس او سرجون جدّ القديس يوحنّا الدمشقيّ المعروف بابن منصور

ففي ايام الخلفاء الراشدين ولاسيَّما عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وفي

اوائل الدولة الامويّة ضُربت نقود العرب على هيئتها النصرانيَّة السابقة. ففي متاحف اوربّة عشرات من النقود التي ضُربت في دمشق وحمص وبعلبك وطبريّة في ايّام عمر في السنة ١٧ للهجرة وما بعدها وكلُّها عليها رسم هرقل ملك الروم مع صورتهِ وسائر أشعرة النصرانيّة كاوّل حروف اسم السيّد المسيح وكصليبهِ المقدَّس وصورة النَّسر. وعلى بعضها شعار قسطنطين الكبير: بهذه العلامة انتصر (ἐν τούτῳ νίκα) ثم سمة النقود M مع اسم المدينة باليونانيَّة او بالعربيَّة هكذا: «ضرب. دمشق (حمص. طبريّة. بعلبك. ايليا. انطاكية). جايز». ومعظم هذه النقود فلوس من نحاس. وقد وُجد على بعضها اسم عمر بالاختصار (عمر بن الخط) واسم خالد بن الوليد واسم يزيد بن ابي سفيان واسم ابي عبيدة (١

وترى البَسْملة «باسم الله» مرقومة على عدَّة نقود من ذلك العهد كلمة وقال ياقوت في معجم البلدان (٤: ٨٨١) انَّ الحجَّاج بن يوسف اوَّل من ضرب درهماً عليهِ شعار الاسلام «لا اله الَّا الله ومحمَّد رسول الله». وليس قوله بسديد لانهُ تُعرف نقود لعليّ ابن ابي طالب ضُربت في البصرة سنة ٤٠ هـ عليها هذا الشعار «لا اله الَّا الله وحدهُ لا شريك لهُ» وعلى الوجه الآخر «محمَّد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحقّ يظهرهُ على الدين كله ولو كره المشركون (٢ »

ومن هذا ترى غلط معظم مؤرخي العرب الذين زعموا انَّ اوَّل من كتب على النقود الاسلاميَّة بالعربيّة هو الخليفة عبد الملك بن مروان. قال الثعالبيّ في لطائف المعارف (ص١٣): «اوَّل من نقش على الدراهم والدنانير بالعربيَّة عبد الملك بن مروان فانهُ عُني بذلك وكتب الى الحجَّاج في إقامة رسمهِ»

وقد اخبر المقريزي في كتاب النقود الاسلاميَّة (ص٥ طبعة الجوائب) ان معاوية ابن ابي سفيان كان قبل ذلك ضرب دنانير عليها تمثالهُ متقلِّدًا سيفاً. ومثل هذه الدنانير لم يجدها بعد الاثريّون لكنَّهم وجدوا فلوساً تمثّل معاوية واقفاً وشعرُ رأسهِ مفروق على

---

١) اطلب مقالةً في نقود الاسلاميَّة الاولى البارون دي سلان في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة (J. A., 1871[2], 199-211)

٢) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG. XVII, 39)

جبهتهِ وفي يمناهُ السيف وفي ظهر الفـلس اسمُ ايليا وفلسطين مع صليبٍ على هذه الهيئة ⊕. فلمَّا ملك الخليفة عبد الملك جرى اوَّلًا على مثال اسلافهِ وابقى الصليب مع صورتهِ واسمهِ في الدنانير والفلوس الى السنة العاشرة من ملكهِ ويوجد من هذه النقود بعض الامثلة في المتاحف وهي مضروبة في حمص ودمشق وعمان وقنسرين ومنبج وسرمين وغيرها

وها نحن ننقل هنا صور ثلثة نقود عربيَّة ترتقي الى اوائل الاسلام وعليها صور ملوك الروم ورموزهم المسيحيَّة

A دينار عربيّ على وجههِ صورة هرقل ملك الروم وفي يمناهُ الصليب وفي يسراهُ كرة يعلوها صليب صغير. مع اسم طبريّة باليونانيَّة. وعلى ظهر الدينار سمة النقود M مع اسم خالد (بن الوليد) باليونانيَّة

B فلس عربيّ على وجهه صورة هرقل الموصوفة. وعلى ظهرهِ مع سمة النقود هذه الالفاظ بالعربيَّة: صدر. دمشق. جائز

C فلس عربي على وجههِ صورة الخليفة «عبد الملك امير المؤمنين» وعلى ظهرهِ صورة الصليب المرتكز على سارية مع اسم سيرين حيث ضُرب. وهذا الفلس ممسوح اكثرهُ وانما وُجدت منهُ نقود اخرى اجلى صورة مع كتابتهِ العربيَّة

وهذه النقود في متحف باريس

ففي السنة العاشرة من خلافتهِ عدل عن النقود السابقة واتَّخذ نقودًا جديدة خالية من الرسوم النصرانيَّة ولذلك عدَّهُ كتبة العرب كأوَّل خليفة نقش الدنانير قال

الطبري في تاريخهِ (٢: ٩٣٩—٩٤٠): «اوّل نقش الدنانير والدراهم على عهد عبد الملك ابن مروان سنة ٧٦ هـ». والصواب انهُ ضرب اوّلًا النقود القديمة ونقش فيها صورًا انكرها عليهِ بقايا من الصحابة كما يقرّ بذلك المقريزي في كتاب النقود الاسلاميّة (ص٦). وفي السنة ٧٦هـ (٦٩٦م) ضرب نقودًا اسلاميّة محضة وازال منها الصور والرسوم النصرانيّة. لكنّهُ بقي شيءٌ منها لعلّهُ ضُرب بدون علمه ففي متحف باريس دينار ضُرب سنة ٧٧ هـ عليهِ صورة عبد الملك مع ساريةٍ نصرانيّة. وفيهِ ايضاً نقود نحاسيّة ضُربت في السنة ٨٠ عليها رسم صليب

امّا سبب اتّخاذه السكّة الاسلاميّة فنفورهُ ممّا كانت الروم ترسمهُ على سكّتهم من تعظيم الصليب والاعلان بلاهوت المسيح. وهذا ايضاً ما دفعهُ الى ان يُحدث كتابات الطوامير والقراطيس التي كان في صدرها مثل هذه الأَشعرة النصرانيّة. وقد اخبر بذلك البلاذريّ في فتح البلدان (ص٢٤٠):

«قالوا كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من ارض مصر ويأتي العربَ من قبَل الروم الدنانير فكان عبد الملك بن مروان اوّل من أحدث الكتاب الذي يُكتَب في رؤُوس الطوامير من «قُلْ هو الله احد» وغيرها من ذكر الله. فكتب اليهِ ملك الروم: انكم احدثتم في قراطيسكم كتابًا نكرهُهُ فان تركتموهُ والّا اتاكم في الدنانير من ذكر نبيّكم ما تكرهونهُ. (قال) فكبر ذلك في صدر عبد الملك فكره ان يدع سنّةً حسنة سنّها فارسل الى خالد بن يزيد ابن معاوية فقال لهُ: «يا با هشام احدى بنات طبَقٍ» واخبره الخبر فقال: أَفرخ رَوْعك يا امير المؤمنين حرّم دنانيرهم فلا يُتعامَل بها واضرب للناس سككًا ولا تُعفِ هؤُلاء الكفرة عمّا كرهوا في الطوامير». فقال عبد الملك: «فرَّجتَها عني فرَّج الله عنك» وضرب الدنانير. قال عوانة بن الحكم وكانت الاقباط تذكر المسيح في رؤُوس الطوامير وتنسبهُ الى الربوبيّة تعالى علوًّا كبيرًا وتجعل الصليب مكان بسم الله الرحمن الرحيم فلذلك كره ملك الروم ما كره واشتدّ عليهِ تغيير عبد الملك ما غيّرهُ»

وقد اتى هذا الخبر مفصّلًا في كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي (éd. Schwally, p.498-502) نقتطف منهُ ما يأتي:

قال الكسائي: دخلتُ على الرشيد ذات يومٍ وهو في ايوانهِ وبين يديهِ مال كثير قد شقّ عنهُ البِدَرَ شقًّا وامر بتفريقهِ في خدَم الخاصّة وبيدهِ درهم تلوّح كتابتُهُ وهو يتأمّلهُ وكان كثيرًا ما يحدّثني فقال: هل علمت مَن اوّل مَن سنّ هذه الكتابة في الذهب والفضّة؟ قلت: يا سيّدي هذا عبد الملك بن مروان. قال: فما كان السبب في ذلك؟ قلتُ: لا علمَ لي غير انهُ اوّل من أحدث هذه الكتابة. فقال: سأخبرك. كانت القراطيس للروم وكان اكثرُ مَن

بمصر نصرانياً على دين ملك الروم وكانت تُطرَّز بالروميَّة وطرازها« آبا وابنا وروحا قدّيشا» (ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ) فلم يزل كذلك صدر الاسلام كلّه يمضي على ما كان عليهِ الى ان ملك عبد الملك فتنبه عليهِ وكان فطيناً فبينا هو ذات يوم اذ مرَّ بهِ قرطاس فنظر الى طرازهِ فامر ان يُترجم بالعربيَّة ففُعل ذلك فانكرهُ ... فامر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عاملهُ بابطال ذلك الطراز .... وان يأخذ صنَّاع القراطيس بتطريزها بسورة التوحيد ...

ثم اخبر استياء ملك الروم من هذه الكتابة وتهديدهُ بنقش شتم نبيّ الاسلام وكيف استقدم عبد الملك من المدينة محمَّد بن علي بن الحسين ليستشيرهُ في ذلك فدلَّهُ على ضرب سكك الدراهم والدنانير كما روى البلاذري عن خالد بن يزيد بن معاوية فأبطلت مذ ذاك السكك الروميَّة والطراز الرومي

وقد ضرب امراء المسلمين في افريقية والاندلس بعد فتحها نقودًا عليها ايضاً شارات النصرانيَّة كالصليب واسم السيّد المسيح باللاتينيَّة مع اسماء الامراء المسلمين

وقد سبق لنا القول انَّ السلجوقيين في بلاد الروم والارتقيين في ما بين النهرين ضربوا ايضاً نقودًا عليها صور ملوك النصارى مع علامات النصرانيَّة بينها صورة السيّد المسيح والبتول مريم والدتهِ الطاهرة (اطلب مجلّة المشرق ١٨ [١٩٢٠]: ٧٩٩)

﴿ التعليم ﴾ ومن الصنائع الشريفة التي دخلت بين العرب بفضل النصرانيَّة صناعة التعليم . وكان شيوع المدارس اوّلًا بين الامم المجاورة للعرب كالكلدان والسريان في العراق وما بين النهرين وكالروم في جهات الشام وفلسطين فلمَّا تنصَّر العرب اخذ احداثهم يتردَّدون على المعلّمين المنصوبين للتعليم في الجهات المجاورة لمساكن قبائلهم في مدارس كانوا يدعونها بالاسكولات وهي كلمة دخيلة استعارها السريان من اليونانيَّة (σχολή) اشتهر منها مدارس الرها ونصيبين والمدائن والحيرة ودمشق . ومع انَّ التعليم في هذه المدارس كان في السريانيَّة او اليونانيَّة لم يعدم العرب فيها وسائل لدرس لغتهم

وممَّا يؤيّد الامر اخبار بعض شعراء العرب . فمن ذلك ما ورد في كتاب الاغاني (٥ : ١٩١) عن المرقّش الاكبر حيث قال: « وكان مرقّش يكتب وكان ابوهُ دفعهُ واخاهُ حرملة وكانا احبَّ ولدهِ اليهِ الى نصراني من اهل الحيرة فعلَّمهما الخطّ » . ورُوي عن عديّ بن زيد (الاغاني ٢ : ٢٠) انَّ اباهُ زيد طرحهُ في الكُتَّاب مُذ نشأ ثمَّ ارسلهُ

مع شاهان مُرْد الى كتّاب الفارسيّة حيث « تعلّم الكتابة والكلام بالفارسيّة حتّى خرج من افهم الناس بها وافصحهم بالعربيّة » الى ان صار كاتباً للملك النعمان. وجاء ايضاً في اخبار طرفة والمتلمّس (الاغاني ٢١ : ١٩٣—١٩٥) انَّ المتلمّس لمّا اراد ان يطّلع على ما كتبهُ في حقهما عمرو بن هند الى المكعبر عامله في البحرين عدل الى غلام عباديّ من غلمان الحيرة فاعطاهُ الصحيفة ليقرأها لهُ ففعل ووقف على مضمونها اذ اوصى بقتلها فألقى المتلمّس الصحيفة في النهر وفرّ سالماً بنفسهِ وقُتل طرفة . فيتّضح من ذلك انَّ العباديين وكانوا من نصارى العرب كانوا يواظبون على المدارس . وقد ذُكر في محلّ آخر (اغاني ١٨ : ٧٨) فَضل معلّم نصرانيّ على سواهُ في البصرة في عهد بني امية وولاية الحجّاج. وفي طبقات ابن سعد(٣ : ٢٥٨)انَّ في عهد عُمر بن الخطّاب كان جُفَينة النصرانيّ من اهل الحيرة يعلّم الكتّاب في المدينة وذلك بعد أن امر عُمر بخروج النصارى من جزيرة العرب . وفيهِ دليل على حاجة المسلمين في اوائل الاسلام الى المعلّمين. وفي قائمة المعلّمين التي سردها قدماء الكتبة كالجاحظ في البيان والتبيين (١ : ١٠١) وابن قتيبة في كتاب المعارف (ص ١٨٥) وابن رسته في الاعلاق النفيسة (ص٢١٦) اسماء ذمّيين ومَوالٍ من نصارى ويهود كانوا يتعاطون مهنة التعليم

هذا فضلًا عمَّن كانوا يختلفون الى الرهبان والكهنة النصارى في صوامعهم واديرتهم ليتعلّموا القراءة والكتابة. كما ذُكر عن ابي نصر البرّاق بن رَوْحان (شعراء النصرانيّة ص ١٤١)أنهُ كان يتردَّد الى راهب فيتعلّم منهُ تلاوة الانجيل. وكما قال في الاغاني(٣ : ١٤) عن ورقة بن نوفل انهُ «كان يكتب بالعبرانيّة (يريد السريانيّة) من الانجيل ما شاء ان يكتب». ولعلَّ الراهب الذي اشار القريشيُون اليهِ بقولهم عن محمّد (سورة النحل) «انّما يعلّمهُ بَشرٌ» كان احد معلّمي النصارى في مكّة . كما تعلّم اهلها الكتابة من بشر بن عبد الملك النصراني اخي اكيدر الكندي صاحب دومة الجندل (السيوطيّ في المزهر ١ : ٣٩٠) وكانوا يسمّون هذه الكتابة بالجَزْم اي القطع سواء فصلوها عن خطّ حمير المعروف بالمُسْنَد كما ارتأى ابو حاتم (التاج ٨ : ٢٢٨) او بالحري لفصلها عن الحروف الكلدانيّة وهي اقرب اليها . وفي فضل بشر على قريش قال احد شعراء كندة منشدًا :

لا تجحدوا نَعْماءَ بشرٍ عليكمْ   فقد كان ميمونَ النقيبةِ أزهرا

أتاكُمْ بخطِّ الجَزْمِ حتّى حَفِظْتمُ من المالِ ما قد كان شتّى مُبَعْثَرَا
وأبقيتمُ ما كان بالمالِ مُهْمَلا وطأمنتمُ ما كان منهُ مُبَقَّرا
فأجريتمُ الاقلامَ عَوْدًا وبَدْأَةً وضاهيتمُ كُتّابَ كسرى وقيصرا
وأغنيتمُ عن مُسْنَدِ الحيِّ حِمْيَرا وما زبرتْ في الصُحفِ اقلامُ حميرا

وممّا نسبوهُ الى قسّ بن ساعدة اسقف نجران في كتاباتهِ انهُ اوّل من كتب في رسائلهِ «من فلان الى فلان بن فلان» ونسبوا اليهِ فصل الخطاب بأن قال بعد حمد الله والدعاء «اما بعد» افتتاحاً للخطاب. ومثلها قولهم «باسمك اللهمَّ» زعموا انَّ اوّل من كتبها الشاعر النصراني اميَّة بن ابي الصلت الثقفي

فكلّ هذه الشواهد تدلُّ على شيوع صناعة التعليم بين نصارى العرب واجتهادهم في تعميمها. وقد سبق لنا بين القبائل المتنصّرة (ص ١٢٤) ذكر قبيلة اياد وقد روينا انهم اشتهروا بمعرفة الكتابة فقال فيهم اميَّة شاعرهم (سيرة بن هشام ص ٣٢) :

قومي ايادٌ انَّهم أَمَمُ او لو أقاموا فتهزلُ النَّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراقِ اذا ساروا جميعاً والقطُّ والقلَمُ

ومثلهم الحميريّون ولاسيَّما نصارى نجران وانَّما كانوا يكتبون الخطّ المعروف بالمُسْند. قال ابن خلدون في مقدّمتهِ : «ومن حمير تعلّمت مُضَر الكتابةَ العربيَّة».
والى حذاقة حمير في الكتابة يشير ابو ذؤَيب بقولهِ (لسان العرب ١٨ : ٣٠٦) :

عرفتُ الديار كخطِّ الدَّوِيِّ م حبَّرهُ الكاتبُ الحميَرِيّ

وممَّن سعى في نشر التعليم من اساقفة النصارى في عهد بني اميَّة قثيون احد جثالقة الكلدان قال عنهُ ابن ماري في تاريخ بطاركة كرسيّ المشرق من كتابهِ المجدل (ص٦٦) انهُ «نصب في كرسيهِ اسكولًا فتشبَّه بهِ الاساقفة في عمارة البيَع والاسكولات».
امَّا المسلمون فانَّهم لم يُنشئوا المدارس الَّا بعد هذا العهد بزمن طويل. قال المقريزيّ في الخطط (٢ : ٣٦٣) : «المدارس ممَّا حدث في الاسلام ولم تكن تُعرف في زمن الصحابة ولا التابعين وانَّما حدث عملها بعد الاربعمائة من سني الهجرة (كذا) واوّل من حُفظ عنهُ انهُ بنى مدرسةً في الاسلام اهل نَيسابور فبُنيت بها المدرسة البيهقيَّة... واوّل مدرسة أُحدثت في ديار مصر المدرسة الناصريَّة نسبة الى السلطان الناصر صلاح الدين يوسف»

الفصل الثاني عشر

العادات النصرانيَّة بين عرب الجاهليَّة وفي اوَّل الاسلام

قد شاعت في جزيرة العرب في عهد الجاهليَّة واوائل الاسلام عادات لا يمكن تعليلها الَّا بنفوذ النصرانيَّة واندماجها في القبائل العربيَّة . فمن هذه العادات ما هو دينيٌّ بَحت . ومنها ما هو شرعيٌّ . وبعضها مدنيٌّ واجتماعيٌّ . فها نحن نتتبَّع هذه الاقسام الثلثة بالتوالي

١ العادات الدينيَّة

﴿ الصلاة ﴾ هي في مقدّمة الواجبات الدينيَّة بها يرتفع الانسان عن حضيض عالمِ هذا الهيوليّ الى ربِهِ وخالقهِ ليسجد لهُ ويشكرهُ ويستغفرهُ من ذنوبهِ ويلتمس نعمهُ . على انَّ اهل البادية كانوا في كلّ اطوار تاريخهم قلَّما يكترثون لهذه الفريضة كأنَّ لسان حالهم يقول مع احدهم (١ :

لا لصلّي (نصلّي) ولا لصوم (نصوم) ولا لذكر (نذكر) ربّنا حمًّا (لمَّا) لقوم (نقوم)

فلمَّا دخلت النصرانيَّة بينهم أَلِفت القبائل المتنصّرة الصلاة والدعاء الى الله كما يلوح من عدد الكنائس التي كان النصارى اقاموها في جهات العرب وكما بيَّنَّا في القسم الاوَّل من كتابنا بشواهد مختلفة رويناها عن كلّ ناحية من جزيرة العرب

ولمَّا ظهر الاسلام فرض صاحبهُ على تَبَعتِهِ خمس صلوات في النهار فاستعار ذلك ممَّا وجدهُ شائعًا بين الرهبان الذين كانوا يقيمون صلواتهم السبع في خمس قومات من النهار والليل . جاء في نقائض جرير والفرزدق (ص ٥٢٥) عن صلوات النصارى : « وكانت اخصّ صلواتهم خمسًا قال الفرزدق يذكر عجوزًا من بني جعفر عاذت بابيه غالب :

عجوزٌ تصلّي الخمس عاذت بغالب فلا والذي عاذت بهِ لا أَضيرُها »

واخصّ صلوات المسلمين في طرفي النهار حين يصبحون وحين يُمسون (سورة هود ع ١١٦ وسورة الروم ع ١٧) وهكذا كان رهبان جزيرة العرب يبكّرون الى الصلاة ويواظبون عليها في ليلهم . قال مجنون ليلى :

---

١) اطلب كتاب الكولت لندبرغ Landberg : *Dialectes de l'Arabie Méridionale*

كأنّهُ راهبٌ في رأس صومعةٍ يتلو الزّبور ونجمُ الصبح ما طلعا

وقال الآخر (اللسان ١٤: ٨٩):

عن راهبٍ متبتّلٍ متهلّلٍ صادي النهارَ لِلَيْلِهِ متهجّدِ

ومن سُنَن الاسلام (الوضوء) والاغتسال قبل الصلاة · وهي عادة كان سبق اليها نصارى الشرق فتجدها في قوانينهم القديمة · ففي كتاب الايثيقون اي الآداب لابي الفرج ابن العبري بابٌ وهو الثالث من مقالتهِ الثالثة قسمهُ الى عشرة فصول يجث فيها عن طهارة الجسد واحكامها وشروطها كما كانت شائعةً في كنائس ملّتهِ اليعقوبيّة · وذكر الاحواض التي كانت في ساحات الكنائس لإتمام فريضة الوضوء · وقد وصف حضرة الخوري ابراهيم حرفوش في المشرق (٦ [١٩٠٣]: ١١٦—١٢٣) احد مخطوطات دير مار شليطا القديمة وفيهِ قوانين جارية في الاعصار السالفة في ٥١ باباً ورد في احدى صفحاته (ص ١٠٨) شروط الصلاة وحدودها على هذه الصورة:

« فامّا حدودها (اي الصلاة) وشروطها فانّها تحتاج في اوّل شيءٍ الى الطهارة وهو الاغتسال بالماء في إثر الحدث. فان لم يجد الماء فليتجمّر بثلاثة حجار وما زاد عليها حتّى ينفي اثر النجوى. ثم غَسْل اليدين بالتسمية وغسل الوجه برسم الصليب المحيي ويستحبُّ ايضاً غسلُ الرجلين في كلّ غداة. فامّا مَن لم يُحدث فلا يحتاج الى الاستنجاء بل يستحبُّ منهُ غسل اليدين والوجه وغاية الغسل ان يعمّ الماء العضو الذي يغسلهُ وعوماً كاملاً الخ. (ثمّ يليه فصلٌ في الاغتسال من الجنابة غسلاً عاماً .. مع الاعتراف الى الكاهن وقبول صلاة الاستغفار) »

ومن شروط الصلاة في الاسلام الاتجاه الى (القِبلة) وهي ايضاً عادة مستعارة من قدماء النصارى الذين كانوا يتّجهون في صلاتهم الى الشرق اذ يتّخذون الشمس الشارقة رمزاً عن السيّد المسيح المعروف بشمس العدل والموصوف بالشرق. قال صرمة ابن أنس قبل الاسلام (كتاب البدء ١: ٧٦) يصف صلاة النصارى الى مطلع الشمس:

ولهُ شمّس النصارى وقاموا كلَّ عيد لهم وكلَّ احتفالِ

فاتّخذ محمّد على مثالهم قبلةً للصلاة كانت اوّلاً اورشليم ثمّ حوّلها الى الكعبة في مكّة

وفي الصلاة الاسلاميّة (القيام والسُّجود والركوع ورفع الايدي) وكلّ ذلك سبق اليهِ النصارى ووصفهُ شعراء العرب. وقد وصف البعيث رهبان النصارى عند وقوفهم في الصلاة (اطلب الصفحة ١٧٧ من الجزء السابق):

رجالٌ يُتَلُّون الصلاةَ قيامُ

وقال المضرّس الاسدي في سجودهم :

وسخال ساجيةِ العيونِ خواذلٍ   بجماد لينَةَ كالنصارى السُّجَّدِ

وقال النابغة الذبياني في الراهب الراكع (تاج العروس ٥ : ٣٦٣) :

سيبلغُ عُذرًا او نجاحًا من امرئٍ   الى ربّهِ ربِّ البريّةِ راكعِ

وقال اخر في رفع اكفّهم في الصلاة :

فذا فضلُ ايدي المستغيث المُسبّحِ

واذا تلا المسلمون القرآن لحّنوا فيهِ (بالتجويد) ولعلّهم اخذوهُ عن تلحين الرهبان بالزبور والتسابيح . قال ابن قتيبة في المعارف (ص ١٨٠) :

كان اوّل من قرأ بالالحان عبيد الله بن ابي بكرة وكانت قراءتهُ حزنًا ليست على شيء من الحان الغناء ولا الحداء فورث ذلك عنهُ ابن ابنهِ عبدالله بن عمر بن عبيد الله فهو الذي يقال لهُ قراءة ابن عُمَر واخذ ذلك عنهُ الاباضيّ واخذ سعيد العلّاف واخوهُ عن الاباضيّ قراءة ابن عمَر وكان هرون الرشيد معجبًا بقراءة سعيد العلّاف . . . وكان القرّاء كلهم الهيثم وابن اعين وغيرهم يُدخلون في القراءة من الحان الغناء والحداء والرهبانيّة فمنهم من كان يدسّ الشيء من ذلك دسا رفيقا ومنهم من كان يجهر بذلك »

فلا مراء انّ القراءة المُحزنة والحان الرهبانيّة تدلّ هنا صريحًا الى نفوذ الغناء الرهباني في التجويد

ويجوز ان نضيف الى هذا الباب (السُّبحة) التي يدعوها النصارى المسبحة يتلون عليها صلوات معلومة اختلفت مع الازمنة وقد وُجد منها في مقابر سيّاح الاقباط في الصعيد . وهي قديمة في الاسلام لورود ذكرها في كتاب العين للخليل قال (١ : «السبحة خرزات يُسَبَّح بعددها» وجاء في مجلّة المنار المصريّة لمنشئها محمّد رشيد رضا (١٥ : ٨٢٣) فصل في السبحة واصلها في الاسلام قال :

« كنّا نرى هذه السُّبَح في ايدي القسّيسين من النصارى والرهبان والراهبات ونسمع انّها مأخوذة عن البراهمة . . . والظاهر انّ المسلمين اخذوها اوّلا عن النصارى فكانوا في مهد الاسلام عند ظهوره في جزيرة العرب وفي البلاد المجاورة لها كالشام ومصر فلا بُدَّ ان يكونوا

١) اطلب مجلة لغة العرب (٢ : ٢٤٥)

قد اخذوا السُّبحة عنهم فيما اخذوهُ من اللباس والعادات. والامر في السبحة ينبغي ان يكون اشدّ من اخذ غيرها عنهم لأنّها تدخل في العبادة وتُعَدّ شعارًا . . . فالسبحة من البدع الداخلة في العبادة (كذا) »

﴿ الصوم ﴾ احد اركان الاسلام لم يعرفهُ المشركون من العرب في الجاهليّة وانّما كان للمتنصّرين منهم يقومون بهِ على مقتضى نواميسهم ولعلّهم كانوا يصومونهُ في رَجَب وهو وقتئذٍ من اشهُرهم الثابتة يوافق شهرنا نيسان قال المقريزي في الخطط (١ : ٢٨٢) :

«رَجبٌ شهر حرام ويقولون لهُ الاصمّ لانهم كانوا يكفّون فيهِ عن القتال فلا يُسمع فيه صوت سلاح . . . ورجب الاصمّ هو شهر مُضَر وكانت العرب تصومُهُ في الجاهلية وكانت تمتار فيه وتمير اهلها وكان يأمن بعضُهم بعضاً فيهِ ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون»

قال اميّة ابن ابي الصلت يذكر جزاء الصائمين في دار النعيم :

اذا بلغوا التي أُجرَوا اليها تقبَّلهم وحُلّل مَن يَصُومُ

وكان اخصُّ اصوامهم صوم الفِصح قال نمر بن تولب :

صدَّت كما صدَّ عمّا لا يحلُّ لهُ ساقي نصارى قُبَيْل الفِصح صوّامُ

ومن صوم النصارى اقتبس محمّد صومَ رمضان ثلثين يوماً وكان صوم الفصح لا يزيد على ذلك في بعض الكنائس (١ . ومنهم ايضاً اخذ عادةَ الإفطار بعد غروب الشمس الّا أنَّ النصارى لم يأكلوا حينئذٍ الّا مرّة واحدة على خلاف المسلمين الذين حلّل لهم الأكل طول الليل . وكذلك كان النصارى لا يأكلون الّا الاعشاب والبقول والاثمار دون اللحم والبياض وكلاهما مسموح بهِ للمسلمين . قال العلّامة توماس پتريك هيوس (U. Patrik Hughes) في معجم الاسلام (ص٥٣٤) (Dictiona- ry of Islam) : « انَّ الارجح عندنا انَّ محمّدًا اخذ عن النصارى ناموس الصوم ثلاثين يوماً . وكان صوم النصارى في الشرق غاية في الشدّة يمتدُّ الى النهار والليل معاً فخفّف محمّد هذه السُّنّة وحصرها في النهار دون الليل تلطيفاً لشدّتهِ كما قال (سورة البقرة ع ١٧١) : « يريد اللهُ بكم اليُسر ولا يريد بكم العُسر »

امّا الخيط الابيض والخيط الاسود اللذان ذكرهما هناك (ع ١٨٣) فانَّ اميّة بن

١) اطلب معجم العاديّات النصرانيّة Dict. d'Archéologie et de Liturgie. *art.* Carême

ابي الصلت كان سبق الى الاشارة اليها بقولهِ (تاج العروس ٥ : ١٣٧) :

الخيطُ الأبيضُ ضوءُ الصُّبح منفلقٌ والخيطُ الأسودُ لونُ الليلِ مركومُ

﴿ الزكاة ﴾ هي ايضاً من اركان الاسلام المفروضة على ذويهِ بقولهِ (سورة البقرة ٢ : ٧٧) : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » اي الصدقة وما يُرصَد من الاموال لوجه الله واعانة الفقراء . وعندنا انَّ صاحب الشريعة الاسلاميَّة تقلَّد فيهِ اهل الكتاب اي اليهود والنصارى فان موسى في كتاب التثنية الاشتراع وسفر اللاويين يفرضُ على بني اسرائيل تعشير مالهم لخدمة الكهنة والهيكل . . . امَّا النصارى فمن وصايا كنيستهم الراقية الى قرون النصرانيَّة الاولى الوصاة بوفاء العُشر

ولمَّا دخل النصارى في طاعة المسلمين من العرب وُضعت عليهم العشور والمكوس . قال المقريزي في الخطط (٢ : ١٢٢) :

« قال زياد بن جرير : اوَّل من بعث عمر بن الخطَّاب رضَ منَّا على العشور انا فامرني ان لا افتّش احدًا وما مرَّ عليَّ من شيءٍ اخذتُ من حساب اربعين درهمًا درهمًا من المسلمين واخذتُ من اهل الذمَّة من عشرين واحدًا وممَّن لا ذمَّة لهُ العُشر . وامرني ان اغلّظ على نصارى بني تغلب . . . فلطّهم يسلمون »

﴿ الحجّ ﴾ هو ايضاً من اركان الاسلام ومعلوم انَّ الحجَّ الى مكَّة سبق الاسلام . وكان نصارى العرب يحجّون في الجاهليَّة لمزارات مختلفة ولاسيَّما للقدس الشريف فانَّ القديس ايرونيموس في اواخر القرن الرابع واوائل الخامس ذكر في رسائلهِ (Migne, P. L., XXII, 489, 870) بين زوَّار الاراضي المقدَّسة الذين كان يشاهدهم في بيت لحم عرب اليمن وهو يدعوهم على موجب اصطلاح ذلك العهد باهل الهند . وقد وصف امرؤ القيس تزاحم الاولاد على الراهب المقدِّس اي العائد من زيارة القدس الشريف بقوله (اللسان ٨ : ٥٠) :

كما شبرق الولدانُ ثوبَ المقدِّسِ

وفي ذلك القرن الخامس كان عرب حمير والعراق يحجّون زرافات الى مقام القديس سمعان العمودي كما روى ذلك في تاريخه تاودوريطس الذي عاينهم هناك (Migne, P.G., LXXIV. 104)

ومن مزارات العرب التي كانوا يحجّون اليها مشهد القديسين سرجيوس

وباخوس في الرصافة وقد مرّ لنا ذكر الكتابة العربيّة السابقة للإسلام التي وَردت هناك

وكانوا يحجّون في جزيرة العرب الى كنيسة القُلَّيس التي شيّدها ابرهة في صنعاء بعد فتح اليمن (راجع الجزء السابق ص ٦٤ و ٣٣٤) ومثلها كنيسة ظَفار

ومن المحاجّ التي كان يقصدها ايضاً النصارى العرب في الجاهليّة طور سينا ومعابدهُ الشهيرة المقامة في مشارف ذلك الجبل حيث يروي التقليد مناجاة الله عزّ وجلّ لموسى النبيّ واوحى اليه بشريعته

بل كان نصارى العرب واليهود في الجاهليّة يحجّون الى مكّة كما روى ذلك ياقوت في معجم البلدان لأنّهم كانوا يرون في الكعبة تذكارًا لما ورد في سفر التكوين (ف ٢١) عن هاجر واسمعيل بن ابرهيم الخليل متّفقين في ذلك مع تقليد عرب الحجاز. وقد ذكر في الاغاني (٢١: ١٦٤) خروج هدبة بن خشرم الى الحجّ وكان نصرانيًا كما ذكر التبريزي في شرح الحماسة (ص ٢٣٥)

وقد مرَّ لنا (ص ٦٤ و ١٧٤) انَّ النصارى كانوا يدعون بعض بيَعهم بالكَعَبات مثل كعبة نجران الوارد ذكرها في شعر الاعشى وكعبة اليمن. وقال عَبَدة بن الطبيب (المفضّليات ٢٩١):

في كعبةٍ شادها بانٍ وزيّنها فيها ذُبالٌ يُضيء الليلَ مَفتولُ

وكان لكعبة مكّة منذ عهد الجاهليّة حَرَمٌ اي حدود تُحدق بها لا يجوز انتهاكها. ووضع محمّد حَرَمًا لمسجد النبيّ في المدينة. وانّما الحَرَم شاع قبلًا عند اليهود حول هيكل اورشليم واتّخذهُ النصارى لبعض كنائسهم الكبرى لامتيازها وهو الحِمَى كان الداخلون فيه في امان. وقد ورد في المشرق (١٣ [١٩١٠]: ٧١) اكتشاف المسيو نويل جيرون لنُصْب اي عمودٍ ضخمٍ من الحجر المانع في دمشق كان دالًّا على حِمَى كنيسة دمشق قبل الفتح الاسلاميّ كما تُبيّنهُ كتابة يونانيَة اثبتناها هناك. وكان للنصارى قرب بعض الكنائس بروجٌ للاطيار لا يجوز صيدها كحمام مكّة التي يضرب المثل في امانها فيقال آلف من حمام مكّة

وكان العرب يطوفون حول الكعبة. وكانت تلك عادةً جاريةً بين النصارى العرب ان يطوفوا حول الكنائس. قال الشاعر الجاهليّ يذكر طواف النصارى حول الصليب فدعاهُ زُورًا بالوثن (لسان العرب ١٧: ٣٣٤):

يطوفُ العُفاةُ بأبوابهِ كطَوف النصارى ببَيْت الوَثَنْ

وممّا رواهُ في الاغاني (٧ :١٤٨) لعنترة وقيل بل لعبد قيس بن خفاف البُرجمي قولهُ :

تمشي النعامُ بهِ خلاءَ حولهُ مَشيَ النصارى حول بيت الهيكلِ

وقال الحارث بن خالد يصف بشرة أمة عائشة بنت طلحة (اغاني ١٥ :١٣٣) :

وبشرةُ خَوْدٌ مثلُ تمثالِ بيعةٍ تظَلُّ النصارى حولَه يومَ عيدها

﴿ استلام الحجر الاسود ﴾ ومن المعلوم انَّ المسلمين اذا حجُّوا الى الكعبة وطافوا حولها استلموا الحجر الاسود الذي فيها ولعلّهم يفعلون ذلك احتذاءً بنبيّهم . قال البخاري في الصحيح (٢ :١٤٧) : « جاء عُمر الى الحجر الاسود فقبّلهُ فقال : اني اعلم انك حجر لا تضرُّ ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلعم يقبّلك ما قبّلتُك » . قلنا ولا يبعد ان العرب اخذوا ذلك عن النصارى الذي يقبّلون حجارة كنائسهم تعبُّدًا او كحجّاجهم الى القدس الشريف حيث يقبِلون قبر السيّد المسيح او الحجر الذي صعد من فوقهِ الى السماء في جبل الزيتون وعليه رسمُ أثَر قدمهِ المبارك

وقد سبق لنا ذكر حمام مكّة وأمنها من الصيد . ودونك ما رُوي عن حمام الكنائس . روى الطبري في تاريخهِ (٢ :٨٦١) لرجل من بكر بن وائل ونسبهُ في الاغاني (٢ :٧٢) لعبد الرحمان بن الحكم :

أتتْك العيسُ تنفخُ في بُراها تُكشّفُ عن مَناكِبها القُطُوعُ
كأنّ مواقعَ الأكوارِ منها حمامُ كنائسٍ بُقعٌ وقُوعُ

﴿ النذور ﴾ يروى عن عرب الجاهليّة انهم كانوا ينذرون مواليدهم للكعبة . ذكر ابو الوليد الازرقي في اخبار مكّة (ص ١٢٨—١٢٩) عن امرأة اخزم بن العاص الجرهميّة انّها كانت عاقرًا فنذرت إن ولدت غلاماً ان تتصدّق بهِ على الكعبة عبدًا لها يخدُمها ويقوم عليها فولدت من اخزم الغَوْثَ فتصدّقت بهِ عليها فكان يخدمها مع اخوالهِ من جُرهُم . (قلنا) انَّ هذه العادة اعني نذر المولود الى الله كان سبق العربَ اليها اصحابُ الكتاب من يهود ونصارى . وكلٌّ يعرف كيف نذرت حنّة العاقر ان ولدت غلاماً تجعلهُ في خدمة الله فولدت صموئيل فوفت بنذرها . وقد ورد في

القرآن في سورة آل عمران نذر امرأة عِمْران (يعني القديسة حنَّة) بابنتها مريم العذراء فخدمَتْهُ تعالى بالمحراب تحت كفالة زكريَّا الكاهن

﴿ المساجد وبناؤها على شكل الكنائس ﴾ لا مراء في ان المسلمين اوَّل ما شيَّدوا المساجد لصلاتهم بنوها على صورة الكنائس فضلاً عمَّا حوَّلوهُ منها الى جوامع عند فتحهم البلاد النصرانيَّة كالجامع الامويّ في دمشق والجامع الاقصى في القدس الشريف وجوامع حمص وحماة وحلب فكل من يدخل هذه الجوامع من المهندسين يحتم لاوَّل وهلة انَّها من هندسة النصارى الاقدمين كما اثبتنا ذلك في فصل الفنون الجميلة (ص٣٤٣—٣٥٠) . فلمَّا حاول المسلمون تشييد مساجد جديدة تقلَّدوا فيها الكنائس النصرانيَّة وكان بُناتُها في الغالب نصارى من الروم والقبط واهل الشام لا يعرفون الَّا هندستهم الدينيَّة

وقد قابل المرحوم ڤان برکم (M. van Berchem) بين كل اقسام الجوامع كصحنها ورواقها واركانها وعواميدها وسقفها وقِبْلتها ومحرابها ومنبرها ومقصورتها ومنارتها وبين الكنائس النصرانيَّة واقسامها المختلفة عند ظهور الاسلام وختم بقولهِ « انَّ وَضع الجوامع يُشبه شبهاً تامًّا واضحاً بناء الكنائس القديمة (١ » يريد الكنائس المعروفة بالكنائس الملكيَّة (Basiliques)

وما نقولهُ هنا اجمالًا عن هندسة الجوامع نستطيع ان نثبتهُ ايضاً لكل قسم منها مفردًا كالمآذن والمنارات التي تقلَّدوا فيها الصوامع النصرانيَّة وكالمنبر الذي مرَّ لنا ذكرهُ في باب النجارة وهلمَّ جرًّا

﴿ الخطابة في المساجد ﴾ وممَّا استحدثهُ الاسلام الخطب الدينيَّة في المجامع . يروى لصاحب الشريعة الاسلاميَّة بعض الخطب التي القاها في قومهِ يذكّرهم ويحضّهم على الاعمال الصالحة وانَّما تقلَّد في ذلك ما وجدهُ من العادات الجارية بين النصارى

---

١) راجع (Encyclopédie de l'Islam, art. Architecture, p. 428b
اطلب ايضاً كتاب سَلادين في الفنون الاسلاميَّة H. Saladin: Manuel d'Art Musulman, I, 7-10 وكتاب تواريخ الاسلام للبرنس كايتاني L. Caetani: Annali dell' Islam, I. 432 ومجلة الاسلام لبكّر Beker, Islam, III,392 وكتاب الصناعة العربيَّة لغايه Gayet: l'Art arabe. p. 27-58

الجاورين له الذين كان اربابهم وكهنتهم يرشدون في الكنائس رعاياهم . وقد مرَّ لنا فصل في الخطابة بين نصارى العرب في الجاهليّة مع ذكر إمامهم المضروب فيهِ المثل قسّ بن ساعدة

وكان منبر الخطابة بين النصارى رمزًا عن الرئاسة والسلطة الدينيّة . وكذلك اعتبرهُ محمّد والمسلمون بعده . فكان الخلفاء يرقونهُ ايّام الاعياد والصلوات العموميّة فيلقون منهُ الخطب كما كان يفعل اساقفة النصارى في كنائسهم . وقد سبق لنا (ص ٣٧٥) ذكر العرش الذي اضافوهُ الى المنبر وكان يجلس عليهِ محمّد كما روى ابن الاثير في اسد الغابة وابن سعد في طبقاتهِ . وكان ذلك على مثال العرش الذي يجلس عليهِ رؤساء الدين النصراني في كنائسهم

وكذلك اعتاد الاساقفة اذا خطبوا او صلّوا صلاةً عموميّة ان يمسكوا بيدهم العصاة الرعويّة المعروفة بالعكّاز . وقد مرَّ في خبر قسّ بن ساعدة انهُ كان اذا خطب يتكئ على عصاً (وقيل على سيفٍ) وممَّا رواهُ البخاريّ في صحيحهِ في كتاب الصلاة (١ : ١٣٥) «انَّ النبيّ امر بحربةٍ فتوضع بين يديهِ فيصلّي اليها»

وللجوامع مآذن او منارات يؤذنون منها بالصلاة . وهي ايضاً ممَّا تقلّد فيهِ المسلمون النصارى . فانَّ المسلمين كانوا يؤذنون اوَّلًا بالصلاة على باب مساجدهم ثمَّ علوا سطوحها للاذان او اذَّنوا فوق اسوار المدن كما ورد في شعر الفرزدق قال (تاج العروس ٩ : ١٢٠) :

وحتَّى علا في سُور كلّ مدينةٍ   منادٍ ينادي فوقَها بأذانِ

ثمَّ تقلَّدوا اخيرًا صوامع الرهبان وهي قلاليّ محدَّدة الطرف او أبراج كان يسكنها الراهب لعبادتهِ ويقرع منها الناقوس . فصارت المأذنة مرادفة للصومعة . ورد ذلك في كتب الادباء كابي الفرج الاصبهاني في الاغاني (٢٠ : ٨٥) اذ ذكر مأذنة المدينة فدعاها ايضاً هناك بالصومعة (١ . وروى عن بعض الموسوسين انهم «كانوا يصفعون المشايخ في الصوامع اذا اذَّنوا» . وفي خطط المقريزي (٢ : ٢٤٨) انَّ معاوية امر مسلمة بن مخلد ببناء الصوامع للأذان في جامع فسطاط العتيق المعروف بجامع عمرو

١) اطلب مجلّة الجمعيّة الشرقيّة الاميركانيّة JAOS., XXX, 132-154, art. Gottheil

قال «وجعل مسلمة للمسجد الجامع اربع صوامع في اركانه الاربع . . . وامر ان لا يُضرب بناقوس عند الاذان يعني الفجر » . وكذلك ورد في تاريخ الشيخ ابي صلح الارمنيّ (ص ٥٤ éd,. Evetts) : « وكان فتوح مصر في المحرَّم سنـة ٢٠ للهجرة ومن الصوامع ما هو باقٍ الى الآن جعلهم المسلمين مواذن (كذا) »

﴿المجامر في المساجد والجنازات﴾ معلوم انّ النصارى في مناسكهم الدينيّة في الكنائس وفي جنازات موتاهم يضرمون المجامر ويحرقون البخور ويوقدون الشمع والمشاعل . قال الحسين بن الضحّـاك يصف كنيسةً (البكري ٣٦٩) :

عجَّت اساقفُها في بيت مَذْبحِها اذكى مجامرهـا بالعودِ والنارِ

وقد روى الترمذي في صحيحهِ (١ : ١١٦) عن محمَّد انَّهُ كان يجمِّر المسجد قبل وفود الجماعة . وذكر ابن الاثير في النهاية (١ : ١٧٥) نعيمـاً المجمّر الصحابيَّ قـال «وهو الذي كان يلي إجمار مسجد رسول الله صلعم » وهكذا فعل الخلفاء الراشدون بعدهُ ثم معاوية وبعض خلفاء بني اميَّة

وممَّا ورد في كتاب تحقيق النصرة لابي بكر المراغي انَّ عُمر بن الخطَّـاب عند رجوعهِ من غزوة الشام اتى «بمجمرة من الفضَّة فيها تماثيل وكان يجمِّر بهـا المسجد ثمَّ تُوضع بين يدي عمر بن الخطَّاب » . وممَّا ورد في تجمير المسلمين للموتى ما ذكرهُ ابن الاثير في أُسد الغابة في معرفة الصحابة (٥ : ٥٤٥) وابن حجر العسقلاني في الاصابة في تمييز الصحابة (٨ : ١٨٧) عن مرضية الصحابيَّة قالت : « اراكم تنكرون شيئاً رأيتهُ يُصنَع على عهد رسول الله صلعم رأيت الميت على عهد رسول الله صلعم يُتبَع بالمِجْمَر » . وكذلك روى ابن سعد في طبقاتهِ (٨ : ٥٣—٥٤) عن عائشة زوج نبيّ الاسلام انهُ حملت في دفنها المشاعل من الجريد الملفوف بالخرق والمغموس بالزيت . ثمَّ أَفتوا بتحريم التجمير وفي صحيح ابن ماجة « انهُ لا يجوز اتباع الجنائز بالمجـامر وما يشابهها لأَن ذلـك من فعل الجاهليَّة » يعني النصرانيَّة (١

﴿ اكرام القبور ﴾ يروى في الحـديث (جامع السيوطي ص ٣٥٧) : « قاتل الله اليهود والنصارى اتَّخذوا قبور انبيائهم مساجد» كأن صاحب الشريعة الاسلاميَّة

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG.1905, 403-404): وتاريخ معاوية للاب لامنس Lammens: Mo'âwia, (367, 436)

حوم بذلك اكرام الموتى وزيارة قبورهم . الّا انّ المسلمين لم يعيروا بالا الحديث المذكور كما يثبت ذلك مألوف عاداتهم في اكرام قبر نبيّهم في المدينة وقبور الخلفاء الراشدين هنالك مع ما يزين تلك القبور من الحليّ ويُوقد فوقها من السُرج ويقدّمون اليها من الهدايا . ومن ذلك يتّضح انّ العادة النصرانيَّة غلبت عليهم الّا بعض المتطرّفين منهم كالوهابيين الذين ينكرون كلّ اكرام للاولياء . وممّا يستند اليه اهل السنّة في اكرام الاولياء ما رواهُ ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير (ج ٢ ق ٢ ص ٩—١٠) « انّ رسول الله صلعم صلى على اهل البقيع اي قتلى أُحد بعد ثماني سنين » وقد اخبر الواقدي عن فاطمة الزهراء ابنته انها كانت تخرج الى أُحد لزيارة قبر حمزة عمّ محمّد (١

الاستشهاد واخصّ من يكرمهم النصارى شهداء دينهم الذين بموجب وصاة السيّد المسيح فضّلوا الموت في سبيل ايمانهم على الحياة والغنى والشهوات . وليس النصارى شهداء غيرهم . فرأى صاحب الشريعة الاسلاميَّة ما في هذه الميتة الشريفة من المجد فعظّم الاستشهاد ورغّب فيه بالمواعيد الجليلة في الآخرة . لكنَّ بين هذا الاستشهاد والاستشهاد النصرانيّ بوناً عظيماً . فبينما النصارى لا يعدّون شهيداً الّا من مات لاجل الدين المستقيم ترى المسلمين يكرمون كشهداء كلّ من مات في الحرب والجهاد بل يعتبرون كشهداء غيرهم ايضاً . جاء في الحديث (جامع السيوطي ص٢٩٣) : « الغريق شهيد والحريق شهيد والغريب شهيد والملدوغ شهيد » . وروى حديثاً آخر (ص٢٧٢) : « الطاعون والغرق والبطن والحرق والنفساء شهادة لأُمتي » وفي صحيح البخاري (٣ : ١٩٣) : « الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله »

٢ العادات الشرعية والاجتماعية

اصول الشرع الاسلامي لمّا ظهر الاسلام كان معظم العرب لا يعرفون من الشرع الّا ما يفي بامورهم ويكفي لمعاملاتهم في حياتهم الساذجة . فلمّا فتحوا البلاد الراقية في التمدُّن كالشام ومصر والعراق والعجم احتاجوا الى شرائع اوسع وادقّ

(١ اطلب كتاب الاستاذ غولتسيهر **Goldziher:** Culte des Saints chez les Musulmans. *Paris*, 1880

وكان نصارى تلك البلاد يتبعون الشرائع الرومانيّة التي نقّحها ونظّمها يوستنيان الملك فعليها جرى العرب اوّلًا بمساعدة عمّال من نصارى الروم والسريان والاقباط وانّما ثبتوا على بعض نواميسهم الاصليّة في عيشتهم الفطريّة مع ما استخلصهُ الفقهاء من القرآن او الحديث. وبقوا على ذلك الى اواسط القرن الثاني للهجرة اذ ظهر كبار الائمّة كالشافعي وابي حنيفة ومالك وابن حنبل فوضعوا الفقه الاسلامي اصولًا ثابتة يرجع اليها المسلمون حتّى يومنا هذا. على انّ الذين يدرسون هذا الفقه لا يزالون يقابلون بينهُ وبين الشرع الرومانيّ ويلحظون اشياء كثيرة مصدرها الحقوق الرومانيّة

﴿الدواوين﴾ لا قيام لدولة كبيرة الّا بانشاء دواوين مختلفة يُعهد الى كلّ منها تدبير بعض امورها كبيت المال وتدبير الجُند وديوان الانشاء وديوان التوقيع وديوان الاعمال وديوان الجباية وديوان الخاتم. ولم يكنْ للعرب الفاتحين دُربة في كلّ ذلك ومن ثمّ اقرُّوا الدواوين على ما كانت عليهِ قبل فتحهم في ايدي عمّال من نصارى البلاد. وجاء في كتاب لطائف المعارف للثعالبي (ص١٠) «انّ اوّل من دوّن الدواوين عمر بن الخطّاب عملًا بما قال لهُ رجلٌ: رأيتُ الاعاجم يدوّنون ديوانًا لهم فدوّنْ لنا انت ديوانًا فامر بوضع الديوان» على انّ هذه الدواوين تولّاها اوّلًا النصارى لعلمهم بتدبيرها. لنا على ذلك مثال جليل في أُسرة ابن منصور الدمشقيّة التي اشتهر منها سرجه او سرجون بن منصور من ندماء يزيد بن معاوية (الاغاني ١٦: ٧) وكاتب معاوية بن يزيد وعبد الملك بن مروان على ديوان الخراج والجند (الطبري ٢: ٨٣٧ ابن عبد ربهِ ٢: ٣٢٢) وابنهُ يوحنّا هو ملفان الكنيسة اليونانيّة العظيم المعروف بالقديس يوحنا الدمشقي. وكان هؤلاء العمّال يكتبون في الروميّة او القبطيّة او الفارسيّة الى ان تمكّن العرب من نظارة تلك الدواوين فنقلوها الى العربيّة وذلك في عهد عبد الملك بن مروان ثمّ الوليد بن عبد الملك

﴿التاريخ﴾ كان للامم المجاورة للعرب تواريخ للاعوام والشهور يعرّفون بها ازمنة الوقائع والحوادث المهمّة فكان اليونان يؤرخون بسني الخليقة وبتاريخ الاسكندر ذي القرنين وبمولد السيد المسيح. وكان الفرس يؤرخون بيزدجرد بن شهريار او احد ملوكهم. وأرّخ العرب قبل الاسلام بعام الفيل او ببعض ايامهم المشتهرة كيوم حَبَلة ويوم الكُلاب ويوم ذي قار. اما المسلمون فقيل انّ عمر اول

من ارَّخ منهم في السنة ١٩ او ٢٠ هجريَّة تعلّموا ذلك من جيرتهم . جاء في كتاب الشماريخ في علم التاريخ للسيوطي (ص ٩ éd. Seybold) « انَّ رجلًا من المسلمين قدم من ارض اليمن فقال لعُمر: رأيتُ باليَمَن شيئاً يسمُّونهُ التاريخ يكتبون من عام كذا وشهر كذا . فقال عُمر: انَّ هذا لحَسَن فارّخوا » ثمَّ اختلفوا في بدء التاريخ الى ان اصطلحوا على سنة هجرة محمَّد من مكَّة الى المدينة وجعلوا اوَّل العام شهر المحرَّم شهر حرام ومنصرف الناس من الحجّ . قالوا انهُ يوافق يوم الخميس الثامن من شهر ايَّار لانهُ سنة ٩٣٣ للاسكندر

﴿الحَلَف﴾ قد اعتاد العرب على القسَم بالله وبما يقرب اليه كالملائكة والاولياء . قال عبيد بن الابرص (ديوانهُ éd. Lyall ص ٦٧) :

حلفتُ بالله ان الله ذو نِعَمٍ لِمن يشاء وذو عفوٍ وتَصْفاحِ

وقال الآخر (امالي القالي ٣: ٢٩)

امَا والذي لا يعلمُ الغيبَ غيرُهُ ومن هو يحيي العظم وهو رميمُ
لقد كنتُ اطوي البطنَ والزادُ يُشتهى مخافةً من ان يقالَ لئيمُ

وكانوا في الجاهليَّة يحلفون باصنامهم كاللات والعزَّى ونَسْر . ثمَّ شاع ذلك بينهم حتَّى النصارى واليهود دون اشارة الى معتقدهم بها كما يقال باللاتينيَّة حتَّى في عهدنا بحق هِرَكل (mehercle) او بالايطاليَّة بحق بخُوس (per Bacco) فكذلك نصارى العرب حلفوا باصنام الجاهليَّة وبالانصاب على سبيل العادة ليس عن اعتقاد دينيّ . فمن ذلك قول عبد المسيح المتلمّس يهجو عَمْر بن المنذر :

أطرَدتَني حَذَرَ الهجاء ولا واللاتِ والانصاب لا تئِلْ

ويروى: واللهِ والانصاب . ومثلهُ مهلهل التغلبيّ حلف بالانصاب:

كلَّا وانصابٍ لنا عاديَّة معبودة قد قُطِّعتْ تقطيعا

وحلف اوس بن حَجَر باللات والعزَّى فقال :

وباللات والعُزَّى ومَن دان دينها وبالله انَّ الله منهن اعظمُ

وحلف الاخيطل بالعزَّى وبنسر وما يُضحَّى عليهما من الضحايا :

أما ودماءِ مائراتٍ تخالُها   على قُنَّةِ العزَّى وبالنَّسر عَنْدَما

وذكر له في الاغاني (٧ : ١٧٣) حلفاً قاله افتخاراً على جرير والفرزدق: « انا واللات اشعرُ منهما» فاردف الراوي قائلاً: « حلف باللات هزوًا واستخفافاً بدينه » (قلنا) بل حلف بها جرياً على عادة العرب دون حمله ذاك الحلف على الدين مع ما نعلمهُ من تشبُّث الاخطل بدينهِ حتَّى في مجالس الخلفاء . ومما حلف بهِ مشيراً الى دينهِ ما رواهُ ايضاً ابو الفرج في الاغاني (في الصفحة المذكورة:) «وحقِّ الصليب» . « وحقِّ الصليب والقربان» وروى له في محلّ آخر (٨: ٨٥): « قدّوس قدّوس .. وحقّ الصليب» وقد ذكر له في نقائض جرير والفرزدق حلفاً بالمسيح

وكذلك لم يأنف النصارى عن الحلف بمكَّة ومناسك الحجّ قال الاخطل (اطلب ديوانهُ ص ١١٩ وشرح مغني اللبيب للشيخ محمَّد الامير (١ : ٢١٠) :

اني حلفتُ بربّ الراقصات وما   أضحى بمكَّة من حُجبٍ وأستار
وبالهدايا التي احمرَّت مدارعُها   في يوم نسك وتشريقٍ وتَنْحارِ
وما بزمزمَ من شُمط محلّقةٍ   وما بيثربَ من عُونٍ وأبكارِ
لألجأتني قريشٌ خائفاً وَجلاً   وموَّلتني قريشٌ بعد إعسار

وحلف الآخر بالكعبة وإله اسرائيل (امالي القالي ٢ : ٤٦) :

قُلْتُ وكنتُ رجلاً فطينا   هذا وربِّ البيت اسرائينا

وقد جمع عديّ بن زيد الشاعر النصراني الشهير في حلفهِ بين مكة والصليب (الاغاني ٢ : ٢٤) :

سعى الاعداء لا يألون شرًّا   عليك وربِّ مكَّةَ والصليبِ

ومثلهُ الاعشى حلف باسكيم الرهبان وبالكعبة :

حلفتُ بثوبَيْ راهبِ الدير والتي   بناها قُصيٌّ والمضاض بن جرهمِ

وورد في الاغاني(١٢: ٧٥) لعبد الرحمان بن الحكم بن ابي العاص :

حلفتُ بربِّ مكَّةَ والمصلَّى   وبالتوراة احلفُ والقرآنِ

وهو القائل ايضاً (اصلاح المنطق ص ٢٢٤) :

واني وربِّ الساجدين عشيَّة   وما صكَّ ناقوسَ النصارى ابيلُها

أصالحكم حتى تبؤوا بمثلها كصرخة حُبلى اسلمتْها قبيلُها

ومما لا شبهة فيه عن ايمانهم بالمسيح قول عمر بن عبد الحقّ :

وما قدَّس الرهبان في كلّ بيعةٍ ايل الايلين المسيح بن مريما

قال في اللسان (١٣ : ٦) : وكانوا يعظّمون الابيل ويحلفون به . وحلف عديّ ابن زيد بالقربان ودعاهُ الشَّبر (اصلاح المنطق ١٦٩)

اذ اتاني خبرٌ من مُنعمٍ لم أخُنْهُ والذي اعطى الشَّبرْ

﴿ الختانة ﴾ معلومٌ أنهُ لا ذكر للختانة مطلقاً في القرآن وانّما يجري عليها المسلمون بموجب السنة والتقليد . والشائع بين الكتبة المحدثين انّ العرب قبل الاسلام كانوا يختتنون . وفي زعمهم هذا نظر فانّ لنا عدةُ شواهد تثبت ان كثيرين من العرب لم يألفوا الختانة ومن المحتمل انّ النصرانيّة ابطلَتْها بينهم . روى صاحب الاغاني لحاجب يزيد بن المهلّب ابياتاً في هجو اليمن ومما ينسبهُ اليهم انهم غُرْل غير مختتنين قال (١٣ : ٥١) :

فلَلزنجُ خيرٌ حين تنسب والدًا من أبناء قحطانَ الغاسلةِ الغُرْلِ

وجاء في التاج (٢ : ٣٢٤) بيت للفرزدق عن آل حوران غير المختتنين . وكذلك هجا حريث بن عتّاب بني ثُعَل ودعاهم بالقُلْف (اغاني ١٣ : ١٠٣) . ومما ورد في نقائض جرير والفرزدق (ص ٦٦٩) انّ بني عامر يوم شِعب جبَلة قتلوا ثمانين غلاماً أغرل . وفي امالي القالي (٣ : ٤٦) ما يثبت رأينا قال : « روى الاصمعيّ عن سَلْم بن قتيبة قال : كانت اياد تَرِدُ المياه فيُرَى منها ، اثنا شاب على مائتي فرس بشيَةٍ واحدة وكانوا أَعدَّ العرب وانهم استقلّوا بعشرين الف غلام أغرل فاوغلوا حتى وقعوا ببلاد الروم »

وقد ذكر ابن الاثير في تاريخهِ في وصف أيام العرب انّه كان ٦٠،٠٠٠ منهم غلفًا دون ختانة . فلا شكّ انّ النصرانيّة بانتشارها في جزيرة العرب قبل الاسلام كانت ابطلت تلك السنّة بين كثير من القبائل

﴿ الحجاب ﴾ قد فرض الشرع الاسلاميّ التحجّب على نساء المسلمين . وليس المسلمون اول من سبقوا الى الامر بهِ . فانّ الامم القديمة كانت تحجب الفتيات الى

عهد زواجهنّ فاذا تزوّجن أسفرنَ عن وجوههنّ . ولنا على ذلك شواهد في سفر التكوين (٢٤: ٦٥ و ٣٨: ١٤) .وقد ورد مثل هذا في الآثار الاشوريّة والرومانيّة وغيرها .وكذلك الكنيسة لم تزل توصي النساء بالحشمة وتغطية رؤوسهنَ ولاسيّما وقت الصلاة في الكنيسة (١ كور ١١ : ٣—١٧)

على ان صاحب الشريعة الاسلاميّة عمّم ذلك وفرض بهِ على جميع النساء مطلقاً ناهياً عن سفور وجوههنّ الّا بازاء اقاربهنّ الادنين. وهذه سنّتهم الى يومنا الّا من تقلّدوا الآداب العصريّة وتمثّلوا بامم الغرب فيعتبرون الحجاب مضرًّا بتربية الاناث مانعاً لترقية جنسهنّ باخساً من قدرهنّ

وما لا شكّ فيهِ انّ عرب البادية لايحجبون نساءهم .تلك عادةٌ جروا عليها منذ القديم .وما القناع والنصيف والخمار الّا اكسية كانت نساؤهم يسترنَ بها رؤوسهنّ دون الوجوه وعلى الاقلّ دون العيون كما ترى في وصاوص المصريّات - وفي الشعر الجاهليّ ما يؤيّد زعمنا قال المثقّب العبديّ (المفضّليات ص ٥٧٩) :

أرَينَ محاسناً وكَنَنَّ أخرى   من الأجياد والبَشَرِ المصونِ

وورد هناك بين الشروح عن منجول البراقع : « لا يلبس منجولَ البراقع الّا الحسانُ لأنهنّ يحببْنَ أنْ تُرى وجوههنّ منها لحسنها والقباحُ تلبس الوصاوص لضيقها حتّى لا تُرى وجوهها لقبحها .وقال عمر بن ابي ربيعة (المفضّليات ص٢٥٩) :

ولمّا تواقفنا وسلّمتُ اقبلَتْ   وجوهٌ زَهاها الحسنُ ان تتقنّعا

وروى في الحماسة (ص٥٥٣) :« ولما تفاوضنا الحديث واسفرت» .قال : « وهكذا كانت نساء العرب تفعل اذا كانت جميلةً » بل نبذت كثير من نساء الاسلام الحجاب كما روى المؤرخون. اخبر الصفدي في شرح لاميّة العجم (١ :٦٨): «كانت عائشة بنت طلحة بن عبيدالله لا تستر وجهها بشيءٍ فلمّا دخل بها مُصعب ابن الزبير كلّمها في ذلك فقالت: انّ اللهعزّ وجلّ قد وسَمني بوَسم جمال فأحببتُ ان يراهُ الناس واللهِ ما فيَّ وصمةٌ استترُ لها »

وقد ذكر صاحب الاغاني(١٠ :١٢٨)انّ الخليفة المأمون كان يخرج الى الشمّاسيّة ليتنزّه بعد قدومهِ من خراسان . ثمّ اخبر ان ابراهيم الموصلي دخل اليهِ « وهو يشرب مع الجواري وما كانوا يحجبون جواريهم في ذلك الوقت ما لم يلدْنَ»

﴿ الردافة ﴾ هي من العادات التي اتخذها العرب من الامم النصرانيّة المجاورة لهم وهي كالوزارة شاعت عند ملوك الحيرة وملوك غسّان النصارى. (قال في التاج ٦:١١٥): كانت الردافة في الجاهليّة لبني يربوع لانهُ لم يكن في العرب احد اكثر غارةً على ملوك الحيرة من بني يربوع فصالحوهم على ان جعلوا لهم الردافة ويكفّوا عن اهل العراق الغارةَ... قال جرير وهو من بني يربوع :

ربَعنا واردَفنا الملوكَ فظلّلوا وطاب الاحالبِ الثامَ المنزّعا

وقال المبرّد (الكامل ٧٦٣): «للردافة موضعان احدهما ان يردفهُ الملوك دوابّهم في صيد والآخر ان يخلف الملكَ اذا قام عن مجلسهِ فينظر في امر الناس. (قال) كان الملك يردف خلفهُ رجلًا شريفاً وكانوا يركبون الابل وارداف الملوك هم الذين يخلفونهم في القيام بامر المملكة بمنزلة الوزراء في الاسلام واحدُهم رِدْف والاسم الردافة كالوزارة». وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان (٣:٥١٨) في مادّة طِخْفة اليوم المنسوب الى هذا المكان بين بني يربوع وجيش ملك الحيرة لمّا اراد بعد موت ردفهِ عتّاب بن هرمي بن رياح بن يربوع ان ينقل الردافة الى غيرهم فأبت بنو يربوع ذلك ورحلت فنزلت طخفة وبعث الملك اليهم جيشاً فيهِ قابوس ابنهُ وابن لهُ آخر وحسّان اخوهُ فانتصر عليهم بنو يربوع وبقيت الردافة فيهم

﴿العمامة﴾ تُنعَت العمامة عند العرب بتاجهم. وقد وصفها ابو الاسود الدولي بقولهِ: العمامة جُنّة في الحرب ومكنّةٌ من الحرّ ومدفأةٌ من القرّ ووقار في النوادي وزيادة في القامة وهي تُعَدّ من ميزة سادة العرب: قالت الخنساء في اخيها:

فارسُ الحرب والمعمَّم فيها مدرهُ الحرب حين تلقى نطاحا

وقد شاعت العمامة خصوصاً بين نصارى اليمن والعراق: وممّا يروي صاحب الاغاني في خبر اساقفة نجران مع نبيّ الاسلام انهم كانوا «من السادة المعمَّمين» وترى الى يومنا العمامة من مميّزات كهنة واساقفة وبطاركة الكلدان في العراق وجهات ما بين النهرين

الفصل الثالث عشر

السمر النصراني وشعراء النصرانيّة بين عرب الجاهليّة واول الاسلام

هذا آخر فصل من كتابنا «النصرانية وآدابها بين عرب الجاهليّة» نختم بهِ القسم

الثاني منهُ المختصّ بآداب النصرانيَّة . وقد أجلناهُ الى آخر الكتاب لنجعل كلَّ ما سبق كتوطئة لهُ اذ كان غرضنا ان نبيّن نصرانيَّة معظم الشعراء الذين سبقوا الاسلام

١ اصل الشعر العربي

زعم بعض الثرثارين المتفيهقين انَّ الشعر العربي سبق الاسلام بميّين من السنين بل سبق ميلاد السيّد المسيح باجيال عديدة حتّى نسبوا منهُ نتفاً الى زمن نبيّ يدعونهُ هوداً يزعمون انهُ عاش قبل ابرهيم الخليل في الالف الثالث قبل المسيح . وتوغّل غيرهم في غلوّهم واوهامهم فرووا لآدم ابي البشر ابياتاً رثى بها على رأيهم ابنهُ هابيل القتيل فعارضهُ فيها ابليس الرجيم (١

تلك مزاعم يضحك منها العلماء ويضرب بها عرضَ الحائط كلُّ من لهُ ادنى إلمام بتاريخ اللغات عموماً واللغة العربيَّة خصوصاً

وقد ارتأى البعض انَّ سِفر أيوب الورود في التوراة عربيُّ الاصل عربيُّ اللهجة والتصوُّرات شعريُّ الصورة وقد استوطن أيوب صاحبهُ غربيَّ جزيرة العربيَّة في البثنيَّة وضمَّن آياتهِ كثيرًا من التشابيه والاوصاف الشائعة بين العرب كذكر النجوم ووصف الخيل وغير ذلك . نجيب على هؤلاء انَّ في هذا الرأي نظرًا لاسبابٍ منها انَّ سفر أيوب لا يعرف منهُ منذ نحو ثلاثة آلاف سنة غير ترجمتهِ العبرانيَّة ثم ليس لدينا حجَّة قاطعة يمكننا ان نستند اليها لنثبت كتابتهُ في لغة اخرى فانَّ مضامين هذا السفر والتقليد اليهودي القديم لا يذكرانِ شيئاً من ذلك . وعلى كلّ حال اذا صحَّ قول العلماء بان سفر أيوب كُتب بالاصل في العربيَّة فلا شكَّ ان تلك العربيَّة كانت مختلفة عن عربيتنا التي هي لهجة بعض قبائل الحجاز لهجة قريش التي لم تشِعْ الَّا بعد قرون عديدة . ولعلَّها النبطيَّة او لغة أخرى اقرب الى الارامية منها الى العربيَّة . ومن ثمَّ ليس من الممكن الاستناد الى هذهِ اللغة المزعومة لنجعلها اصل شعرنا العربي في الوقت الحاضر

وان تتبَّعنا بعد ذلك سياق الاجيال منحدرين الى اوائل النصرانيَّة لا نجد ذكرًا للغة العربيَّة الَّا بعض تقاليد مستحدثة رواها الرواة بعد الاسلام لا يوثق بها . ولسنا

١) اطلب مجلّة المشرق (٦ [١٩٠٣]: ٤٨٩–٤٩٣)

لننكر انّ العرب في تلك الاثناء تكلّموا بلغةٍ خاصّة لكنّ تلك اللغة كانت تختلف اختلافاً عظيماً في كل قبيلة على اختلاف مواقعها في انحاء الجزيرة وتأثير اللغات المجاورة لها وحالة المتكلمين بها من اهل حضر او اهل المدَر فيطلقون على كلّ هذه اللهجات اسم اللغة العربيّة كما يطلقون اسم العرب على اهل الجزيرة مع اختلاف عناصرهم القحطانيّة والعدنانيّة والاسمعيليّة

ولعلّ بعض رجال تلك القبائل بعد ان بسط الرومان سيطرتهم على نواحي العرب فقلّدوهم بعض اعمالها دوّنوا شيئاً من آثر لغتهم فأخذتها ايدي الضياع. ومن الشواهد الحسنة التي يمكننا ان نثبت بها قولنا كتابةٌ حجريّة وُجدت في رومية سنة ١٧٧٣(١ راقية الى اوائل القرن الثاني للمسيح في عهد تراجانوس القيصر . وهذه الكتابة لاتينيّة كتبها ورّاق عربيّ اسمهُ مرقس اولپيوس كستوراس كان رافق حملتي الرومانيين في غالية وفي سوريّة فجعلها على ضريح رجل اسمهُ مرقس اولپيوس سيمفورس كان معهُ في الحملتين:

M. ULPIUS SYMPHORUS VIXIT ANNIS XXIV . . . ULPIUS CASTORAS LIBRARIUS ARABICUS BENE MERENTI QUOD IS EXPEDITIONIBUS DUABUS GALLIÆ ET SYRIÆ SECUM FUERAT

فذكرُ ورّاقٍ او كاتب عربي في ذلك العصر من الامور الغريبة التي تنبت ما كان للعربيّة من الشأن في تلك الأيام. ولكن ما هي تلك العربيّة التي يُشار اليها أهي عربيّة قريش ? او النبطيّة او الحميريّة او لغة قبائل الشام الخاضعة للرومان ? كلّ ذلك محتمل ولا يمكن بتُّ الحكم بهِ . وما لا شكَّ فيهِ انّ ذلك الكاتب لم يخطّ كتاباتهِ بالقلم العربيّ الذي برز للوجود في اواسط القرن السادس للمسيح فقط . وانّما كانوا يكتبون قبل ذلك بأقلام لغات أخرى اخصُّها في جنوبي جزيرة العرب الحميريّة والمينويّة وفي الشمال بالنبطيّة والثموديّة واللحيانيّة والصفويّة وقد وُجدت من كلّ هذه الخطوط امثال مختلفة في جهات العرب يرقى بعضها الى ما قبل المسيح

وقد سبق لنا القول انّ اقدم كتابة تقربُ لهجتها من عربية قريش هي الكتابة الضريحيّة التي وُجدت في جهات الصفا على قبر ملك العرب امرئ القيس بن عمرو

---

(١) اطلب المجلّة الاسيويّة الفرنسوية (J. As. 1840, p. 199) وكتاب لينورمان في الكتابة الفينيقيّة Essai sur la propagation de l'Alphabet Phénicien. II, 115

وتاريخها في ٧ من شهر كانون الاوَّل سنة ٣٢٨ للمسيح . وهي مكتوبة بالحرف النبطي الجميل اوردنا سابقاً رسمَها . امَّا لغتُها فمع قربها من لغة قريش اي لغتنا الفصحى لا تزال مضطربة مشوَّشة مختلطة بالفاظ غريبة

فان كان المنثور في القرن الرابع للمسيح على هذه الصورة فما قولنا بالموزون ؟ ولنا هنا ايضاً شاهد صادق على انَّ العرب في ذلك الجيل لم يجهلوا الشعر . وهو لاحد المعاصرين المؤرخ اليوناني سوزومان (١ فانَّهُ في تاريخهِ الكنسيّ في الفصل الثامن والثلثين منهُ يذكر محاربة ماويَّة ملكة عرب الشام للرومانيين وانتصارها على جيوشهم ثمَّ تنصُّرَها وتنصُّر قومها على يد احد السيَّاح المدعو موسى . فهناك يصرّح المؤرخ بما شاع من الاغاني الحماسيَّة بين رعايا ماوية يعدّدون فيها مآثرهم وغاراتهم على الرومان وهذا نصُّهُ (١ :

Hæc ita gesta multi ex earum regionum incolis etiamnum commemorant et apud Saracenos vulgo cantibus celebrantur.

وما يقولهُ المؤرخ سوزومان عن الاغاني الحماسيَّة يجوز ان نطلقهُ على بقيَّة امورهم كالافراح والاحزان والمديح والغزل والفخر لأنَّ الغناء غريزة في الانسان . ولكن يا تُرى ماذا كانت اوزان تلك الاغاني ؟ كم كانت اجزاؤها ؟ كيف كان ايقاعها ؟ وهل كانت لغتها فصيحةً كلغتنا او بالاحرى كانت لهجةً خاصَّة لتلك القبائل ؟ أنَّنا نجهل كلَّ ذلك

فلكي نستطيع ان نبني كلامنا على اساسٍ متين لا بُدَّ ان نتقرَّب الى زماننا بزهاء مائتي سنة اعني الى اوائل القرن السادس للمسيح فان الشعر العربي الموزون ذا الابحر المتعدّدة والايقاع الثابت لا تُرى آثارهُ قبل ذلك

ويؤيد قولنا اتّفاق كتبة العرب الاقدمين . قال الجاحظ في كتاب الحيوان (١ : ٢٧) : « امّا الشعر فحديث الميلاد صغير السنّ اوّل من نهج سبيلهُ وسهّل الطرق اليهِ امرؤ القيس بن حُجْر ومهلهل بن ربيعة . . . فاذا استظهرنا الشعر وجدنا لهُ الى ان جاء الله بالاسلام خمسين ومائة عام واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام »

وذكر السيوطي في المزهر (٢ : ٢٣٨) لعمر بن شبّة في طبقات الشعراء قولهُ :

1) Sozom. : H.E, *L. VI, ch.* 38,; *Migne, pp. GG, LXVII, col.* 1410

« وهؤلاء النفر المدّعى لهم التقدُّم في الشعر متقاربون لعلّ اقـدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة او نحوها »

على انَّ هذا القول يصحّ في القصائد المطوَّلة ليس في الابيات القليـلة التي لعلّ بعضها يرتقي الى اواسط القرن الخامس . قال محمّد بن سلّام الجمحي في طبقـات الشعراء (ص ١٨) : « لم يكن لاوائل العرب من الشعر الّا الابيات يقولها الرجل في حادثةٍ وانمّا قُصِّدت القصائد وطُوّل الشعر على عهد عبد المطّـلب وهاشم بن عبد مناف »

فيبقى البحث عن تلك الابيات المفردة والقليلة فكيف اهتدى الى نظمها العرب ؟ هل ابتكروها دون علم سابق ؟ او حذوا فيها حـذو غيرهم من الامم المجـاورة لهم كالحبش والروم والسريان ؟

قلنا انَّ الغناء غريزة في الانسان والغناء يحتاج الى بعض الوزن والايقـاع فلمّا اراد الناطقون بالعربيّة المحضة وهي عربيّتنا التي اخذت بالثبات في القرن الخـامس للمسيح ابتـدأوا بالتعبير عن عواطفهم واحساسـاتهم في الحبّ والتحمُّس والغضب والوصف بما يقرب من الشعر الموزون اعني بالكلام المسجّع الـذي روى منهُ الرواة الاقدمون بعض المقاطيع كان يرتجلها الكهّان والعرّافون وبعض القوّالين . فمن اقدم ما رووا من ذلك قول ظريفةَ الخير الكاهنة تنذر زوجها الملـك عمرًا بسيل العرم (المسعودي في مروج الذهب ٣ : ٣٧٩) :

« ما رأيتُ اليوم . قد ذهب عني النوم . رأيتُ غيمًا أبرق . وارعد طويلًا ثم أصعق . فما وقع على شيءٍ الّا احترق . فما بعد هذا الّا الغرق » . (وقالت ص ٣٨٢) : « هي داهيةٌ ركيمة . ومصيبةٌ عظيمة . بامور جسيمة . . . انَّ لي فيها الويل . عمًّا يجيءُ بهِ السَّيل . . . خطبٌ جليل . وحزن طويل . وحلفٌ قليل . وعدٌ من الله نزلْ . وباطلٌ بطَلْ . ونكالٌ بنا نكلْ . فبغيرك يا عمرو فليكن الثُّكل »

فترى في هذه الاقوال اسجاعًا متتالية بينهـا شيءٌ من الموازنة فانتقلوا منها الى ابسط البحور وهو الرجز فلزموا التقفية كلزومهم الاسجاع في المنثور وراعوا فيهِ عدد الاجزاء والوزن مع جوازات كثيرة . وكانت ابياتهُ قليلة . قيل انَّ من اقدم ما ورد منهُ قول دُوَيد بن زيد بن نهد حين حضرهُ الموت :

اليوم يُبنَى لـدُوَيد بيتُـهُ   لو كان للدهر بلىً أبليتُهُ
او كان قرني واحدًا كفيتُهُ   يا رُبَّ نهبٍ صالحٍ حويتُهُ
وربَّ غيلٍ حسنٍ لويتُهُ

وقول امرئ القيس اذ بلغهُ خبر قتل ابيهِ بدمُّون في نواحي اليمن :

تطاولَ الليل علينا دمُّونْ   دمُّونْ انَّا معشرٌ يمانونْ
وانَّنا لقومنا محبُّونْ

ومثلهُ لكُلَيب اخي المهلهل وتروى لطرفة ارتجز بها اذ رأى قنابر تلتقط حبًا يُنثر لها :

يـا لـكِ من قبَّرةٍ بمَعْمَرِ   خلاَ لكِ الجوُّ فبيضي واصفري
قـد رُفع الفخُّ فماذا تحذري   ونقّري مـا شئتِ أن تنقّري
قد ذهب الصيَّادُ عنكِ فابشري   لا بُدَّ يومًا ان تُصادي فاصبري

فان كان السجع والرَّجز المذكوران هما كما يظهر اصل الشعر العربيّ ترتقي آثارهما الى اوائل القرن السادس او اواخر الخامس فيجب البحث عن أمّة مجاورة للعرب امكنهم ان يتقلّدوها في سجعهم ورجزهم السابقين . وانّنا نرى ان تلك الأمّة كانت الأمّة الارامية اي الكلدان والسريان الذين كانوا منذ اواسط القرن الرابع بعد تنصُّرهم زيَّنوا كلامهم المنثور بالسَّجع والفواصل ونظموا شعرًا يقرب من اراجيز العرب . ولمّا كان الإراميُّون يستوطنون حدود العرب وكثيرًا ما امتزجوا بهم امتزاج الماء بالراح وبنوا في جزيرتهم العدد العديد من الاديرة والمناسك حيث كان الرهبان يتغنّون بالتسابيح ويحيون لياليهم بالاناشيد الروحيَّة فيسمعهم اهل البادية ويردّدون نغماتهم فتبعثهم على الاقتداء بهم كما فعلوا بعد ذلك في تجويد القرآن على ما اثبتنا سابقاً . فلا نشكّ ان العرب اخذوا ايضاً عن نصارى السريان والكلدان تسجيع الكلام وموازينهُ الشعريَّة البسيطة كما ترى في الاراجيز العربيَّة . ولعلّ القبائل القريبة من الروم وجدت ايضاً في تلحينهم وغنائهم وشعرهم ما دفعهم الى التشبُّه بهم في آدابهم

ويؤيّد قولنا هذا ان كثيرًا من القبائل العربيَّة المتنصِّرة كانت تحضر ما يقيمهُ في وسطها من الرتب الدينيَّة الاساقفة والكهنة خصوصاً في جهات الشمال والشمال الغربيّ حيث توفّرت الكنائس النصرانيَّة الكلدانيَّة والسريانيَّة وفي جهات الشام شرقيّ دمشق وفي نواحي الاردن حيث انتشرت اليونانيَّة وأُقيمت الطقوس الكنسيَّة

في تلك اللغة . اما القبائل المتنقلة فكان يرافقها اساقفة او كهنة يُدعَون باساقفة المضارب كما شرحنا ذلك كلهُ في القسم التاريخيّ . فلا عرو ان العرب الذين كانوا يعاينون تلك المحافل الدينيَّة ويسمعون ألحانها تأثروا منها فاستفزَّتهم قريحتهم الى ان يجروا عليها نوعاً سواء كان في غنائهم او في شعرهم

ولنا في ما رويناهُ عن سوزومان المؤرخ شاهد آخر على رأينا اذ ينسب الى بني غسَّان تلك الاغاني العربيَّة التي كانوا ينشدونها بعد محاربتهم للرومان . وهو في الفصل عينه يذكر تنصُّرهم وفي ذلك دليل على اصل كلامهم الموزون وعلاقتهِ مع دينهم النصرانيّ سواء كانت تلك الاغاني اسجاعاً مرصوفةً او اراجيز موزونة

٢ في ترقي الشعر العربي وتقصيد القصائد

كان بحر الرجز كأساس اوَّل للشعر العربيّ . على انَّ تفاعيلهُ بما فيها من الجوازات الشعريَّة العديدة ما لبثت ان برزت على صور شتَّى تفنَّن بها الشعراء بتركيب الاسباب والاوتاد فاخرجوها على اوزان مختلفة جروا عليها بفطرتهم دون ان يدوّنوها بكتاب مكتوب فبقيت سماعيَّةً تقليديَّةً الى ان قام الخليل في القرن الثاني للهجرة وامعن النظر في صورها واوزانها واستخرج اعاريضها واثبتها على قواعد صحيحة . والى ذلك اشار ابن الرشيق في العمدة (ص ٥) بقولهِ في اصل الشعر العربيّ : « كان الكلام كلُّهُ منثورًا فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم اخلاقها . وطيب أعراقها . وذكر ايَّامها الصالحة . واوطانها النازحة . وفرسانها الانجاد . وسُمَحائها الأجواد . لتهزَّ نفوسها الى الكرم . وتدلَّ ابناءها على حسن الشيم . فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام . فلمَّا تمَّ لهم وزنهُ سمَّوهُ شعرًا لأنهم قد شعروا بهِ اي فطنوا لهُ »

وهنا لا نتردَّد في القول بانَّ الذين قاموا بذلك فوضعوا هذه الاوزان انَّما كانوا من العرب المتنصِّرين من قبائل غلبت عليها النصرانيَّة بشهادة قدماء المؤرخين لاسيا المسلمين كقبائل ربيعة التي منها بكر وتغلب ويشكر وحنيفة وكقبائل قضاعة ومنها كلب وتنوخ وكقبائل اليمن ومنها كندة ولخم وغسَّان وبعض قبائل قيس كذبيان وعبس . نُحيل القرَّاء لاثبات نصرانيَّتهم الى قسمنا الاول في تاريخ النصرانيَّة في عهد الجاهليَّة

وعلى رأينا انّ شعراء الجاهليّة الاوّلين اذ اكتحلوا بنور النصرانيّة واحتكّوا باهلها من الامم المجاورة كالسريان واليونان والحبش ودخلوا على ملوكها العرب الغساسنة والمناذرة وبني الحارث وكان تمدُّن اليونان والروم والفرس غلب عليهم تأدّبوا بآدابهم وجاروا اولئك الطوائف في بلاغتهم وتأنّقوا بالنظم على مثالهم

وساعد الشعراء في تقصيد قصائدهم ما جرى في القرن السادس للمسيح من الوقائع والحروب التي اشتهر فيها العرب سواء كانت تلك الحروب اهليّة بين القبائل كحرب البسوس او جرت لهم مع الاجانب كحرب ذي قار بين العرب والفرس . فانّ الشعراء وجدوا فيها ما استفزّ قريحتهم وهيّج احساساتهم فوصفوها بقصائدهم وللنصارى منهم فيها حظّ وفيّ كما سترى

٣ الشعر النصراني

رأيت في ما سبق انّ النهضة الشعريّة كانت خصوصاً في القرن السادس للمسيح اي القرن السابق لظهور الاسلام . وفي تأخر تلك النهضة سرٌّ غامضٌ ارتاب في فكه الباحثون عن اخبار الجاهليّة . فهذه امّة عظيمة منتشرة في بلاد تكاد مساحتها تساوي مساحة اوربّة على اطرافها الممالكُ الوطنيّة ذات الجاه والشرف والسلطان سبقت الاسلام بعدّة قرون لا ينقصها شيءٌ من اسباب الحضارة والعمران بينها ارباب العقول الراجحة والاذهان المتّقدة لسانُها من اغنى الالسنة واشرفها واقدرها على التعبير عن كلّ العواطف البشريّة وهي مع ذلك لم تنتج شاعرًا مفلقاً قبل اوائل القرن السادس وذلك بإقرار اقدم الكتبة من العرب . فكيف يا تُرى يمكن تعليل ذلك الخمول ؟

إنّنا طالما امعنّا النظر في هذا الامر واستقصينا البحث فيه فلم نجد لهُ شرحاً مقبولًا الّا بان نقول ان النصرانيّة كانت اصل تلك النهضة ولأنها لم تبلغ في جزيرة العرب نفوذها وعزّها الّا في القرن السادس وان كان دخولها الى الجزيرة سبق ذلك العهد فكذلك بلغت النهضة الادبيّة معها الى اوج عزّها في ذلك الجيل

١ً وكان من نتائج توغُّل النصرانيّة في جهات العرب انّها سوّلت لهم طرقاً للكتابة التي لا تستطيع الآداب ان تنتشر وتترقّى دونها . فاستمدّ العرب فنّ الكتابة من نصارى العراق والنبط والحبش . تلك المصادر الثلثة للاقلام العربيّة الاولى اعني

القلم النسخي والمسند والكوفيّ . وقد اثبتنا ذلك في باب خاصّ عليك بمراجعتهِ (ص ١٥٢ — ١٥٨) . وناهيك بهِ على ما كان النصرانيَّة من السهم الافوز في حفظ الآثر الادبيَّة ونشرها . وقد وقع ذلك في القرن السادس

٢ً وكان للنصرانيَّة فضلٌ آخر على ترقية الآداب بين العرب انَّ اربابها مع نشر الكتابة نشروا ايضاً التعليم امَّا بفتح المدارس للناشئة وامَّا بالتعليم الخاصّ وقد جمعنا في فصل سابق (ص٣٨٩ — ٣٩١) بعض الشواهد المثبتة لقولنا منها المدارس المتعدّدة المنشأة في العراق في اديرة الرهبان وغيرها كان يحضرها احداث العرب كما ذكرنا هناك عن المرقّشَيْن الاكبر والاصغر وعن عديّ بن زيد وعن ورقة ابن نوفل والبرّاق ابن روحان . ونوّهنا ايضاً بذكر معامين نصارى في مكَّة والمدينة وغيرهما فليت شعري أيحتاج الى برهان اعظم لبيان تأثير النصرانيَّة في آداب الجاهليّة وشعرائها المبرّزين في ذلك القرن السادس ؟

٣ً ومن الأدلَّة المقنعة على انَّ النصرانيَّة هي التي بعثت الشعر العربيّ واخرجتهُ من مهدهِ في القرن السادس انَّ ذاك الشعر كان ظهورهُ اولًا بين القبائل النصرانيَّة . فان استفتينا على ذلك اقدم الكتبة كابن قتيبة في كتابَيهِ المعارف وفي الشعر والشعراء وابن سلّام الجمحي في طبقات الشعراء (ص٢٢) وابن الرشيق القيرواني في العمدة (ص٥٤) ثمَّ السيوطي في المزهر (٢ : ٢٣٨) أجابونا باتّفاق الاصوات انَّ الشعر العربي كان اوّلًا في ربيعة . وقد اثبتنا شيوع النصرانيّة في ربيعة كما اجمع عليهِ الرواة كابن قتيبة (في المعارف ص ٣٠٥) وابن رُسته في الاعلاق النفيسة (ص٢١٧) وغيرهما (راجع الصفحة ١٣٠) . ومن ربيعة كانت تلك القبائل العظيمة التي كادت تستولي على جزيرة العرب كبكر وتغلب ابني وائل وكبني امرئ القيس وشيبان وعجل وحنيفة وقد تحقّقنا نصرانيَّتها كلّها استناداً الى معظم الكتبة . فالنتيجة بعد ذلك ظاهرة وهي نصرانيَّة الشعراء المنتمين اليها الذين سبقوا غيرهم زمناً كما سبقوهم الى تقصيد القصائد . قال الفرزدق يذكر المهلهل التغلبيّ :

وهلهلُ الشعراء ذاك الاولُ

٤ً ولنا بيّنة أُخرى على نصرانيَّة هؤلاء الشعراء الاوّلين نعني بها منازلهم التي كانوا يسكنونها مع قبائلهم فانَّ قبائل ربيعة كانت تحتلُّ منازل ما بين النهرين من الفرات

شرقيّ حلب وجنوبها الى جهات الموصل والعراق ولا يزال يُطلَق على قسم كبير منها اسم ديار بكر وديار ربيعة. وكانت هناك النصرانيّة راسخة القدم منذ القرن الرابع للمسيح فتنسَّك فيها الجبساء بعدد وافر كصعيد مصر وتشيَّدت فيها اديرة ذكر منها كتبة السريان والعرب ما ينيف على المئة عدًّا . فما لبثت تلك القبائل العربيّة ان جحدت الشرك ودانت بدين المسيح وقد روينا في القسم التاريخيّ كثيرًا من اخبارها والشواهد على تنصُّرها نقلناها عن اصدق الرواة من يونان ولاتين وسريان بينهم كتبة كانوا معاصرين للامور التي يخبرون بها وشهود عيانيُّون لِما يدوّنونهُ في بطون التواريخ فتارةً يذكرون كنائسهم وتارةً اساقفتهم الساكنين بينهم في الحضَر والمدَر وتحت الخيم وحيناً مزاراتهم الدينيَّة الى غير ذلك من الدلائل الصريحة على ايمانهم

فلمَّا ظهر الاسلام اقرَّ كتبتهم بما تحقّقوهُ من تنصُّر تلك القبائل وقد دوَّنا ما اعلنوا بهِ حيث قالوا « انَّ من قبائل العرب المتنصِّرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وتنوخ وجذام » وكلهم من ربيعة او من القبائل اليمنيَّة المحالفة لها

وممَّا يجدر بالاعتبار انَّ بين هؤلاء الشعراء قرابةً يُستدلُّ بها ايضاً على وحدة دينهم فانَّ كليباً والمهلهل كانا خالي امرئ القيس بن حجر الكندي وامّهُ فاطمة اختهما . وكان المرقّش الاكبر عوف بن سعد عمَّ المرقّش الاصغر عمرو بن حرملة وكان هذا عمَّ طرفة ابن العبد وكانت امّ طرفة وردة وهي اخت المتلمّس جرير بن عبد المسيح

٥ً ويؤيّد قولنا في نصرانيَّة هؤلاء الشعراء انَّ من يراجع دواوينهم او ما رُوي عنهم من القصائد لا تجد فيها اثرًا للشرك وعبادة الاصنام اللهم الَّا في بعض الاقسام التي بيَّنَّا انَّها كانت الفاظاً جارية على السنتهم كما ترى من اشكالها في أَلسِنة كلّ الشعوب دون اشارة الى معتقد البتَّة (اطلب الصفحة ٤٠٤)

٦ وعلى خلاف ذلك تجد في شعرهم آثارًا بيِّنة لاعتقادهم بالاله الواحد وبخلود النفس مع اقتباسات واشارات واضحة الى الاسفار المقدَّسة والى الانبياء والى العادات النصرانيَّة وقد جمعنا منها فصولًا واسعة مرَّ ذكرها في كتابنا هذا فلتراجع . وهذا يصحُّ ايضاً في معظم الشعراء الذين جمعنا قصائدهم في كتاب شعراء النصرانيَّة سواء كانوا من اياد او مضر او قضاعة او طي او من القبائل اليمنيَّة

ولا شكَّ اننا كنا وجدنا في منظوماتهم ما هو ادلّ على دينهم لو لم يُفقد كثير

منها.وزد على ذلك انّ اهل اللغة الذين حاولوا جمع تلك الآثار لم يباشروا بتدوينها الّا في اواسط القرن الثاني للهجرة اذ كان قسم كبير منها قد اخذتهُ يد الضياع او تلف بالنسيان . وكان هؤلاء الرواة مُسلمين لا يهمّهم غير الفرائد الادبيّة والنوادر اللغويّة فيضربون الصفح عمّا يعزّز ديناً غير الدين الاسلامي. ويثبت ذلك ما تجد في المعاجم من ابيات متفرّقة دُوّنت في مظانّها يُستفاد منها اشياء كثيرة عن نصرانيّة اهل الجاهليّة رويناها في ما سبق كلآلئ فريدة من قلائد منفرطة

وان قيل ما لهم لم يصرّحوا بنصرانيّة هؤلاء الشعراء فيزيلوا بذلك الشكّ والريب ؟

السبب (الاوّل) لذلك كما قلنا ان الرواة السابق ذكرهم قلّما سعوا في البحث عن اديان اولئك الشعراء واذا تصفّحت ما نقلوهُ من اخبار شعراء الجاهليّة لا تكاد تجد تنويهاً باحوالهم الدينيّة .وان ذكروا شيئاً من ذلك رووهُ استطرادًا لا تعمّدًا .ولولا اشارات خفيفة عن البعض الذين لا شبهة في نصرانيّتهم لما تحقّقنا دينهم كقسّ بن ساعدة وعديّ بن زيد وجابر بن حني والبرّاق بن روحان وبسطام بن قيس

السبب (الثاني) لسكوت الرواة عن نصرانيّة اولئك الشعراء انّهم كانوا من قبائل عصامية صحيحة النّسب فما كانوا يرون داعياً الى ذكر دينها وكلّها متساوية في شرف جنسها العربيّ من قحطان او من عدنان على خلاف القبائل اليهوديّة فانّ الكتبة الاقدمين يميّزونها عن القبائل العربيّة ويصرّحون بيهوديّتها نسباً وديناً كقُرَيظة والنضير

والسبب (الثالث) الذي قضى على الرواة المذكورين الإضراب عن ذكر اديان الشعراء ما وجدوهُ من الاختلاف في نصرانيّتهم .فانّ دعاة النصرانيّة الذين دخلوا في جهات العربيّة لم يكونوا على معتقد واحد فكان بينهم الصحيح الايمان كالقديس بنتانوس (S^t Pantène) واوريجانوس وموسى رسول الغسّانيين والقديسين هيلاريون ونيلوس وافتيموس ثم عقبهم النساطرة في العراق وفي سواحل البحرين وعُمان واليمن واليعاقبة في جهات الفرات وما بين النهرين وبادية الشام .وكان فرّ الى جزيرة العرب كثيرون من المبتدعين لينجوا من نقمة ملوك الروم وغيرهم كاللاأدريين والمندائيّين ومتنصّري اليهود المدعوّين بالإبيونيين والكسائيّين وهلمّ جرًّا حتّى انّ القديس ابيفانيوس منذ القرن الرابع كان يصف جزيرة العرب بكثرة بدعها واضاليلها

ومن ثمَّ اذا تكلَّمنا عن شيوع النصرانيَّة في جزيرة العرب لسنا نقصد بها الديانة الكاثوليكيَّة الخالية من كلّ ضلال بل الدين المسيحي عموماً مع ما اختلط بهِ من آراء الهراطقة الباطلة . والحقّ يقال انَّ توفُّر هذه الشيع وتعاليمها المتناقضة هي التي سوَّلت للاسلام الفوز بالنصرانيَّة في جزيرة العرب وفي البلاد الخارجة عنها . وقد ظهر بعد ذلك في نفس الاسلام شيءٌ كثير من تلك البدع كما ترى في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ولابن حزم وغيرهما فكانت كنار تحت رماد شبَّت بمساعي الخوارج والملحدين في ايام الخلفاء

وارآؤنا هذه عن شيوع النصرانيَة في كلّ انحاء العرب ونفوذها في آدابهم وشعرهم قد تحقَّقها غيرنا من كبار المستشرقين كدي بباسي ولونورمان في فرنسة وبلغراف (Palgrave) وليَّال في انكلترة (١ وولهوزن في المانية فيرون في معظم الشعر الجاهلي من عواطف وتصوير افكار ومعرفة حقائق عقليَّة وادبيَّة ما لا يمكن نسبتهُ الى غير النصرانيَّة مما يخالف المعلومات التي سبق كتبة السريان واليونان والرومان فرووها عن العرب قبل ذلك العهد وذلك وفقاً لما نعلم عن تنصُّر المناذرة والغساسنة وملوك كندة وبعض التبابعة فأثَّرت نصرانيَّتهم في شعراء ذلك القرن السادس ندماء اولئك الملوك فقصدوهم متديّنين بدينهم . وقلَّما تجد شعراء نبغوا حينئذٍ في نواحي اخرى من العرب كنجد والحجاز وان وُجد بعضهم فآثار النصرانية فيهم ظاهرة كورقة بن نوفل وزيد بن عمرو وشعراء طيٍّ

٤ شعراء النصرانيَّة

اذا ما تخطَّينا الآن من هذه البيّنات والادلَّة العموميَّة عن الشعر النصراني ونفوذه بين عرب الجاهليَّة واعتبرنا أفراد الشعراء الذين اثبتنا اسماءهم وقصائدهم في كتابنا «شعراء النصرانيَّة» تمهَّد لنا الطريق للحكم بنصرانيَّتهم امَّا بتاتاً وامَّا ترجيحاً فها نحن نستقري ذكرهم على سياق قبائلهم التي انتسبوا اليها

اوَّلا قبائل ربيعة

قبائل ربيعة كثيرة العدد كانت تسكن في الجهات الممتدَّة بين الفرات والخابور

١) اطلب كتاب ليَّال في مقدمة ترجمته الانكليزية G. Lyall : Translation of ancient Arabian Poetry

الى انحاء العراق. وبنو ربيعة على اختلاف قبائلهم يتصلون بربيعة بن نزار جدّهم الأعلى. وفي ربيعة خصوصاً انتشر الدين النصراني كما روى كثيرون من كتبة المسلمين كابن قتيبة وابن رسته والقاضي صاعد الاندلسي والفيروزابادي (راجع اقوالهم في الصفحة ١٣٠). ولا تجد في ما يُروى من شعرهم اثرًا للشرك وعبادة الاصنام وفيهِ على خلاف ذلك من الاقوال في التوحيد وتُقى الله ومدح الفضيلة ما يدلّ على تأثير التعاليم النصرانيّة في قلوبهم اذ كانوا محاطين في انحائهم بالسيّاح واديرة الرهبان والكنائس. ويتردّد اكثرهم على ملوك الحيرة المتنصّرين ويمدحونهم. وثبتت النصرانيّة في ربيعة مدّةً بعد الاسلام وقد ذكر في الاغاني (٢٠: ١٢٧): «نصارى بعض احياء ربيعة في عهد بني اميّة»

١ شعراء تغلب

لا تظنّ انّ احدًا ينكر علينا نصرانيّة تَغلب مع اتّفاق الكتبة القدماء على اعتصامها بالدين المسيحي وذلك قبل الهجرة بزمن طويل يمكن ترقيتهُ الى ما وراء القرن الخامس للميلاد الى عهد السيّاح والرهبان الذين ازهروا في الجزيرة في القرن الرابع للمسيح. وقد مرّت لنا الشواهد على ذلك في القسم الاوَل. ومن ثمّ لا حاجة الى اثبات نصرانيّة شعراء تغلب الذين نظمناهم في سلك كتابنا شعراء النصرانية وهم ثمانية هذه اسماؤهم على ترتيب ذكرهم في الكتاب مع الاشارة الى الصفحات التي وردت فيها اخبارهم:

١ كليب وائل	(شعراء النصرانيّة ص ١٥١–١٥٩)
٢ المهلهل اخو كليب	« ١٦٠–١٨١
٣ السفّاح التغلبيّ	« ١٨٢–١٨٣
٤ الاخنس بن شهاب	« ١٨٤–١٨٧
٥ جابر بن حُنَيّ	« ١٨٨–١٩١
٦ افنون صريم بن مَعشر	« ١٩٢–١٩٤
٧ عُمَيرة بن جُعَيل	« ١٩٥–١٩٦
٨ عمرو بن كلثوم	« ١٩٧–٢٠٤

فهؤلاء كلهم سواء صرحوا بدينهم النصراني كما ترى في ترجمة جابر بن حُنيّ ام سكتوا عنها فلا شكّ بنصرانيّتهم

٢ شعراء بكر

انّ نصرانيّة بني بكر ثابتة كنصرانيّة تغلب وكانت كلتا القبيلتين ساكنة في الجزيرة متجاورةً في ديار بكر وديار ربيعة وهما ترتقيان الى اصل واحد الى وائل ومنهُ الى ربيعة بن نزار وتدينان بدين واحد وكلّ من ذكر نصرانيّة تغلب اضاف اليها بكرًا كما روينا سابقاً. هذا مع ما حصل بين القبيلتين من النزاعات والحروب اخصّها حرب البسوس كما يجري غالباً من المنافسات والضغائن بين الاقارب. وبكر قبيلة كبيرة كتغلب تتفرّع الى فروع عديدة كضُبَيْعَة وشيبان ومرّة ويشكر وعجل وقد اتينا في باب القبائل المتنصِرة بذكر هذه الفروع

١ ﴿ بنو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ﴾ ذكرنا منهم في شعراء النصرانيَّة هؤلاء الثمانية الآتين :

١	سعد بن مالك بن ضبيعة	(شعراء النصرانيّه	ص ٢٦٤–٢٦٧)
٢	جحدر بن ضبيعة	«	٢٦٨–٢٦٩
٣	عمرو بن سعد بن مالك (المرقش الاكبر)	«	٢٨٣–٢٩٢
٤	ربيعة بن سفيان بن سعد (المرقش الاصغر)	«	٣٢٨–٣٢٩
٥	طرفه بن العبد بن سفيان بن حرملة بن سعد	«	٢٩٨–٣٢٠
٦	الخرنق اخت طرفة	«	٣٢١–٣٢٧
٧	عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد	«	٢٩٣–٢٩٧
٨	المسيَّب بن علس . . . بن مالك بن ضبيعة	«	٣٥٠–٣٥٦

فكل هؤلاء متقاربو العهد بينهم واشجةُ رحم من سلالة واحدة وقد صرّح في كتاب الاغاني (٥: ١٩١) تخرُّج المرقّش الاكبر على نصارى الحيرة وذكرنا في شعراء النصرانيَّة استشهادهُ بزبور داود:

وكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على احدٍ بدائمْ
قد خُطَّ ذلك في الزبو رِ الاوّليّات القدائمْ

وطَرَفة بن العَبْد كان ابن حفيد المرقّش الاكبر وابن اخي المرقش الاصغر. وورِدة امُّ طرفة كانت اخت جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلمّس فكفى بهذه القرابة دليلًا على نصرانية طرفة. وعيشة طرفة والمتلمّس في الحيرة بين النصارى ودخولهما على ملكها النصراني عمرو بن هند ممّا يؤيد ذلك. وفي شعر طرفة تنويهٌ بخلود النفس والحساب كقولهِ:

فكيف يرجّي المرء دهرًا مخلّدًا وأعمالهُ عمّا قليلٍ تحاسبُهْ

وتصريحٌ بحكم الله المطلق على الانام :

انَّ الله ليس لحكمهِ حكمُ

وبكمال اعمالهِ تعالى :

وما قد بناهُ الله تمَّ تمامُهْ وما قد بناهُ الله فالله ماحقُه

وهو القائل في الحضّ على الخير والحياد عن الشرّ :

الخيرُ خيرٌ وان طال الزمان بهِ والشرُّ اخبثُ ما أوعيتَ من زادِ

ولهُ في مودّتهِ لاهل الدين :

سأصرفُ نفسي عن هوى كلّ غادرٍ وأُعرضُ عن أخلاقهِ وأُخارِقُهْ
واجعلُ اهل الدين اهلَ مودَّتي ليعلمَ اهل الفضل مَن انا واتِقُهْ

وكان عمرو بن قمئة من قرابة المرقّشين الاكبر والاصغر وطرفة وهو الذي رافق امرء القيس في سفرهِ الى القيصر ملك القسطنطينيّة . وفي اخبارهِ ما يدلّ على ابتعادهِ عن الدناءة والاثم كيوسف الحسن والتجائهِ الى نصارى الحيرة فرارًا من التهمة الباطلة . وهذا كلُّهُ ممّا لا يدع شبهةً في نصرانيّته

وكذلك المسيّب بن علس من ندماء ملك الحيرة عمرو بن هند كطرفة والمتلمّس وكان خال الاعشى الكبير . وهو القائل يدعو بني عامر الى تقى الله :

ألَا تتّقون الله يا آل عامرٍ وهل يتّقي اللهَ الأبَلُّ المصمّمُ

٥ ﴿شعراء شيبان﴾ شيبان احد بطون بني ثعلبة بن عكابة المذكورين في تواريخ الروم والسريان كنصارى العرب يدعونهم (ܬܥܠܒܝܐ Thalabenses) ويذكرون لهم اساقفة) راجع المكتبة الشرقية للسمعاني ١ : ٢٦٥ ومقدّمتهُ في الجزء الثاني CXI) وقد ذكرنا من شعرائهم اربعةً وهم :

١ جسّاس بن مرّة بن ذهل بن شيبان	(شعراء النصرانية	٢٤٦-٢٥١
٢ جليلة اختهُ	«	٢٥٢-٢٥٣
٣ عبد المسيح بن عسلة	«	٢٥٤-٢٥٥
٤ بسطام بن قيس . . بن ذهل بن شيبان	«	٢٥٦-٢٦٣

جسّاس هو قاتل كليب وائل صهرهِ زوج اختهِ جليلة وكان طليعة قومهِ في حرب البسوس . ونصرانيّتهُ ثابتة من عدة وجوه : ١ً من انتسابهِ الى شيبان . ٢ً من قرابتهِ الى بني تغلب ٣ً من اعترافهِ بالاله الحقّ وبالبعث في حلفهِ حيث يقول :

اني وربّ الشاعرِ النرورِ وباعثِ الموتى من القبورِ

ولهمّام اخي جسّاس شعر في المفضّليّات . ولا حاجة لبيان نصرانيّة عبد المسيح بن عسلة فانّ اسمهُ يشهد لهُ . وقصيدتهُ المرويّة هنا قد طُبعت مؤخّرًا في جملة المفضّليات (ed. Lyall, p. ٥٥٦) ولم يُذكر هناك عن نسب قائلها الّا كونهُ « اخا بني مرّة ابن همّام بن مرّة بن ذهل بن شيبان»

امّا بسطام بن قيس بن مسعود فهو احد فرسان بني شيبان المعدودين في الجاهليّة . قال ابن قيم الجوزيّة في اخبار النساء (ص ٩٨) كان بسطام فارساً جوادًا عفيفاً . وقال ابن عبد ربّهِ في العقد الفريد (٢ : ٦٧) : قد ربّع الذهليّين واللهازم اثني عشر مرباعاً . أمّا نصرانيّة بسطام بن قيس فقد جاهر بها ابن دريد في الكامل (ص ١٣٠) وابن عبد ربّهِ ايضاً في العقد (٣ : ٨٨) في اخبار يوم الغبيط وقد ورد هنالك اسم الحنيف مع اسم النصراني حيث قال : « ونادى القوم نجّادًا اخا بسطام كُرّ على اخيك وهم يرجون ان يأسروهُ فناداهُ بسطام : ان كررتَ فانا حنيف وكان بسطام نصرانيًّا فلحق نجاد بقومهِ » . وقد جاء في الاغاني (١٩ : ١٨) ذكر زيق بن بسطام فقال عنهُ انهُ كان نصرانيًّا وذكر ابنتهُ حدراء (١٩ : ١٢) قال « تزوّجها الفرزدق وكانت نصرانيّةً »

٣ ﴿ قيس بن ثعلبة ﴾ اخو شيبان بن ثعلبة . اليهِ ينتسب الحارث بن عبّاد بن ضبيعة رئيس بني بكر في حرب البسوس بعد اعتزالهِ الحرب مدّةً الى ان قُتل ابنهُ بجير . ونصرانيّتهُ تثبت بنصرانيّة شيبان لأنّ شيبان وقيساً كليهما ابنا ثعلبة بن عكابة

راجع اخبار الحارث في شعراء النصرانيّه (ص ٢٧٠-٢٨١)

٤ ﴿ يشكر بن بكر ﴾ حيّ كبير من بكر بن وائل يدين بدينها ذكرنا منهُ ثلثة شعراء مُجيدين :

١ الحارث بن حلّزة	(شعراء النصرانيّة	٤١٦-٤٢٠)
٢ المنخّل اليشكري	«	٤٢١-٤٢٤
٣ سويد بن ابي كاهل	«	٤٢٥ ٤٣٦

الحارث بن حلّزة هو الذي دافع عن قومهِ عند عمرو بن هند ملك الحيرة بمعلّقتهِ الهمزيّة المشهورة مناقضاً لمعلّقة عمرو بن كلثوم . وبهما وقع الصلح بين بكر وتغلب وكان المنخّل اليشكري من ندماء ملك الحيرة النصرانيّ النعمان بن منذر . امّا

سُوَيد بن ابي كاهل فادرك الاسلام ولم يذكر احد اسلامهُ ومن شعرهِ الدالّ على دينهِ قولهُ من عينيّته الشهيرة

كتب الرَّحمانُ والحمدُ لهُ سعةَ الاخلاقِ فينا والضَّلَعْ
وإباءً للدنيَّات اذا أُعطيَ المكثورُ ضيماً فكَنَعْ
وبناءً للمعالي إنّما يرفعُ اللهُ ومن شاء وضعْ
نعَمٌ لله فينا ربَّها وصنيعُ الله واللهُ صنعْ

٥ ﴿ علي بن بكر ﴾ ذكرنا شاعرين من بني عليّ بن بكر بن وائل وهما :

١ فند الزِّمّاني (شعراء النصرانيّة ص ٢٤١-٢٤٥)
٢ اعشى قيس بن ثعلبة « ٣٥٧-٣٩٩

كان فِند الزِّمّاني سيّد بكر في زمانهِ وشهد حرب البسوس وحارب مع بني بكر ورثيسهم الحارث بن عبّاد وهو من نصارى اليمامة . وقد روينا شعرهُ في تلك الأيام

واشهر منهُ ميمون بن قيس وهو الاعشى الكبير . وقد نظمناهُ بين الشعراء النصارى ليس فقط لانتمائهِ الى بني بكر النصارى بل لاسباب اخرى منها . ١ً تخرّجهُ على العباديين ورأيهُ بآرائهم . قال في الاغاني (٨ : ٧٩) : «كان الأعشى قَدَريًّا (اي يقول بحرّيّة الانسان في اعمالهِ) . . . اخذ مذهبهُ من قبل العباديين نصارى الحيرة كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقَّنوهُ ذلك » . ٢ً وكان راوية الاعشى يحيى بن متّى النصرانيّ العباديّ . ٣ً زيارة الاعشى لنجران وكنيستها المعروفة بكعبة نجران ولاساقفتها وامرائها النصارى . قال يكلم ناقتهُ :

وكعبةُ نجرانَ حتمٌ عليـكِ م حتى تُناخي بأبوابها
نزورُ يزيدًا وعبـد المسيح وقيساً همُ خيرُ اربابها

٤ً تجولهُ في البلاد النصرانيَّة كحمص واورشليم قال :

وقد طُفت للمال آفاقهُ عُمانَ فحمصَ فاوريشلِمْ
فنجرانَ فالسَّرْو من حميرٍ فاني مرامٍ لهُ لم ارمْ

٥ً ايمانهُ بالبعث والحساب كقولهِ :

اذا انتَ لم ترحَلْ بزادٍ من التُّقى ولاقيتَ بعد الموت مَنْ قد تزوّدا
ندمتَ على ان تكون كمثلهِ فترصد للأمر الذي كان ارصدا

٦ً اقتباساتهُ الشعريّة من العادات النصرانية كحلفهِ باسكيم الرهبان :

فاني وثوبي راهب اللجّ والتي بناها قُصَيٌّ والمضاضُ بن جرهمِ

قال البكري في معجم ما استعجم (٤٨٩) : اللجُّ غدير عند دير هند وقيل انهُ اراد المسيح عليهِ السلام . . ويروى : « وثوبي راهب الطور » . والتي بناها قُصَيّ يعني مكّة » . وهذا كما حلف عديّ بن زيد « بربّ مكّةَ والصليب » وحلف الاعشى ايضاً بمثل ذلك فقال :

وانّي وربّ الساجدين عشيّةً   وما صكَّ ناقوسَ النصارى ابيلُها

وللاعشى في وصف هياكل النصارى وصلبانها وصورها :

فما مُجتلٍ بي على هيكلٍ   بناهُ وصلّب فيهِ وصارا

٧ً ذكرُهُ للانبياء واحداث الاسفار المقدّسة كقولهِ في نوح وفلكهِ :

جزى الالهُ اياساً خير نعمتهِ   كما جزى المرء نوحاً بعد ما شابا
في فلكهِ اذ تبدَّاها ليصنعَها   وظلَّ يجمع ألواحاً وابوابا

وقد روينا لهُ ابياتاً في داود النبي وفي سليمان الحكيم وفي المنّ والسلوى وغير ذلك ممّا يدلُّ على معرفتهِ للاسفار الكريمة

٨ً ويؤيد ذلك ذكرهُ لفصح النصارى ومدحهُ لهوذة بن علي الذي فكَّ اسرى تميم في ذلك العيد فقال :

بهم يقرّبُ يوم الفِصْح ضاحيةً   يرجو الالهَ بما اسدى وما صنعا

وكلّ هذه الشواهد لا يمكن تعليلُها الّا بان يقال انهُ كان يدين بالنصرانيّة . وقد ذهب الى هذا القول المستشرق ولهوزن حيث قال Wellhausen : *Reste arab. Heidentums*, p. 233 « يظهر انَّ احد شعراء الجاهليّة المدرسيّين الاعشى قد كان نصرانياً » (Einer der klassischen Dichter der Gâhilija, al-A'cha, soll Christ gewesen sein)

٣ ربيعيُّون آخرون

اربعة شعراء من ربيعة من غير قبائل بكر وتغلب روينا شعرهم وهم :

١ البرّاق بن روحان	(شعراء النصرانيّة	ص ١٤١–١٤٧)
٢ ليلى العفيفة زوجتهُ	«	١٤٨–١٥٠
٣ جرير بن عبد المسيح (المتلمّس)	«	٣٢٠–٣٤٩
٤ المثقب العبديّ	«	٤٠٠–٤١٥

هم من احياء مختلفة لا شكّ في نصرانيّتهم . فالبرّاق كما ورد في جمهرة انساب العرب للكلبيّ كان من قرابة المهلهل التغلبيّ وتخرّج على راهب فتعلّم منهُ تلاوة

الانجيل ولعلّ دير ابن براق الذي ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان اليه ينتسب . والمتلمّس ينتمي الى ضُبيعة بن ربيعة بن نزار وكفى باسمهِ « جرير بن عبد المسيح » دليلًا على دينهِ . نادَمهُ عمرو بن الهند ثم هرب منهُ الى الشام واجتمع باهلها النصارى وفي ذلك يقول :

حنّت قلوصي بها والليلُ مطّرقٌ بعد الهدوّ وشاقتْها النواقيسُ

وهو القائل عن تقى الله :

وأعلمُ علمَ حقٍّ غير ظنٍّ وتقوى الله من خير العَتادِ

امّا المثقّب العبدي فكان من اسد بن ربيعة يرتقي اليها بعبد القيس بن افصى التي سبق لنا ذكر شيوع النصرانية بينها . كان ابوه محصن بن ثعلبة سيّدًا خطيرًا واحد السعاة بالصلح بين بكر وتغلب كما قال المثقّب :

ابي أصلح الحيَّين بكرًا وتغلبًا وقد أرعشت بكرٌ وخفّ حلومُها

والمثقب دخل على ملوك الحيرة فمدح منهم عمرو بن هند والنعمان بن قابوس

ثانياً شعراء اياد

اياد بن نزار اخو ربيعة . تشعّبت منهُ احياء وفروع متعدّدة شاركوا ربيعة في نصرانيّتهم كما شهد على ذلك كتبة مسلمون فضلاء كابي نصر الفارابيّ والبكري وابن دريد (اطلب نصوصهم في الصفحة ٢٤) وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان اديرةً بناها بنو اياد كدير السّوا ودير قرّة . وفي اخبار البلد الحرام للفاسيّ (ص ١٣٧) انّ كاهناً من اياد اسمهُ وكيع بن سلمة ابتنى صرحاً ليناجي فيهِ الله . قال بشر بن الحجر (البيان والتبيين للجاحظ ١ : ١٩٠) :

ونحنُ ايادٌ عبادُ الالهِ ورهطُ مُناجيهِ في السُّلّم

واشهر من عُرف من شعرائهم شاعران ذكرناهما في كتابنا :

١ قس بن ساعدة	(شعراء النصرانيّة	ص ٢١١–٢١٨)
٢ اميّة بن ابي الصلت	«	٢١٩–٢٣٧

قس بن ساعدة هو خطيب العرب الشهير واسقف نجران لا حاجة الى اثبات نصرانيّتهِ . وصفهُ الجارود النصراني العبقسيّ لمحمّد بما رويناهُ هناك (ص ٢١١) . هذا مع ما دخل في اخبارهِ من الاقاصيص الفريّة التي رويناها على علّاتها

امّا اميّة بن ابي الصّلت وهو من ثقيف بها يرتقي الى اياد فيمكننا بيان نصرانيّتهِ

بالادلَّة الآتية : ١ً كونهُ من إياد التي اثبتنا نصرانيَّتها وافتخارهُ بمعارف قومهِ لاسيما الكتابة وفنّ الكتابة كما سبق تعلّمهُ العرب من النصارى :

قومي إيادٌ لو أنّهم أمَمْ ولو اقاموا فتُهزَلَ النَّعَمُ
قومٌ لهم ساحةُ العراق اذا ساروا جميعاً والقطُّ والقَلَمُ

٢ً كان اميَّة من الحنفاء وقد سبق (ص ١١٨—١١٩) انَّ الحنيفيَّة في الجاهليَّة يُرَاد بها النصرانيَّة او شيعة من شيعها واتينا على ذلك بشواهد اسلاميَّة . ٣ً اطلاعهُ على الاسفار المقدَّسة والانجيل ودرسهُ لها (الاغاني ٣ : ١٨٧) . ٤ً دخولهُ كنائس النصارى واجتماعهُ برهبانها (ص١٨٨) . ٥ً معرفتهُ للُغة السريانيَّة لغة نصارى العراق . قال ابن دريد في تاج العروس (٣ : ٢٨٦) : « كان اميَّة يستعمل السريانيَّة كثيراً لأنهُ كان قد قرأ الكتب » . ٦ً في شعرهِ من مقتبسات الكتب المقدَّسة ما تفرَّد به كعديّ بن زيد . فانَّ لهُ اوصافاً عديدة للاحداث الكتابيَّة وللعقائد الدينيَّة كوصفه الجميل للعزَّة الالهيَّة والملائكة والدينونة والجحيم والنعيم وبشارة العذراء ومولد المسيح العجيب مما يدلُّ صريحاً على تنصُّرهِ . على أنَّنا نقرُّ بأنَّ في اخبارهِ اضطراباً لبُعد عهد الرواة عن زمانهِ

ثالثاً شعراء مضر

لم تنتشر النصرانيَّة في مضر بن نزار وقبائلهِ انتشارها في قبائل اخوَيهِ ربيعة واياد على أنَّنا وجدنا ايضاً عدَّة آثار تنبي بدخول النصرانيَّة في احياء كثيرة منها كبني عُقَيل الذين غلبت عليهم النصرانيَّة وبني تميم وعبس وذبيان وقيس عيلان وناجية . وقد اوردنا على ذلك شواهد في ما سبق في باب القبائل المتنصّرة وذكرنا بعض الاديرة المشيَّدة بينها

١ بنو تميم

روينا اخبار واشعار خمسة منهم اعني :

١ عدي بن زيد	(شعراء النصرانيَّة	ص ٤٣٩—٤٧٤)
٢ الاسود بن يعفر	«	٤٧٥-٤٨٥
٣ سلامة بن جندل	«	٤٨٦-٤٩١
٤ اوس بن حجر	«	٤٩٢-٤٩٧
٥ علقمة الفحل	«	٤٩٨-٥٠٩

عديّ بن زيد باقرار كلّ الكتبة كان نصرانيّاً من اسرة نصرانيَّة في خدمة ملك نصراني من ملوك الحيرة. وفي شعرهِ من الآثار الدينيَّة ما لم يُرْوَ عن غيرهِ الَّا عن اميَّة بن ابي الصلت. ففيهِ روايات من الاسفار المقدَّسة. وقد حلف بالشبَر اي القربان وبالصليب. وفي اخبارهِ ذكر دخولهِ الكنائس الى غير ذلك

وكان الاسود بن يعفر التميمي من سادة قومهِ ونادم النعمان كعدي بن زيد وعاش بين نصارى الحيرة وكانت بنو عجل النصارى اخوالهُ

وكذلك سلامة بن جندل الذي نشرنا ديوانهُ سنة ١٩١٠ فانهُ كالاسود بن يعفر عاش في جهات الحيرة التي كانت عمَّت النصرانيَّة كلّ انحائها وعاشر قوماً من النصارى كتغلب والعباديّين وفي شعرهِ تلميحٌ اليهم. ولا اثر لكليهما في قصائدهما الى شيءٍ من الشرك وعلى خلاف ذلك. وردت في شعر سلامة تشابيه واشارات نصرانيَّة كذكرهِ لداود النبي وتنويه بمخطوطات النصارى المنمَّقة وبملابس العباديّين

وقد جعلنا ايضاً اوس بن حجَر في جملة النصارى وهو احد الذين اطلقهم من الاسر بسطام بن قيس رئيس شيبان النصراني بعد ظفرهِ بتميم فمدحهُ اوس لكرمهِ. ومن تشابيهه النصرانيَّة قولهُ يشبّه لمع رمحهِ بمصباح رئيس النصارى يوم عيد الفِصْح :

عليهِ كمصباح العزيز يشبُّهُ لِفِصْحٍ ويحشوهُ الذُّبال المُفتَّلا

وعلقمة بن عبدة التميمي كان مدَّاحاً لملوك غسّان النصارى ولهُ محاضرات مع امرئ القيس والزبرقان بن بدر الشاعرين النصرانيَّين. وفي شعرهِ اشارة الى كأس قربان النصارى ومفعولها الصالح دون الأذى بشاربها قال في وصفها :

كأسُ عزيزٍ من الاعنابِ عتَّقها لبعض احيانها حانيَّةٌ حومُ
تشفي الصداعَ لا يؤذيك صالبُها ولا يخالطُها في الرأس تدويمُ

قال الشارح : « العزيز كبير النصارى وقولهُ « لبعض احيانها » اي اعدَّها لفصح او لعيدٍ »

٢ عبس وذبيان

عبس وذبيان ابوهما بغيض بن غطفان يتَّصلان بهِ الى الياس بن مضر بن نزار وقد

وقعت بينهما حروب كما جرت بين بكر وتغلب وقد نوَّهنا بولوج النصرانيَّة في احيائهما (ص ١٣٤) وقد ذكرنا من عبس اربعة شعراء :

١ الربيع بن زياد	(شعراء النصرانيَّة ص	٧٨٧—٧٩٣)
٢ عنترة بن شدّاد	»	٧٩٤—٨٨٢
٣ عُروة بن الورد	»	٨٨٣—٩١٦
٤ قيس بن زُهَيْر	»	٩١٧—٩٣٢

ومن ذبيان اوردنا ترجمتي وقصائد شاعرَيْن وهما :

١ النابغة الذبياني	»	٦٤٠—٧٣٢
٢ الحصين بن الحمام	»	٧٣٣—٧٤٥

الربيع بن زياد احد اعيان بني عبس كان من ندماء النعمان بن المنذر ملك الحيرة مع سرجون بن توفيل وغيرهِ من النصارى كما روى صاحب الاغـاني وفي ذلك دليل على انه يدين بدينهم وفي اخبارهِ ادلَّة على توحيدهِ وكرم أخلاقهِ

امَّا عنترة فكانت امُّهُ حبشيَّة والحبش نصـارى كـما هو معلوم . وفي شعرهِ الصحيح والمصنوع آثار عديدة دالَّة على توحيدهِ وآدابهِ ودينهِ . وفي ذلك ما يدلُّ على نصرانيَّتهِ لأنَّ التوحيد قبل محمَّد لم يشع في جزيرة العرب الَّا بفضل النصرانيَّة . وزد على ذلك انهُ كان في خدمة الملك زهير وابنهِ قيس النصرانيَّين

وكذلك عروة بن الورد موحدٌ في شعرهِ ولهُ في اخباره من اعمـال الرحمة على الفقراء والمبؤوسين ما لا يُعهد مثلهُ الَّا عند من ربُّوا على التعاليم النصرانية فدُعي لذلك عروة الصعاليك وشعرهُ ايضاً خالٍ من كل شركٍ

امَّا قيس بن زهير فكان ابوهُ حليف ملوك الحيرة صـاهرهُ النعمان فتزوَّج ابنتهُ لشرفهِ وسؤددهِ . وقد روى ابن الاثير في تاريخهِ (١ : ٢٤٢) انهُ بعد حرب داحس والغبراء « تلب الى ربّه فتنصَّر وساح في الارض حتَّى انتهى الى عُمان فترهَّب »

وفي شعر النابغة عدَّة آثار منبئة بتوحيده وتديُّنهِ وتقاهُ . وقد مدح ملوك غسَّان والمناذرة النصارى وفي ملوك غسَّان يقول :

جلَّتهم ذات الالـه ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ

وهو مديحٌ لا يقولـهُ شاعر ما لم يدِنْ بدينهم . وقـد ذكر صليب الزوراء في مدحهِ للنعمان ملك الحيرة النصرانيّ :

ظلَّت تقاطيع أنعام مؤبَّلةٍ   لدى صليبٍ على الزوراء منصوبِ

وقال يذكر المصلّين من الرهبان الذين شيَّعوا جنازة الملك الغسَّاني النعمان بن الحارث ابن ابي شمّر :

فـآبَ مصلُّوهُ بعَينٍ جليَّةٍ   وغودر بالجَولان حزمٌ ونـائلُ

ومن آثار عفَّتهِ الشاهدة لهُ على دينهِ النصراني وايمانهِ بالآخرة قوله :

حيَّاكَ ربّي فانـاًّ لا يَحِلُّ لنـا   لَهْوُ النساء وانَّ الدينَ قد عَزَما
مشمَّرين عـلى خُوصٍ مزمَّمةٍ   نرجو الالهَ ونرجو البرَّ والطُّعُمَا

وفي اعتقادهِ لعزَّة الله وجلالهِ يقول :

حلفتُ فلم اترك لنفسك ريبةً   وليس وراءَ الله للمرءِ مذهبُ

وقد ذكر في شعرهِ الانبياء كداود وسليمان · كقولـهِ في داليَّتهِ التي مدح بهـا النعمان :

الَّا سليمان اذ قـال الالـهُ لـهُ   قم في البريَّةِ فازْجُرْها عن الفَنَدِ
فمن أطـاعـك فانْفعهُ بطـاعتهِ   كما اطاعـك وادلُلْهُ على الرشدِ

وكان الحصين بن الحُمام ذُبيـانيًا ايضـا · وفي ترجمتهِ انهُ كان يؤمن بالله ويقرُّ بالبعث وبعواقب الانسان من نعيم وجحيم فقال من ابيات وهو نعم القول(اغاني ١٢ : ١٢٨)

فـلم يبقَ من ذاك الَّا التُّـقى   ونفسٌ تعـالـج آجـالهـا
امورٌ من الله فوقَ السماء   مقـاديرُ تنزِلُ إنزالهـا
اعوذُ بربّي من المُخزيـا   تِ يومَ ترى النفسُ أعمالهـا
وخفَّ الموازينُ بالكـافرين   وزُلزِلت الارضُ زِلزالهـا
ونـادى منادٍ بـاهل القبورِ   فهبُّوا لتُـبرِزَ أثقـالهـا
وسُعِّرت النارُ فيهـا العذابُ   وكـان السلاسلُ أغلالهـا

ومن بني قيس عيلان من غـير عبس وذبيان ذو الإصبع العَدْواني ينتمي الى عدوان بن عمرو بن سعد بن عيلان · وقد أنِسنا في شعره من الآداب والحكم مـا حملنا على الترجيح بنصرانيَّتهِ مع خلوهِ من كل اثر للشرك · فهو يذكر الله وقدرتـهُ على كلّ ما يشاء · وفي قومهِ عدوان قد أُحصي سبعون الف غـلام أغرل كما روى

صاحب الاغاني عن الاصمعي (٣ : ٢) وقد رأينا في اهمالهم للختانة اثرًا لنصرانيّتهم

٣ شعراء هوازن

هوازن يرتقي نسبُها الى خصَفة بن قيس عيلان بن الياس بن مضر ادرجنا اثنين من شعرائها في جملة شعراء النصرانيّة وهما :

١ كعب بن سعد الغنوي	(شعراء النصرانيّة	ص ٧٤٦–٧٥١)
٢ دريد بن الصمّة	«	٧٥٢–٧٨٣

في شعر كعب بن سعد من الحكم والعواطف الليّنة والحنان ما دفعنا الى ضمّه الى شعراء النصرانيّة . ثم انَّ اخاهُ ابا المغوار قُتل في حرب ذي قار التي كان اكثر محاربيها من القبائل النصرانيّة

أمّا دريد بن الصمّة فانهُ كان سيّد قومهِ بني جُشم وفارسهم ادرك الاسلام وحارب محمّدًا وانصارهُ يوم حنين . وفي شعرهِ من الايمان بالله وذكر الانبياء ما ينفي عنهُ الشرك ويدلُّ على انهُ اخذ ذلك عن النصارى . وكان اخوهُ يدعى عبدالله وفي اسمهِ شاهد على دينهِ . وقد مدح في شعرهِ بني الديّان نصارى نجران

٤ مُضَريُّون آخرون

هم اربعة نظمناهم في سلك كتابنا يرتقي نسبهم الى الياس بن مضر بن نزار :

١ زُهَير بن ابي سُلْمى	(شعراء النصرانيّة	ص ٥١٠–٥٩٥)
٢ عَبيد بن الابرص	«	٥٩٦–٦١٥
٣ ورَقة بن نوفل	«	٦١٦–٦١٨
٤ زيد بن عمرو بن نُفَيل	«	٦١٩–٦٢٢

زهير صاحب المعلّقة الميميّة الشهيرة ومادح السيّدين الحارث بن عوف وهرم بن سنان اللذين سعيا باصلاح قبيلتي عبس وذبيان بعد حرب داحس والغبراء . كان مؤمناً بالله وبيوم الدين والحساب ومن اقوالهِ في ذلك قولهُ للمتحاربين ليتركوا كلّ ضغينة :

فلا تكتُمنَّ اللهَ ما في صدوركم ليخفى ومها يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ
يؤخَّرْ فيوضعْ في كتابٍ فيُدَّخر ليوم الحساب او يُعجَّلْ فيُنقَمِ

وقال ايضاً :

بدا لي انَّ الله حقٌّ فزادني الى الحق تقوى الله ما كان باديا

وهو القائل :

تزوَّدْ الى يوم المماتِ فـانّـهُ ولو كرهتْهُ النفسُ آخرُ موْعِدِ

وقدَّمنا انَّ الايمان بالله وبالحساب قبل الاسلام يُشعر بنصرانيَّة قائلهِ . وهو ينسب الى الله في شعرهِ الحكم في خلائقهِ مع وجودهِ الى الابد . وكذلك اشار في قصائدهِ الى امور من الكتاب المقدَّس كذكرهِ لفرعون وداود

عَبيد بن الابرص احد الشعراء الوافدين على ملوك غسَّان وكندة النصارى وقد مدحهم بشعرهِ . وفي ديوانهِ ما ينبئ بتوحيدهِ وتقاهُ واعتقادهِ للآخرة . كقولهِ في بائيَّتهِ الشهيرة :

مَنْ يسألِ النـاسَ يحرموهُ وسـائـلُ الله لا يخيبُ
بـالله يُـدرَكُ كلُّ خيرٍ والقول في بعضـهِ تـلغيبُ
واللهُ ليس لـهُ شريـكٌ علَّامُ مـا اخفتِ القـلوبُ

وكثيرًا ما ينسب اليهِ تعالى القدرة والبقاء والعلم . فمن قولهِ :

ولَيَفْنَيَنْ هذا وذاك كلاهُما الّا الالـهَ ووجهَهُ المعبودا

وذكر ايضاً في شعرهِ النبيّ داود

امَّا ورقة بن نوفل فلا خلاف في نصرانيَّتهِ فانَّ عامَّة الكتبة المسلمين يقرُّون بذلك كابن قتيبة في المعارف وابن هشام في سيرة الرسول وقد روينا مـا قالهُ ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني . ومثلهُ ابن الاثير في اسد الغابة (٥ : ٤٣٦) قال « انَّ ورقة كان امرأً تنصَّر في الجاهليَّة يكتب الكتاب العبرانيّ ويكتب من الانجيل ما شاء الله ان يكتب » . وكان ورقة ابن عمّ خديجة زوجة رسول الاسلام . وفي شعرهِ ما يثبت صحَّة دينهِ

امَّا زيد بن عمرو بن نُفَيل فيقال عنهُ انهُ خلع عبادة الاوثان واجتمع بالاحبـار والرهبان وضرب في البلاد يطلب الحنيفيَّة دين ابرهيم . وعندنا انَّ هذه الحنيفيَّة هي احدى شيع النصارى . ولو قابلتَ بين شعرهِ وشعر ورقة وجدت بينهما شبهاً تامـاً في كلّ معانيهما وزهدهما وايمانهما بالاله الواحد وبالبعث والخلود للابرار في دار النعيم والكفار في نار الجحيم

رابعاً شعراء اليمن من بني كهلان

في القسم الاوَّل من كتابنا خصصنا عدَّة صفحات لبيان نفوذ النصرانيَّة في اليمن منذ القرون الاولى للنصرانيَّة ولاسيَّما بعد انفجار سدّ مأرب بين القبائل المتنقلة الى شمالي جزيرة العرب وغربيّها وجنوبها الشرقي فلا حاجة الى تكرار ما اثبتناهُ عن تنصُّر كندة وقضاعة وغسَّان والمناذرة . وقد روينا اخبار بعض الشعراء من قبائل يمنيَّة اعني كندة ومذحج وطيّ

١ شعراء كندة

اشعر شعراء كندة بل رأسهم وزعيمهم امرؤ القيس الكندي . روينا اخباره بعد ان قدَّمنا عليها اخبار اعمامهِ

قد سبق لنا في المشرق مقالةٌ مطوَّلة رددنا فيها على مزاعم الاب انستاس الكرملي الذي ادَّعى ان امرأ القيس كان مزدكيًّا فكتب عن ذلك فصلين اثبتناهما في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ٨٨٦ و ٩٤٩) فابطلنا زعمهُ واثبتنا نصرانيَّة امرئ القيس بعشرة براهين (٨ : ٩٩٨—١٠٠٦): ١ً تفنيدنا لمن زعم انهُ كان وثنيًّا او مزدكيًّا (٩٩٩—١٠٠٢) . ٢ً خلوُّ شعرهِ من آثار الشرك وعبادة الاصنام . ٣ً عدَّة ابيات من قصائدهِ تصرّح بتوحيدهِ واقرارهِ بالبعث والنشور . ٤ً اشارات واضحة الى شؤون النصارى وعاداتهم ورهبانهم وزبورهم سبق ذكرها . ٥ً انتشار النصرانيَة في كندة قبيلة امرئ القيس كما اعلن ذلك عبد المسيح الكنديّ في معارضتهِ للهاشميّ حيث يذكر شرف كندة ويفتخر بدينها المسيحيّ . ٦ً خروج امرئ القيس الى قيصر الروم يستنجدهُ على قتلة والدهِ حُجر . وما كان امرؤ القيس ليفكّر في ذلك لولا رابطةُ الدين بينهُ وبين ملك الروم الذي كان في ذلك الوقت يُدعى يوستنيان العريق في دينهِ النصرانيّ . ٧ً كانت عمَّة امرئ القيس هندَ بنت الحارث المعروفة بهند الكبرى وهي زوجة المنذر بن ماء السما ووالدة عمرو بن هند التي عمَّرت الدير المنسوب اليها في الحيرة وعلَّقت عليها كتابة تدعو فيها نفسها « أَمة المسيح وامَّ عبدهِ

وبنت عبيده» وبذلك تثبت ايضاً نصرانيّة اعمام امرئ القيس الذين ذكرناهم . ٨ً وكذلك امّ امرئ القيس هي فاطمة اخت المهلهل وكليب من قبيلة تغلب النصارى . ٩ً وقد روينا في المشرق (٨ [١٩٠٥] : ١٠٠٥) ما نقلهُ فوطيوس في مكتبتهِ عن الاصل اليوناني للمؤرخ نَنّوز الذي ارسلهُ يوستنيان الملك سفيراً الى الحبشة والى امرئ القيس الكندي ليوليهُ على مقاطعات فلسطين (١ . وفيهِ من الشواهد على نصرانيّة امرئ القيس ما لا يُنكر . ١٠ً وشفعنا اخبار تلك السفارة بذكر سفارة اخرى رواها المؤرخ بروكوپ الشهير في كتابهِ عن الحرب الفارسيّة (Procope, B.P.,L.20) قال انها عُهدت الى يُليان من قبل ملك الروم الى الحبشة والحميريين ليجعلوا الملك على قبائل معدّ في يد امرئ القيس الذي كان في ذلك الوقت شارداً بين القبائل ويقول عنهُ بروكوب « انهُ كان احد رؤساء القبائل من نسل كريم وذا بطش في الحرب » وقد اثبتنا كلامهُ بالحرف في الاصل اليونانيّ

٢ً شعراء مَذْحج

مذحج قبيلة يمنيَة كبيرة كانت تسكن جنوبي العرب في جهات نجران وفيها انتشرت النصرانيَة على يد احد دُعاتها الذي يدعوهُ العرب فيمون . ومنها كان شهداء نجران في عهد ذي نوَاس . واليها ينتمي بنو الحارث بن كعب سادة نجران النصارى بُناة الكنائس وكعبة نجران (راجع الصفحة ١٣٩) . وقد اخترنا من شعراء مذحج ثلثة وهم :

١ الافوه الاودي	(شعراء النصرانيّة	ص٧٠–٧٤)
٢ عبد يغوث	«	٧٥–٧٩
٣ يزيد بن عبد المدان	«	٨٠–٨٨

كان الافوه الاودي سيّد قومهِ وفي شعرهِ من الحكم ما يدلُّ على حصافة رأيهِ وحسن نظرهِ وآدابهِ . ومثلهُ عبد يغوث كان فارساً مغواراً . امّا يزيد بن عبد المدان فكان من اشراف اليمن وسيّد مذحج من بني الديّان الذين مدحهم الاعشى لجودهم وعزّهم . ولا حاجة لاثبات نصرانيّتهم مع شهرتها

---

١) اطلب اعمال الآباء اليونان (Migne, PP. GG., CIII, col. 46-48)

٣ شعراء بني طيّ

طيّ احدى القبائل اليمنيَّة التي صرَّح كتبة العرب بنصرانيَّتها قال ابن واضح اليعقوبي في تاريخهِ (١ : ٢٩٨) : « تنصَّر من احياء العرب من اليمن طيّ ومذحج » راجع ادلَّة اخرى اثبتناها في ما سبق (ص١٣٢) وقد اخترنا من شعراء طيّ الاربعة الآتي ذكرهم :

١ حنظلة الطائي	(شعراء النصرانيَّة ص	٨٩-٩٢)
٢ قَبيصة بن النصراني	«	٩٣-٩٧
٣ حاتم الطائي	«	٩٨-١٣٤
٤ اياس بن قبيصة	«	١٣٥-١٣٨

حنظلة الطائي هو ذاك الوافد على النعمان يوم بؤسهِ وفاء بوعدهِ اذ رجع ليُقتَل بعد غيبتهِ. وكان قيامهُ بوعدهِ لاجل دينهِ النصراني داعياً لتنصُّر النعمان. ومات بعد ان ترهَّب في الدير الذي ابتناهُ على نفقتهِ

قبيصة بن النصراني احد بني جَرْم المشهورين بنصرانيَّتهم في طيّ. ذكرهُ مراراً ابو تمّام في حماستهِ. ويدلُّ اسمهُ على دينهِ

وكذلك حاتم الطائي نصرانيّ لا شكَّ فيهِ . فان ايمانهُ بالالـه الواحد وبالبعث والنشور واشاراتهُ الى بعض امور النصرانيَة تثبت امر دينهِ . وفي سيرته من آثار العفَّة والكرم ما هو موافق للروح النصراني ولعلَّهُ اقتبس من الانجيل قولهُ :

كُلوا اليوم من رزق الاله وأَيْسروا ... وانَّ على الرحمانِ رِزقكمُ غدا

وقد صرَّح الكتبة بنصرانيَّة ابنهِ عدي الذي وفد على محمَّد وقيل انهُ أَسلم . وذكر صاحب دائرة العلوم الاسلاميَّة (Encyclopédie de l'Islam, p. 138) في ترجمة عديّ بن حاتم انَّ الأب والابن كانا نصرانيّين . وسبقهُ الى ذلك غانيار (Gagnier) في سيرة محمَّد الافرنسيَّة

أمَّا اياس بن قبيصة فهو ابن اخي حنظلة الذي كان وفاؤهُ داعياً لتنصُّر النعمان . وكانت أمهُ اخت هانئ بن مسعود رئيس بني شيبان النصارى . وكان اياس من اشراف الحيرة . ولم يعدلوا عن دينهم لمَّا ظهر الاسلام فانَّ الطبري يخبر في تاريخهِ (١ : ٢٠١٨) أنَّهم فضَّلوا دفع الجزية مع البقاء على دين المسيح

٤ شعراء كلب

انّ نصرانيّة كلب المنتمية الى قضاعة مما لا يختلف فيهِ اثنــان (راجع الصفحة ١٣٧ و ١٣٨ من كتابنــا) ولم نذكر من هــذه القبيلة غير زهير بن جناب الكلبي القضاعي (ص ٢٠٥—٢١٠ من شعراء النصرانيّة). ولاهُ ابرهة على بكر وتغلب (ص ٢٠٦ وذلك بسبب نصرانيّتهِ ونصرانيّة بكر وتغلب. وكذا يقال عن دخولهِ على ملوك غسّان وبني لخم. وجاء في تذكرة ابن حمدون (نسخة برلين ص ٢١٥) «انّ زهير بن جناب كان سيّدًا مطاعاً شريفاً في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم تجتمــع في غيرهِ من اهل زمانهِ كان سيّد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم وقائــدهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم (والطبّ في ذلك الزمان شرفٌ) وحــازى قومهُ الى كاهنهم وكان فارس قومهِ ولهُ البيتُ فيهم والعــدد منهم» ثم يورد وصاتهُ لبنيهِ يحرّضهم فيها على الثقة بالله

وبزهير بن جناب ختام فصلنا هذا الذي قدّمنا فيهِ الدلائل على نصرانيّة الشعراء المذكورين في كتابنا وبهِ ايضاً نجــاز كتاب «تاريخ النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة» . ونكرّر ما قلنا سابقاً انّنا (اوّلا) ذكرنا من شعراء الجــاهليّة الذين صرّح الكتبة بدينهم النصرانيّ . (ثانياً) حقّقنا نصرانية كثيرين منهم بنصرانيّة قبائلهم وبخلوّ شعرهم من آثار الشرك وبتوحيدهم لله واعتقادهم بخلود النفس والثواب والعقاب وباشاراتهم الى دين النصارى وكلّ ذلك لا يمكن تعليلهُ بين عرب الجاهليّة الّا بنفوذ النصرانيّة . (ثالثاً) اخذنا اسم النصرانيّة بمعنــاه الواسع سواء كان الشعراء من تبعتهِ المستقيمي الايمان او من شيعهِ الضالّة كالاريوسيّة والنسطوريّة واليعقوبيَة . (رابعاً) لسنا ندّعي انّ هؤلاء النصارى جروا في سيرتهم بكل حرص على نواميس النصرانية لاسيّما في امر الطلاق وفي غزواتهم واخــذهم بالثأر على خلاف التعاليم النصرانية . وانّما تبعوا في ذلك سُنن عرب البادية واقتفوا آثارهم . وتقلّدوا عادلتهم . والعادة كما يُعرف طبيعة ثانية يصعب استئصالها وقهرها . (خامساً) وان وجد احد في بعض اقوالنا شططاً فماذ الله ان نكابر الحقّ ان بيّنهُ لنا ارباب الفضل والعلم . وليس الكمال الّا لله

ملحوظات شتَّى

على كتاب

النصرانيّة وادابها بين عرب الجاهلية

(الصفحة ١ السطر ٣ «قبل عشرين السنة») ظهر كتاب شعراء النصرانيَّة سنة ١٨٩٠ .

(ص ٢٩ س ١٨) ومن أعلام الامكنة الدالَّة على نفوذ الرومان بين العرب ما دعاهُ ياقوت (١ : ٩٣٥) بثَمَد الروم بين الشام والمدينة

(ص ٣٢ س ٢٥ نصرانيَّة فيلبُّوس العربيّ) يُضاف الى ما ورد هناك في نصرانيَّته نقودٌ طُبعت باسمهِ مع رموز نصرانيَّة كصورة الطوفان وفلك نوح والحمامة والغراب . وكذلك يشهد على نصرانيَّتهِ القديس ايرونيموس (De Viris Illustribus, n° 54)

(ص ٣٤ س ١ الكتابات النصرانيَّة في حوران) يتراوح زمن هذه الكتابات بين القرن الثاني للمسيح والقرن الرابع

(ص ٣٦ س ١ ملوك غسان النصارى) . النـابغة في لاميَّته يرثي النعمان بن الحارث بن ابي شمّر بقولهِ :

فـآب مصلُّوهُ بعينٍ جليهِ وغودر بالجولانِ حزمٌ ونائلْ

قال ابو عبيدة «مصلُّوه» يعني اصحاب الصلاة وهم الرهبان واهل الدين منهم

(— س ١١ . دير بصرى) قال ياقوت في معجم البلدان (٢: ٦٤٧) «بهذا الدير كان بُحيرا الراهب الذي بشَّر بالنبيّ صلعم» . وقال سابقاً (ص ٦٤٥) انَّ « دير بحيرا هو دير البـاقيّ قبليّ بصرى من ارض حوران» . وبقيت النصرانيَّة في هذا الدير بعد الاسلام . وذكر ياقوت ان المازنيّ وجد في دير بصرى رهباناً من العرب المتنصّرين من بني صادر قال عنهم «وهم افصح من رأيت» وذكر منهم أمة شاعرة

(— س ١٢ الرهبان في بادية الشام) . ذكر سوزومان في تاريخـه (ك ١ ف ١٣)

انه كان بين تلامذة القديس انطونيوس الكبير كثيرون من اهل سوريّة وعربيّة « plurimos auditores habuit ex Syria et Arabia »

(ص٣٧ س ٢١ نصارى العرب المحاربون مع الرومان ضد المسلمين) قال ياقوت (١ : ٩٢٨) انَّ غسّان وتنوخ لحقوا بهرقل فحاربهم ميسَرة بن مسروق. وقال في مادّة معان من نواحي بلقاء : « بعث النبي جيشاً الى موتة فيهِ زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبدالله بن رواحة ... وقيل قد اجتمع من الروم والعرب نحو مائتي الف »

de Goeje : *Mém.d'Hist. et de Géogr.* 2e éd. 1910 : Trois Chefs musulmans furent tués et la victoire resta aux Chrétiens

(ص ٣٨ : ١٦ الحارث الاكبر ... الملقَّب بالاعرج). **Mr G. Dugat,** *J. As.* 1855 *Avril*, 5e *Série* 371: «Harith el A'radj roi des Arabes Chrétiens de Syrie et patrice romain

وممّا صرّح بهِ العرب انَّ جبلة آخر ملوك غسّان مات نصرانيّاً في القسطنطينيّة (تاريخ دمشق لابن عساكر ٣ : ٣٥٨ . وغيرهُ كثيرون)

(ص ٤٠ س ١٢ نصارى اورشليم في عبر الاردن) خرجوا بوحي الله الى مدينة فهيل (Pella) فاستوطنوها . ومنها كان ارستون نحو السنة ١٤٠ م الذي الَّف كتاباً جدليّاً يُدعى مباحثة ياسون وپاپسكوس وكلاهما يهودي الّا ان ارستون ارتدَّ وردَّ بمباحثتهِ الجدليّة خصمهُ الى الايمان : وذكر العلّامة غيرين (Guérin: *Galilée*, I, 290) انهُ وجد في فهيل آثار كنيسة ذات ثلث اسواق يرجّح انَّ عهدها راقٍ الى قرون النصرانيّة الاولى . وكذلك (I, 300) وجد في امّ قيس وهي جَدَر (Gadara) هياكل رومانيّة حوّلها النصارى الى كنائس بعد الاضطهادات . وكانت جدر كرسيّ اساقفة منذ القرون الاولى (سنة ٣٠٧) . وكذلك خربة السمرة (Hippias) كانت كرسيّ اسقفي : حضر اسقفها المسمّى بطرس مجمعَي سلوقية سنة ٣٥٩ وانطاكية سنة ٣٦٣ ثم تاودوروس حضر مجمع اورشليم ٥٣٦ — ووجد غيرين (I, 313) كنيستين في فيق (Apheka) وكنيسة في كفر حارب واكتشف في خربة قلعة الحصن (Gamalas) باسيليقة راقية الى القرون الاولى (I, 319)

(ص ٤١ س ١٥ النبيط او النبط) للعلّامة كاترمار المستشرق الكبير مقالة

واسعة في النبط نشرها في المجلّة الاسيويّة (J. As., 2e Série, XX, 1835) يذكر هناك منازلهم في بادية الشام وبين الشام والحجاز ويتّسع في لغتهم السريانيّة ودينهم النصرانيّ وفوائد اخرى عديـدة . وقد جاء عن النبط في شعر قديم (امالي المرتضى ٣ : ٩٣) :

لمّا رأيتُ نبطاً أنصارا شمّرتُ عن ركبتيَ الإزارا
كنتُ لها من النصارى جارا

وقال متمم بن نويرة يذكر طواف النبط حول كنيستهم وقد دعاها بالفَدَن وهو البنا المَشيد والقصر (المفضّليات ص ٦٩) :

بجدَّةٍ عنَسٍ كـأنَّ سَراتَها فَدَنٌ تطيف بهِ النبيطُ مُرَفَّعُ

(ص ٥٤ س ٣ برتلماوس رسول اليمن) يؤيد هذا الرأي فوتيوس في مكتبتهِ (PP. Gr., Migne, LXV, 459 seqq 1) حيث روى تبشير الرسول برتـلماوس للهند فيصرّح بانّ الهند المقصودة هنا هي اليمن وانّ الذين بشّرهم هم العرب المعروفون قديماً باهل سبأ ثمّ عُرفوا بالحميريين . وقد جنح البولنديون الى هذا الرأي في ترجمـة القديس برتلماوس . وهكذا ارتأوا ايضاً في ما اخبرهُ اوسابيوس عن رحلة پنتانوس الى الهند قالوا يراد بالهند جنوبيّ العرب اي اليمن حيث كان بشّر برتلماوس الرسول . وكانت هذه الرحلة سنة ١٨٩ للميلاد وتوفي پنتانوس نحو السنة ٢١٥

(ص ٥٥ س ١٨ نصرانيّة عبد كلال) . قال ابن قتيبة في المعارف (ص ٢١٢) «كان عبد كلال بن مثوب مؤمناً على دين عيسى عم ويُسرّ ايمانهُ وكان ملكهُ ٧٤ سنة» (اطلب ايضاً تاريخ الطبري ١ : ٨٨١)

(ص ٦٠ س ٧ ذو نوّاس واضطهادهُ لنصارى نجران) راجع ايضاً اخبارهُ في تاريخ مكّة للازرقي (ص٨٦) وقد ورد الخبر في القصيدة الحميريّة على هذه الصورة :

او ذو نوّاس حافر الاخدود في نجرانَ لم يخشَ احتمالَ جُناحِ
ألقى النصارى في جحيمٍ أُججت بـوَقودِ جمْرٍ مضرمٍ لفـاّحِ
فدعـا لـهُ ذو ثعلبـانَ أحابشاً منهم بقاعُ الارض غير وضاحِ
فتقـحّم البحرَ العميق بنـفسهِ وسـلاحهِ وجوادهِ السبـاّحِ
فغـدا طعامـاً سـدعز بـاذخٍ الـحوتِ من نونٍ ومن تمساحِ

ص — س ١٤ (ابرهة الاشرم) قال الازرقي في تاريخ مكّة (ص ٩٣) : «كان ابرهة رجلًا حليماً ورعاً ذا دين في النصرانيّة»

ص ٦٤ س١٤ (القُلّيس) تجد وصف عجائبها في تاريخ مكّة للازرقي (ص ٨٦ ، ٨٨-٩٣) ويُذكر هناك انَّ تلك الكنيسة بقيت الى ايّام ابي جعفر المنصور فأخربها باغراء بعض اليهود الذي وعده اذا هدمها بان يملك ٤٠ سنةً. قال «وقد اصاب المنصور بهدمها مالًا كثيرًا». وذكرها ايضاً ابن الاثير في تاريخه (١ : ١٧٨) قال عنها : «وهي كنيسة لم يُرَ مثلها في زمانها بشيءٍ من الارض». راجع ايضاً وصفها في محاضرات ابن العربي (١ : ١٣١) وفي معجم البلدان لياقوت (٤ : ١٧٠) وجاء في تاريخ الشيخ ابي صالح الارمني (طبعة اوكسفرد ص١٣٩) في وصفها قولهُ :

صنعاء اليمن بها الكنيسة المعروفة بالقليس انشأها ابرهيم ملك اليمن من قبل النجاشي ملك الحبش وهو ابرهة الاشرم. وهذا في الحرب شُرمت انفهُ فسُمي الاشرم. بنى هذه الكنيسة المذكورة وزخرفها بالذهب والاصباغ الحسنة الملوَّنة وبسط ارضها بالرخام الملوَّن وعمد الرخام فيها قائمًا ونائمًا وجلاها باحسن الجلاء من الذهب والفضّة وسمَّر الصفائح الذهب بمسامير الفضّة والفضّة بمسامير الذهب الملوّحة وجعل على ابواب المذابح بها صفحات ذهب مراض ورصّع فيها الجواهر من الاحجار الكريمة وجعل في وسط كلّ صفحة من ذلك صليب ذهب وفي وسطهِ ياقوتة جرمان احمر شفّاف ينسط جرم تلك الجواهر حولهم بانوار تشفّ مختلفة الالوان تذهل الناظرين اليها . وامر الناس بالحج اليها فتواردوا اليها من كل الجهات وجعل لها حجابًا محكوم الصنعة من خشب الابنوس والساسم مطعّم بالعاج الابيض النقيّ المنقوش بحسن الصنعة. وشاع خبرها في تلك البلاد وسمع بها من لم يرَها وحجّ اليها كثيرون من الناس وحملوا لها النذور . وكثير من الناس جاوروا هناك ولازموا المقام فيها والمبيت وكان الملك يهتمّ بالمجاورين بها وبنى لهم بيوتًا يسكنونها وبنى لها املاكًا كثيرة وحبسها عليها. وكان هذا الملك (ص ١٤٠) رجلًا حكيمًا كبير العلوم محبًا لله محسنًا للناس عادلًا في احكامهِ حسن السيرة مكرمًا من جميع الملوك ليس لهُ عدوّ يخشاه لحسن سيرهِ وسيرتهِ كما شهد بذلك تاريخ الطبري
وايضا مرور الدير وهي كنيسة عليها حصن منيع وهي الآن تسمّى مقبرة الحكماء وبهذه الناحية امير اليمن من جهة كسرى ابو شروان (انو شروان)

وروى ياقوت عن السكَري (٤ : ١٧١) انّ ابرهة كتب بالمسند على باب القليس : «بنيتُ هذا لك من مالك ليُذكر فيه اسمك وانا عبدك»

(— س ٦ الحارث بن كعب) قال في الاغاني (١٠ : ١٤٤) : «اوّل من نزل نجران من بني الحارث بن كعب كان عبد المسيح بن دارس بن عدي بن معيقر من اهل نجران وكانت لهُ قبّة من ٣٠٠ جلد اديم وكان على (ص١٤٥) نهر نجران يقال لهُ البجيروان (قال) ولم يأتِ القبّة خائف الّا امن ولا جائع الّا شبع وكان يستغلّ من

ذلك النهر عشرة آلاف دينار . وكان اوّل من نزل نجران من بني الحرث بن كعب ابن يزيد بن عبد المدان ابنتهُ رُهيمة فولدت لهُ عبدالله بن يزيد فهم بالكوفة ومات عبد المسيح فانتقل مالهُ الى يزيد فكان اوّل حارثي حلّ في نجران» (وروى ١٠ : ١٠٠) نسب بني عبد المدان فقال: عبد المدان هو عمران وكنيتهُ ابو يزيد وهو ابن الديّان بن قطرن بن زياد بن الحرث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن عمرو

(ص ٦٤ س ١٨ كنيسة ظفار) ذكر الرحّالة غلازر في كتاب رحلته (Skizze I, 15, 37) انهُ وجد سنة ١٨٨٦ في بريم قريباً من ظفار آثار مسجد تُرى في بقاياهُ نقوش نصرانيّة . واعمدتهُ وكواهُ من الطرز القوطي مع صلبان منقوشة عليها ويدعو هذا المسجد بمسجد نجيم

(ص ٦٦ س ٨ سيف بن ذي يزن) وقال ابن الاثير في تاريخهِ (١ : ٧٤) : «تزوّج ابرهة ابنة ذي جدن ريحانة وكانت زوجة ابي مرّة ذي يزن فولدت لهُ مسروقاً وكانت ولدت لذي يزن ابناً اسمهُ معدي كرب وهو سيف فقدم ذو يزن الحيرة الى عمرو بن هند وسألهُ ان يكتب الى كسرى ليستنصرهُ على الحبشة فارسلهُ اليهِ واوصاهُ بهِ فبقي عندهُ حتّى هلك ونشأ ابنهُ سيف في حجر ابرهة وهو يحسب انهُ ابوهُ الى ان صدقتهُ امّهُ ومات ابرهة وابنهُ يكسوم »

(ص ٦٧ : ٩–١٠ النصارى في اليمن بعد الاسلام) ورد في معجم ما استعجم للبكري (ص ٤١٩) عن اهل رُعَاش من ارض نجران انهم ارتدّوا الى النصرانيّة فجعل عُمر بن الخطاب ذمّتهُ منهم بريئة ان أبوا الّا النصرانيّة . وعلى نصرانيّة نجران يدلّ قول ابي زيد العبشمي يذكر ابنهُ زيدًا وكان هاجر الى اليمن :

فما زال يسعى بين نابٍ ودارهُ بنجران حتّى خفتُ ان يتنصّرا

(ص ٦٩ : ٨–١٥ النصرانيّة في جزيرة سُقُطرى) قال ياقوت في معجم البلدان (٣ : ١٠١ – ١٠٢) : « سقطرى اسم جزيرة عظيمة فيها عدّة مدن وقرى تناوح عدَن جنوبيًّا عنها وهي الى برّ العرب اقرب منها الى برّ الهند . . . واكثر اهلها نصارى عرب» . ثمّ ذكر من سكنها اوّلًا من الروم حتّى قال: « ثمّ نزلتْ بهم قبائل من مَهرة فساكنوهم وتنصّر معهم بعضهم » وفي تواريخ النساطرة انّ جثالقتهم ارسلوا اساقفة الى سقطرى بين القرن التاسع الى الثالث عشر

(ص ٦٩ س ٣ جزائر اليمن) من جزائرها جزيرة فَرَسان . ورد في معجم البلدان لياقوت (٣: ٨٧٤) وفي تاج العروس (٤: ٢٠٦) : انها جزيرة مأهولة ببحر اليمن وسُمّيت ببني فَرَسان وهي قبائل منهم من ينتسب الى كنانة ومنهم من ينتسب الى تغلب . قال ابن الحائك : وفَرَسان قبيلة من تغلب كانوا قديماً نصارى ولهم في جزائر فَرَسان كنائس قد خربت وفيهم بأس »

(ص ٧٠ س ١١ سابور ذو الاكتاف في البحرين) قال ابن الاثير في تاريخه (١: ١٥٦): « سابور ذو الاكتاف ابن هرمز بن نرسي ... قطع البحر الى الخطّ فقتل مَن بالبحرين وسار الى هَجَر وبها ناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس فقتل منهم حتى سالت دماؤهم وأباد عبد القيس . وقصد اليمامة واكثر في اهلها القتل وغوّر مياه العرب . وقصد اياد وتغلب فيما بين مناظر الشام والعراق فقتل وسبى ... وانتقلت اياد حينئذٍ الى الجزيرة .. فاباده قتلاً الّا من لحق بارض الروم »

(— س ١٣ نصرانيّة البحرين) ذكر في الاغاني (١٤: ٤٩) ارتداد اهل البحرين بعد وفاة محمّد .. وفي بعض مجاميع مكتبتنا الشرقيّة « رسالة من انبا حبيب اسقف تكريت ويعرف بابن رائطة الى مَن بالبحرَين من نصارى العرب » وفي قوله هذا دليل على انّ النصرانيّة ثبتت في البحرين الى القرن الثاني عشر

(— س ٢٠—٢٥) المنذر بن ساوى) قال ياقوت في معجم البلدان (١: ٢٣٧) : « أَسبذ صاحبُها المنذر بن ساوى وهو صاحب هَجَر الذي كاتبهُ النبي صلعم . والأَسبذيون ولد عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم » . (قال) : « والغالب على البحرين عبد القيس وهم اصحاب المشقَّر والصفا حصنين هنالك »

(ص ٧١ : س ٣ قَطَر) ورد ذكر قَطَر في شعر المثقب العبدي (شعراء النصرانيّة ٤٠٤) قال يذكر يوم الحِنو :

كلُّ يومٍ كان عنّا جَلَلًا غيرَ يوم الحِنْو من جَنْبَي قَطَرْ

(قال) قطَر قصبة عُمان

(ص ٧٢ س ٣ عبد يشوع السائح) قال ابن ماري في تاريخ بطاركة المشرق (ص ٢٨—٢٩) : في أيام البطريك تومرصا في اواخر القرن الرابع المسيح ترهّب

عبد يشوع من ميشان في اسكول مار عبدا ثم انهُ « خرج الى جزيرة اليمامة فاقام منفردًا وعمّد اهلها وبنى ديرًا فيها»

(ص ٧٢ س٥ بنو حنيفة) في تواريخ العرب ان بني حنيفة نزلوا بلاد حَجْر وهي مدينة اليمامة في البحرين وكان اوّلهم عبيد بن ثعلبة · وقد ردّ عبد يشوع السائح بني ثعلبة الى النصرانيّة كما روى ابن ماري في تاريخهِ (ص ٢٩)

(— س : ٦ هوذة بن عليّ سيّد بني حنيفة) قال في الاغاني (١٦ : ٧٨) وفي تاريخ ابن الاثير (١ : ٢٦٠) انّ هوذة كان نصرانيًّا امرهُ كسرى ان يغزو بني تميم هو والمكعبر مع عساكر كسرى ... فبعد انتصارهم عليهم وفتح هجر وحصن المشقّر امر المكعبر بغلق الابواب وقتل كلّ من كان بالمدينة وكان يوم الفصح فاستوهب هوذة منهُ مائة رجل فكساهم واطلقهم يوم الفصح .. وذكر ابن الاثير وصاحب الاغاني انّ كسرى ابرويز البسهُ تاجًا وقيل قلنسوةً فيها جوهر فسُمّي هوذة ذا التاج· ولهوذة احاديث وشرف ووفادة الى الملوك من الاعاجم .

(ص ٧٥ س : ١٤ ارض بابل) وممّا يؤيّد انتشار النصرانيّة هناك استشهاد القديس بوليخرون اسقف بابل في عهد الملك دقيوس قيصر في اواسط القرن الثالث للمسيح · يذكرهُ السنكسار الروماني في ١٧ شباط

(ص ٧٦ س ٣—٤ اياد ... دخلوا الروم فتنصّروا) ورد في تواريخ الروم ما يؤيد ذلك قالوا انّ عشرين الفًا من نصارى العجم احتلّوا جبال كردستان قبل الهجرة

(ص ٧٨ س ١٧ دير الجماجم) ورد في نقائض جرير والفرزدق (ص ٤١٢) : «انّما سُمّي ذلك الموضع دير الجماجم لأنهُ كانت تُعمَل فيه الاقداح فلذلك سُمّي دير الجماجم»

(ص ٨٠ س : ١٣ الشهيدان عبدون وسنان) في دياميس رومية صورة هذين الشهيدين العربيَّين رسمها البولنديّون في اعمالهم في اليوم الثلاثين من تمّوز

(ص ٨٢ س : ٣ النعمان الاعور) · ذكر قزما الكاهن انّ نعمان هذا شفاه القديس سمعان من داء اصابهُ فتنصّر وزهد بالدنيا (اطلب المكتبة الشرقيّة للسمعاني ج ١ ص ٢٤٧)

(ص ٨٣ س٢٦ بغداد) قال ابن رسته في كتاب الاعلاق النفيسة (ص٢٣٥): «لم تكن بغداد في الايام المتقدمة اعني في ايام الاكاسرة والاعاجم وانّما كانت قريةً من قرى طسُّوج بادوريا .... ولم يكن ببغداد الّا دير على مصبّ الصراة الى دجلة وهو الدير الذي يُسمّى الدير العتيق وهو قائم بحالهِ الى هذا الوقت ينزلهُ الجاثليق رئيس النصارى النسطوريّة ..

(— ١١—١٧ نسطور والنسطوريّة) قال ابن رسته في الاعلاق النفيسة (ص ١١٥): اضافت الملكيَّة العبَّادَ من النصارى وهم المشارقة الى نسطور تقريباً لهم بذلك فسُمّوا النسطوريّة وكانت رئاسة البطاركة للمشارقة في ذلك الوقت بالمدائن في ارض العراق لِداد يشوع يعدُّ بلادها في ملك فارس . والعبَّاد تذكر انَّ اوّل البطاركة السريانيين الذين نزلوا كرسيَّ المشرق على قديم الأيام بعد صعود المسيح الى السماء بنحو ٣٠ سنة فبعث توما احد الاثني عشر ادّي السليح هو ادّي برماري من السبعين وهو نصَّر اهل المدائن وديرقنّى وكسكر وغيرها من السواد وبنى بيعتين احداهما بالمدائن دار مملكة فارس يومئذٍ وجعلها كرسيًّا لمن يأتي بعدهُ من البطاركة والاخرى بديرقنّى ... فيما سلف من كتبنا خبر المشارقة من النصارى مع سابور ملك فارس حين اخذهم التحسُّس وامتناعهم من ذلك وقتلهُ منهم نحوًا من مائتي الف وغير ذلك من اعيادهم »

(—١٢—١٣ مجمع المدائن) اطلب اعمال هذا المجمع في كتاب المجامع النسطوريّة الذي عُني بنشرهِ الاب شابو - **Chabot : Synodes Nestoriens,** *Notices et Extraits des Mss. de la Bibl. Nat., XXXVII* وهناك جداول اساقفة كانوا في جهات بلاد العرب في العراق والبحرين واليمن

(— س٢٤ ديارات الاساقف بالنَّجف) روى ياقوت في معجم البلدان في كلامهِ عن قصر ابي الخطيب ابياتاً تبيّن انتشار النصرانيَّة في الحيرة وفي نجف وهي لبعضهم قال :

يا دارُ غيَّر رَسْمَها مرُّ الشمال مع الجنوبِ
بين الخورنق والسَّدير م وقصر ابي الخصيب
فالدير فالنجف الأشمِّ م جبال ارباب الصليب

(ص ٨٣ –س١٩ اديرة العراق) يُضاف الى ما ورد هناك من اسماء الاديار : دير الجاثليق دير قديم البناء قرب بغداد غربيّ دجلة · ودير الجبّ شرقيّ الموصل بينها وبين اربل يقصدهُ الناس لاجل الصرَع فيبرأ منه بذلـك كثير (ياقوت ٢ : ٦٥١) · دير الجرَعة وهو دير عبد المسيح الحيري ذكرهُ سليمان بن ماري وقـال انهُ فيه دُفن (ص ٢٦) · دير الدِهدار قال ياقوت انهُ دير ازليّ كثير الرهبان وبناؤهُ قبل الاسلام · ودير سَرجس وبكُّوس بين الكوفة والقادسيَّة · ودير اللجّ بالحيرة قال ياقوت (٢ : ٦٩١) «بناهُ النعمان بن المنذر ابو قابوس في ايَّام مملكته · ولم يكن في ديارات الحيرة احسن بناء منهُ ولا انزه موضعاً»

(ص ٨٤ س ٧ تكريت) قال ياقوت(١ : ٣٨١) : «تكريت اصلُ بنائها بعد تنصُّر مرزبانٍ مجوسيّ خطَبَ لنصرانيةٍ» قال : « وكان هناك حيّ للنصارى »

(س ٨٥ س١٦ الكنائس والبيع)يضاف الى ما ذكرنا هناك بيعة خالد بن عبدالله القسري امير الكوفة قال ياقوت(١ : ٦٦٦) «بناها لامّهِ وكانت نصرانيَّة » · ثمَّ «بيعة عديّ بن الرُّمَيك اللخمي بالكوفة ذات اشجار ونخل كثير »

(ص ٨٦ س٣–٤ اساقفة العراق العربيّ)نشر هذا الجدول المستشرق الايطالي الشهير اغناسيو غويدي في المجلّة الاسيويَّة الالمانيّة - ZDMG. XLIII, pp. 393) 411)

(— س ١٠ البيعة الشرقيَّة) اي النسطوريَّة · قال المسعودي في مروج الـذهب (٢ : ٣٢٨) : « المشارقة هم العِباد الملقَّبون بالنسطوريَّة » وقال عن عديّ بن زيد «انهُ كان عِباديّ المذهب وهم النسطوريَّة من النصارى »

(ص ٨٧ س١٦ بهرام عدوّ النصارى) قد روى ثاودوريطس مُعاصرهُ في تاريخهِ الكنسي (Théodoret : H. E. l . v., c. 38) الاضطهاد الـذي احدثهُ ضدّ النصارى

(— س ٢٢ نعمان الثـاني ابن شقيقة) قيل انه صاحب الخورنق بناه لـهُ سِنمَّار لابن يزدجرد بهرام جور · غزا الشام مرارًا وفتـك باهلها · وشقيقة امُّهُ ابنة ابي ربيعة ابن ذهل بن شيبان (راجع ابن الاثير ١ : ١٥٦)

(ص ٨٩ س ١٥ تنصُّر المنذر) قال ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ٢٩٩) :

كانت (الحيرة) منازل آل النعمان بن المنذر وبهـا تنصَّر المنذر بن امرئ القيس وبنى بها الكنائس العظيمة »

(ص ٩١ س ٩ وفاة المنذر بن ماء السماء في يوم حليمة) ويقال انَّ المنذر بن ماء السماء قُتل قبل ذلـك في يوم عين أُباغ في وادٍ وراء الانبار على طريق الفرات الى الشام قتلهُ الحارث الاعرج بن ابي شمَر الغسَّاني ‧ وأمّا المقتول في يوم حليمة فهو ابنهُ المدعوّ مثلهُ ايضاً بالمنذر قُتل بمرج حليمة قتلهُ الحارث ايضاً ‧ وحليمة هذه هي ابنتهُ

(— س ١٤ هند الكبرى) جاء في نقائض جرير والفرزدق (ص ٢٦٧) افادات عنها فيُروى هناك ان سفيان بن مجاشع بن دارم احد اجداد الفرزدق سعى بتوطيد السلام بين الحارث بن عمرو الكندي والمنذر بن ماء السماء وذلـك بأن خطب ابنة الحارث هنداً فزوجها المنذر فتهادن الملكان وطُفئت النائرة بينهما ‧ وهند هي امّ الملك عمرو بن هند

(ص ٩٢ س ١ ‧ هند بنت النعمان بن المنذر) هند هذه المعروفة بالُحرَقـة هي غير هند الكبرى ‧ ولها سميَّة ثالثة هي هند بنت المنذر بن ماء السماء ‧ قال ابن الاثير يذكر يوم عين أُباغ بينهُ وبين الحارث الاعرج الغسَّاني(١ : ٢٢٢) انَّ سبب هذه الحرب انَّ الحارث خطب الى المنذر ابنتهُ هنداً فوعدهُ بهـا وكانت هند لا تريـد الرجال وصنعت بجلدها شبه البرص فندم على تزويجها وردَّها عن ملك غسَّان فصارت الحرب بسبب ذلك ‧ فترى انَّ في روايات المؤرّخين عن الُهنود بعض الاضطراب والتناقض ‧

(— س ٤ وتنصَّر النعمان) فيه يقول النابغة :

ظلَّت اقاطيعُ أنعـامٍ مؤبَّلةٍ   لدى صليبٍ على الزوراء منصوبِ

اراد بالزوراء الرَّصافة وكانت للنعمان ‧ قال ياقوت في معجم البلدان(٢ : ٩٥٥) : « وكان عليها صليب لانهُ كان نصرانيًّا » قال النابغة (البيت) ولعلَّه النعمان الـذي اشار اليهِ خداش بن زهير العامري بقولهِ (خزانة الادب ١ : ٩٢)

وبالمَرْوة البيضاء يومُ تبـالةٍ   ومحبسةُ النعمان حيث تنصَّرا

وقد ذكر البكري ابا قابوس النعمان بن منذر في معجم المستعجم في وصفهِ لدير اللجّ (ص ٣٦٦) وكان النعمان بناه في جهات الحيرة قال : « وكان النعمان يركب في

كلّ عيد ومعه اهل بيتهِ ... عليهم حلل الديباج المذهّبة وعلى رؤوسهم اكاليل الذهب وفي اوساطهم الزنانير المفضَّضة بالجوهر وبين ايديهم اعلام فوقها صلبان الذهب فاذا قضوا صلاتهم انصرفوا الى مستشرفهِ ...»

(ص ٩٥ س ٦ القبائل المتنصّرة) قال الجاحظ في كتاب الحيوان (٧: ٦٦): «من العرب ممَّن كان لا يرى للحرَم ولا لشهر الحرام حرمة (وهم المطبقون على عداوة النبي صلعم والكفر بهِ والمحلُّون) طيّ كلّها وخثعم كلها وكثير من احياء قضاعة ويشكر والحارث بن كعب هؤلاء كلّهم اعداء الدين والنسب هذا الى ما كان في العرب والنصارى والذين يخالفون دين مشركي العرب كلّ الخلاف كتغلب وشيبان وعبد القيس وقضاعة وغسَّان وسُلَيْم والعِباد وتنوخ وعاملة ولخم وجذام وكثير من بلحارث بن كعب وهم خلطاء واعداء...»

(ص ٩٩ س ١٩ . سرجيوس) . وكان على اسم مار سرجيوس او ماسرجيوس (ويقال ماسرجيس) دير ذكرهُ عبداللّه بن العبَّاس الربعي في الاغاني (١٧: ١٢٩):

بين وردٍ وبين آسٍ جنيّ   وَسْط بستان ديرِ ماسرجيس

(— س ٢٠ الرُّصافة) هي التي تعرف برصافة هشام غربيّ مدينة الرقّة . وكان اهلها العرب عريقين بالنصرانيَّة وبقوا على دينهم بعد الاسلام بزمن طويل كما يشهد على ذلك ابن بطلان في رحلتهِ سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ م) حيث قال (معجم البلدان ٢: ٧٨٥) يصف قصر الرصافة: «وهذا القصر حصنٌ دون دار الخلافة ببغداد مبنيّ بالحجارة وفيه بيعة عظيمة ظاهرُها بالفص المذهَّب أنشأها قسطنطين بن هيلانة . وسكّان هذا الحصن بادية اكثرهم نصارى ...» اما الدير فيقول عنهُ ياقوت انهُ «من عجائب الدنيا حسناً وعمارةً»

(ص ١٠٢ س ٥ . السماوة) هي البادية الواقعة بين الكوفة والشام كان يسكنها بنو كلب

(ص ١٠٣ س ٤ النصرانيَّة في تدمر) روى السمعاني في المكتبة الشرقيَّة (٤: XIV) لعمرو بن متّى انَّ يهوذا بن يعقوب الملقَّب لبي ذهب الى تدمر ليبشر فيها بالمسيح

(— س ٢١ كتابة زَبد) هذه الكتابة اوسع باليونانيَّة وخطُّها العربيّ قليل

الوضوح لم يتَّفق المستشرقون في تفسيره . ويؤخذ من اليونانيَّة انَّ الـذين اقاموا هذا الاثر لذكرى القديس سرجيوس البرديوت يوحنَّا بن بركة وسركيس بن سركيس وغيرهما وانَّ الذي عُني بهندستهِ سمعـان بن عمرو ولانديوس . وفي صدر الكتابة السريانيَّة البسملة النصرانيَّة « المجد للآب وللابن وللروح القدس »

(ص ١٠٨ س ٣–٦ . أَيلة وصاحبها) ايلة اليوم خراب وقامت عَقَبة مقامها على بعد كيلومترين منها . وكانت قبل الهجرة فرضةً حافلة تقصدها سفن اليمن والهند والصين وتأتيها من البرّ قوافل الشام (Cfr. Itinerarium Antonini, pp. 42 et 44) وامَّا صاحبُها يوحنَّا او يحنَّة بن رؤبة فقـد دعاهُ المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف (ص٢٧٢) اسقف أيلة . وقد جاء في احد كتب المجـامع الدينيَّة ذكر «اسقف ايلة والشراة »

وقد ذكر البلاذري في فتوح البلدان (ص ٥٩) قبل أيلة تبالةَ وجُرَش ثمَّ ذكر معها أذرع ومَقْنا والجَرْباء وكلها كانت حافلة بالنصارى

(— س ١٦—١٩ دومة الجندل وصاحبها اكيدر) . جـاء في معجم البلدان لياقوت (٢: ٦٢٦) انَّ بني كنانة من كلب كانوا في دومة الجندل وانَّ فيها «كان حصن مارد وهو حصن أُكَيْدر» . وفي تهذيب الاسماء للنووي (ص ١٦٢) «قال الخطيب في كتابهِ الاسماء المبهمة «كان اكيدر نصرانيًا ثمَّ اسلم وقيل بل مات نصرانيًا . هذا كلام الخطيب وقال ابو عبدالله بن منده وابو نعيم الاصبهـاني في كتابهما في معرفة الصحابة انَّ اكيدر هذا اسلم واهدى الى رسول الله صلعم حُلَّة سِيَراء فوهبها لعمر ابن الخطَّاب رَض . قال ابن الاثير: امَّا الهدية والصالحة فصحيحان وامَّا الاسلام فغلطا فيهِ فانهُ لم يُسلم بلا خلاف بين اهـل السِيَر ومن قال انهُ اسلم فقـد اخطأ خطأً فاحشًا . (قال) وكان اكيدر نصرانيًا فلمَّا صالحهُ رسول الله صلعم عاد الى وطنهِ وبقي فيهِ ثمَّ انَّ خالدًا حاصرهُ في زمن ابي بـكر الصديق وقتلهُ مشركًا نصرانيًا . وكان قبلهُ على ايلة اصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيًا »

(ص ١١٤ س ٢١ . ابو عامر الراهب) هو ابو عامر بن صيفي خرج في أُحـدٍ لمقاتلة محمَّد رسول الاسلام ومعهُ الاحابيش وعبدان اهل مكَّة (اطلب الاغاني ١٤ : ١٧ وسيرة الرسول لابن هشام ٥٦١) . وجـاء في مواسم الادب للسيِّد جعفر البيتي

(٢: ٢٠٢): «ابو عامر الاوسي (وابنهُ هو حنظلة غسيل الملائكة) ترهب في الجاهليّة ولبس المسوح فلمّا قدم صلعم المدينة كان لهُ معهُ خطب وخرج في ٥٠ غلاماً الى الشام ومات على النصرانيّة

ومن الاوس النصارى ابو قيس صيفيّ بن الاسلت (اسد الغابة لابن الاثير (٥: ٢٧٨): «وهو احد بني وائل بن زيد هرب الى مكة وكان فيها مع قريش وقيل انّ اسمهُ الحارث وقيل عبدالله . . . والصحيح انهُ لم يُسلم . وقد كان قبل الهجرة يتألّه »

(ص ١١٥ س٤ . النصارى في المدينة قبل الاسلام وفي اوائل ظهورهِ) . وممّا يدلُّ على ذلك ما ذكرهُ البخاري في صحيحهِ (٣: ٤١-٤٢) حيث روى انَّ نبيط الشام كانوا يأتون الى المدينة ويتاجرون مع محمَّد بالحنطة والشعير والزيت والزبيب . وذكر عبد القادر البغدادي في خزانة الادب (٢: ١٥٥) ان عمر بن الخطَّاب استعمل ابا زُبيد الشاعر النصرانيّ على صدقات قومهِ وان عثمان بن عفّان كان يقرّبهُ ويُدني مجلسهُ وكلّ ذلك في المدينة . ولمّا ماتت في المدينة ام الحارث بن عبدالله احد سادات قريش وكانت نصرانيّة وجدوا الصليب في عنقها بعد موتها (الاغاني ١: ٣٢ وتاريخ ابن عساكر ٣: ٤٤٨) فوكلوا الى اهل دينها القيام بجنازتها . ففعلوا

(- س١٧-١٨ الحديث لأخرجنَّ النصارى واليهود من جزيرة العرب) . هو حديث مصنوع كما ترى ممّا تقدّم وممّا اثبتناهُ في هذا الفصل عن النصرانيّة في المدينة . وما لا شكَّ فيهِ انَّ النصارى في أيام بني اميّة كانوا يسكنون المدينة ومكّة . وجاءَ في الاغاني (٤: ١٥٦) ان مروان بن الحكم اتّخذ كشُرَط لاهل المدينة مائتين من اهل أيلة النصارى . وروى ايضاً (٢: ١٢١ و ١٢٧) دخول حنين الحيري المغنّي النصراني الى مكّة والمدينة وغناءهُ فيها . وقد جاء في كتاب المقدّسي احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ص ٩٥) قولهُ عن جزيرة العرب « انَّ اليهود بها اكثر من النصارى» وفيهِ دليل على وجود الملّتين فيها حتّى القرن الرابع للهجرة والعاشر للمسيح

(ص ١١٦ س ١٨-٢٣ النصرانيّة في جرهم الثانية) في بعض روايات العرب ما يشير الى ذلك كقول هشام في معجم البلدان لياقوت (٣: ٦٣٥) : « جرهم بن فالج وبنوهُ أنطقهم الله بالزَّبور فهم الثاني ممّن تكلّم بالعربيّة ولسانهم الزبور وكتابهم الزبور» وروى الازرقي في تاريخ مكّة (ص ٣٦٦) عن ابن عبّاس ما يشير الى

التبشير بالنصرانيَّة في مكّة منذ عهد رسل المسيح بقولهِ « حجَّ الحواريُّون فلمَّا دخلوا الحَرَم مشوا تعظيماً للحرم ». وفي التاريخ المذكور (ص ٤٢—٤٣) انهُ « لما هدموا الكعبة وجدوا في ركنها كتابةً سريانيَّة فسألوا عنها رجلاً من اهل اليمن وآخر من الرهبان. ثمَّ روى مضمونها بروايات مختلفة منها ما هو حرفهُ: « من يزرع خيرًا يحصدُ غبطةً ومن يزرع شرًّا يحصد ندامةً تعملون السيّئات فلا تُجزون الحسنات أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب » وهذا كما ترى مأخوذ من كلام الانجيل. وجاء هناك « انَّ هذه الكتابة وُجدت اربعين عاماً قبل مبعث النبي في عام الفيل »

(ص ١١٨ س ٢ . تنصَّر قسم من قريش) منهم الخِرِّيت بن راشد الناجي. قال المسعودي في مروج الذهب (٤: ٤١٨) يذكر محاربة الخرِّيت لعليّ بن ابي طالب سنة ٣٨ للهجرة : ومضى الحارث (والصواب الخرِّيت) بن راشد الناجي في ثلثمائة من الناس فارتدُّوا الى دين النصرانيَّة وهم من ولد سامة بن لؤَي بن غالب عند انفسهم » فقولهُ ارتدُّوا الى دين النصرانيَة يدلّ على انَّهم كانوا سابقاً نصارى (اطلب في الكتاب الصفحة ١٤٠ ما قال الطبري في ناجية وهو ينسبهم الى تميم لكن ابا سعيد السمعاني في الانساب ص ٢ : ٥٥٠ والسيوطي في لب الالباب (ص ٢٥٨) وغيرهم يجعلونهم من بني سامة القريشيين

(— س ١٥—١٦ . تعظيم اليهود والنصارى للكعبة) زدْ على ما روينا ما ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان في وصف مكّة قال : « من سائر البلدان تحجُّ اليها ملوك حمير وكندة وغسَّان ولخم » وذكر ابن فقيه في مختصر كتاب البلدان (ص ١٩) انَّ احد ملوك الحيرة بعد تنصُّرهِ حجَّ الى الكعبة

(— س ١٧ . موقف النصرانيّ) قالهُ في التاج (٣ : ١٤٠) في كلامهِ عن بطن مَحسر قال« هو وادٍ قرب مزدلفة بين عرفات ومِنًى وفي كتب المناسك هو وادي النار وقيل لانهُ موقف النصارى . وانشد عُمر رَض حين افاض من عرَفة الى مزدلفة وكان في بطن محسر:

اليك يعدو قلقاً وضينا مُخالفًا دين النصارى دينا

امَّا « مقبرة النصارى » المذكورة هناك فهي التي دعاها عبدالله بن الزبير (الاغاني

١٣ : ٤٠) « بمقابر المشركين » . وقرب مكّة ايضاً « ذات حَبيس » اسم مكان جاء ذكرهُ في الحديث (تاج العروس ٤ : ١٣٥) ولعلّهُ سُمي بذلك لحبيس من رهبان النصارى نسك هناك

(ص ١١٩ س ١ — ٢ الحنيفيّة شيعة نصرانيّة) ورد في شعر جرير ما يؤيد ذلك حيث يهجو بني دِرْهم اصهارَ الفرزدق (اطلب نقائض جرير والفرزدق ص٥٩٥)

وحالفتمُ لِلُّؤمِ يا آلَ درهمٍ   حِلافَ النصارى دين من يتحنّفا

(— س ٦ . الايمن بن خُرَيم) هو من الصحابيين ذكرهُ ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣ : ١٨٦ — ١٨٩) وروى بيتهُ الاوّل مصحّفا « لم يَطُف بها حنيفٌ ولم يسفر بها ساعدٌ قدرُ »

(— س٢٠ عبيدالله بن جحش) قال الطبري في تاريخه (٣ : ٢٤٤٠) « كان عبيدالله ابن جحش هاجر بامّ حبيبة معهُ (وهي ابنة ابي سفيان) الى ارض الحبشة في الهجرة الثانية فتنصَّر وارتدَّ عن الاسلام » وابنتهُ زينب بنت جحش كانت زوجة زيد بن حارثة مولى محمّد نبي الاسلام وكان نصرانياً ثمّ تزوّجها محمّد في حياة زوجها

(ص ١٢٠ س٦ عثمان بن الحويرث) كان من قريش وذكر الفاكهيّ في كتابهِ المنتقى في اخبار امّ القرى (ص١٤٣—١٤٤) انَّ قيصرًا ملك الروم ملّكهُ على قريش بمكّة بكتاب مختوم في أسفلهِ بالذهب » . وقال ياقوت في معجم البلدان (١ : ١٢٨) وكان عثمان بن الحويرث هجّاء لقريش عالمًا بمثالبها »

(— س١٣ . ابو قيس صرمة بن ابي انس) كان من بني النجّار اختلفوا في اسمهِ فقالوا صرمة بن انس وصرمة بن قيس وصرمة بن ابي انس . ومن اقوالهِ الدالّة على نصرانيّتهِ

اقولُ اذا صلّيتُ في كلّ بيعةٍ   حنانَيك لا تُظهر عليَّ الاعاديا

ومن حكمهِ قولهُ :

يقولُ ابو قيسٍ واصبحَ ناصحًا   ألا ما استطعتم من وَصاتيَ فافعلوا
اوصيكمُ باللهِ والبرّ والتقى   وأعراضكم والبرُّ باللهِ اوّلُ
وانْ قومكم سادوا فلا تحسدنّهم   وان كنتمُ اهل الرئاسةِ فاعدلوا

وقال في نصرانيَّتهِ عنهُ تعالى :

ولـهُ شمَّس النصارى وقلموا كلَّ عيدٍ لـهُ وكلَّ احتفـالِ

(ص ١٢٠ س١٦ ٠زيد بن حارثة) كان هذا نصرانيًا من بني كلب اسرهُ غزاةٌ من العرب فباعوهُ في عُكاظ واشترتهُ خديجة واهدتهُ زوجها محمَّدًا رسول الاسلام فاخذ زوجتهُ زينب

ومن موالي محمَّد النصارى شقران وكان عبـدًا حبشيًا لعبد الرحمـان بن عوف فأهداهُ نبيّ المسلمين(اسد الغابة لابن الاثير ٣ : ٢) حضرموت محمَّد ومات بالمـدينة

ومنهم عَدَّاس .قال ابن الاثير (٣ : ٢٨٩) : « كان مولى شيبة بن ربيعة بن عبد شمس من اهل نينوى الموصل كان نصرانيًا »

ومن موالي محمَّد النصارى ايضاً ابو لقيط قـال ابن الاثير (٥ : ٢٨٦) : « كان حبشياً وقيل كان نوبيًا من موالي النبي صلعم بقي الى أيَّام عمر بن الخطَّاب »

(— س١٧ .عُتبة بن ابي لهب) قال ابو الفرج في الاغاني (١٥ : ٢) : « كان النبي صلعم زوَّج عتبةَ احدى بناتهِ فلماَّ بعثهُ الله تعـالى نبيًا اقسمَتْ عليهِ امُّ جميـل ان يطلّقها فجاء الى النبي صلعم فوقف عليهِ فقـال : يا محمَّد اشهد اني نصرانيّ قد كفرت بربّك وطلّقت ابنتك فدعا عليهِ رسول الله صلعم ...فبعث الله عزَّ وجلَّ عليهِ اسدًا فافترسهُ » (كذا)

وذكر السيّد جعفر البيتي في مواسم الادب (٢ : ٢٠٢) عُتبة آخر نصرانيًا وهو عتبة بن ابي ربيعة قال « لقي النبي صلعم بالطائف لمَّا خرج يدعوهم قُتل يوم بدر على النصرانيَّة »

ومن نصارى قريش النضر بن الحارث بن كَلَدة الـذي امر بقتلهِ محمَّد وكان النضر ابنَ خالتهِ معادياً لهُ ثمَّ ندم على قتلهِ بعـد ان سمع عِتاب اختهِ قتيلة (راجع الاغاني ١ : ١٠) .وابوهُ الحارث هو المعروف بطبيب العرب وكان كلاهما نصرانيًا . وكان في مكَّة في عهدهِ طبيب نصرانيّ آخر وهو ابو داود عبد الرحمان مات نصرانيًا

(ص ١٢١ س٤ كتاب الخراج) هو كتاب الامام ابي يوسف يعقوب وضعهُ لهارون الرشيد

(ص ١٢٤ س ٢ قبائل العرب المتنصِرة) ممَّا لا ينكر انَّ النصرانيَّة كانت

غلبت على الحيرة حاضرة ملوك المناذرة منذ القرن الرابع . وقد أثّرت نصرانيتها في كثير من قبائل العرب التي كانت تسكنها او تتردّد اليها . قال ياقوت في معجم البلدان(٢ : ٢٧٨) : «صار في الحيرة من جميع القبائل من مَذحج وحِميَرَ وطيٍّ وكلب وتميم وتزل كثيرٌ من تنوخ الانبارَ والحيرةَ الى طَفَّ الفرات وغربيّه . . . ثمّ كره كثيرٌ من تنوخ المقام في العراق وان يَدينوا لأَردشير فلحقوا بالشام وانضمّوا الى ما هناك من قضاعة . واهل الحيرة ثلثة اصناف : فثُلثٌ تنوخ وهم اصحاب المظالّ يتزلون غربي الفرات فيما بين الحيرة والانبار فما فوقه . والثلث الثاني العباد وهم الذين سكنوا الحيرة وتعبّدوا لملكها . والثلث الثالث الاحلاف الذين لحقوا بالحيرة »

(ص ١٢٤ س١٤ . الاوس) من زعماء بني اوس النصارى عبد الحرث بن عبد المسيح الاوسي الذي قُتل يوم مرج راهط (الاغاني ٢٠ : ١٢٨) . وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان(٤ : ٤٦٣) الاوس والخزرج وحلولهم المدينة بعد مقاتلتهم لليهود فيها بمساعدة مالك بن عجلان وابي جبلة الغسّاني . وفي هذا الخبر ما يشعر بنصرانيّة القبيلتين ولولا دينهما لما قدمَ ابو جبلة للدفاع عنهما

(— س١٧ . اياد) ممّا يثبت ايضاً نصرانيّة اياد عدّة اديرة بنوها في ديارهم وذكرها ياقوت في معجم البلدان كدير السَّوا (٢ : ٦٧٢) ودير قُرّة (٢ : ٦٧٥) وغيرهما . وقد ذكر الفاسيّ في شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (ص١٣٤ و١٣٧ -éd. Wüsten feld) ولاية اياد بن نزار للكعبة بعد جرهم وقبل قريش . وذكر هناك احد أمرائهم دعاهُ وكيع بن سلمة (قال) كان من الصالحين بنى صرحاً وجعل فيه سلّماً كان يرقاهُ ليناجي الله تبارك وتعالى واليه اشار شاعر من بني اياد بِشر بن الحجر قال :

ونحن ايادٌ عبادُ الالـه   ورهطُ مُناجيه في السُّلَّمِ
ونحنُ ولاةُ حجابِ العتيق   زمان النخاع على جُرهمِ

(قال) وقامت نائحة وكيع على ابي قبيس فقالت :

لا هلك الوكيع اخو اياد   سلامُ المرسَلين على وكيع
مناحي الله مات فلا خلودٌ   وكلُّ شريفِ قومٍ في وضوعِ

ففي هذا الخبر ما يُشعر بنصرانيّة اياد ولعلّ وكيعاً احد الرهبان المتنسكين في الصوامع . ومن ظريف ما رواه ياقوت في معجم البلدان (١ : ٨٦٩) عن احد بني اياد

الـذي وقع اسيرًا في ايدي المسلمين فعرض عليهِ هشام الخليفة الاموي ان يجحد النصرانيَّة فابى قائلًا: ما كنتُ لأرجع عن ديني. فأقبلَ به هشام وأدبرَ وهو يأبى فامر بضرب عنقهِ وكان في طريقهِ دخل كنيستيْ الرها فصلّى فيهما

(ص ١٢٥ س ٧ . بَهْراء) اطلب ما ورد عن نصرانيَّة قبيلة بهراء في مجموعة مكتبنا الشرقي ج ١ ص ٢٧٢ (MFO, I. 272) وكتـاب العلّامة رينه دوسو عن النُّصيريين (Dussaud: *Hist. et Religion des Nosairis*, p. 68, 95 etc) وممّا ورد في المسالك والممالك لابن حوقل (ص١٨) : « وبعض العرب تنصَّر ودان بدين النصرانيَّة مثل تغلب في ربيعة بارض الجزيرة وغسَّان وبهراء وتنوخ بارض الشام »

(— س ١٧ تغلب) قال ابن خلدون في تاريخهِ (٢ : ٣٠١) : « وبنو وائل بطن عظيم متَّسع اشهرُهم بنو تغلب وبنو بكر بن وائل ... فلبني تغلب شهرةٌ وكثرة وكانت بلادهم بالجزيرة الفراتيَّة بجهات سنجار ونصيبين وتُعرف بديار ربيعة وكانت النصرانيَّة غالبة عليهم لمجاورة الروم » . وممّا روى في الاغاني (١٦ : ٥٣) قَتْلُ محمَّد نبي الاسلام لاحد رؤساء تغلب لثباتهِ على دينهِ . جاء هناك : « قال ابو عمرو : وكان لتغلب رئيس يقال لهُ الجرّار وادرك النبيّ صلعم وابى الاسلام وامتنع منهُ فيقال انَّ رسول الله صلعم بعث اليهِ زيد الخيل وامرهُ بقتالهِ فمضى زيد فقاتلهُ فقتلهُ لمَّا ابى الاسلام » وممّا انشد الفرزدق في مديح تغلب قولهُ (النقائض ص٨٨٨) :

لولا فوارسُ تغـلبَ ابنـةِ وائـلٍ ... نزل العدوُّ عليـك كلَّ مكـانِ
حبسوا ابن قيصرَ وابتنوا برماحهم ... يوم الكُلاب كأكرمِ البنيـانِ
قوم اذا وُزنوا بـقومٍ فُضّـلوا ... مِثـلَيْ موازنهم عـلى الميزانِ

ويدلّ على ثبات تغلب في نصرانيَّتها انَّهم تقرَّبوا الى الفرنج في زحفـاتهم على الاراضي المقدَّسة وقد ذكر المقريزي في الخطط انَّهم كانوا مع جذام سنة ٥٧٧هـ يرسلون لهم الغلّات

(ص ١٢٦ س١٠ تميم) جاء في الاغاني (٨ : ١٨٩) عن تميم ما حرفهُ : « انَّ بني تميم كانوا وثبوا على البيت قبل الاسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوهُ واجمعت العرب عليها لِمَا انتهكت ما لم ينتهكهُ احد قطّ فأجلتْها من ارض تهامة » . وقد افتخر جرير

في شعرهِ بأنَّ تميماً اجـداده كانوا ينتسبون الى اسحاق بن ابرهيم الخليـل وليس لاسمعيل (نقائض جرير ص٩٩٤) قال :

ابونـا ابو اسحـاقَ يجمع بيننا اب كان مَهـديّاً نبيّاً مطهَّرا
فيجمعُنا والغُرّ أبنـاء سارةٍ اب لا نبالي بعـده من تعذَّرا

(ص١٢٦ س٢٣ من سُمّي بمحمّد في الجاهليّة) قد احصى ابن بريّ منهم كما ترى سبعةً . وقد جعلهم غيره ثلثة فقط كابن قتيبة في المعارف وابن خلكـان في تراجم الاعيان والسهيلي في الروض وابن فورك في الاصول (مواسم الادب للبيتي ٢:١٠٨) وهم محمّد بن سفيان جدّ الفرزدق التميميّ ومحمّد بن أُحيحة بن الجلاج اخو عبـد المطلب بن هاشم لامّهِ ومحمّد بن عمران بن ربيعة . وجاء في كتاب انساب الاشراف للبـلاذري (Ms de Gotha, ff. 355, ZDMG, 1884, p. 389) انهم ستّة : «محمّد بن سفيان ومحمّد بن الحرماز ومحمّد الشويعر بن حمران الجعفي ومحمّد بن عقبة ابن احيحة بن جلاح الاوسي ومحمّد بن مالك التميميّ ومحمّد بن مسلمة الانصاري» . امّا سپرنغر في سيرة محمّد (A. Sprenger I, 161) فانّهُ بلَّغ عدد المسمَّين بمحمّد في الجاهليّة عشرة اولهم محمّد الحرامي السلميّ الذي رحل الى ابرهة ملك الحبشة في اليمن وتنصَّر ثمّ محمّد بن سفيان اسقف بني تميم . ثم محمّد الهمداني ومحمّد الأُسيدي ومحمد العكيمي ومحمّد بن اسامة السعدي ومحمّد بن لَجلج ومحمّد بن حارث ومحمّد بن عمر ابن مغفل ومحمّد بن أحيحة بن الجلاح

(ص١٢٧ س١ تنوخ) اطلب ايضاً لنصرانيّة تنوخ مجلّة الاسلام الالمـانية (Der Islam. IV, p. 387) ومن تنوخ كان حيّ بني ساطع . ذكرهم البكري في معجم ما استعجم (ص٣٧٢) ونسب اليهم مستنداً الى ابي الفرج بنـاء دير قديم في الحيرة يعرف بدير حنّة قال: «تحاذيه منارة عالية كالمرقب تسمى القائمة لبني اوس ابن عمرو»

(— س١٠ نصرانيّة جذام) ذكرها ايضاً الجاحظ في كتاب الحيوان (٧:٦٦) اطلب كذلك مجموعة مكتبنا الشرقي (MFO, v°. 588-619)

(— س٢١ نصرانيّة جَرْم) ابتنى سنة ٣٢٠م يوحنّـا الكشكرانيّ ديرًا في

ديار بني جرم (اطلب اخبار فطاركة كرسيّ المشرق لماري بن سليمان ص٣٦) . وقد بقيت آثار النصرانيَّة في جرم بعد الاسلام . ومما اخبره المقريزي انّ بني طيّ وجرم وثعلبة حالفوا الفرنج لمّا قدموا الى الشام وفتحوا القدس وسواحل الشام (Mémoires de Quatremère II, 190-1)

(ص١٢٨ س ٨ بنو السمط والحذّاء) روى البيتين في معجم البلدان في وصف زورة مع غيرهما (٢ : ٩٥٧) ونسبهما الجاحظ في كتاب الحيوان (٥ : ٥٢) لابي الطمحان الاسدي وهو يروي : « بنو الصاب والحذّاء » . وفي كتاب البيان للجاحظ (٢ : ٧١) ويروى لبشر بن ابي الخازم في مدح بني حذّاء قولهُ :

لله درُّ بني حذّاء من نَفَرٍ وكلُّ جارٍ على جيرانهِ كَلِبُ
اذا غدوا وعصيّ الطَّلح ارجلهم كما تُنَصَّبُ وسط البِيعةِ الصُّلُبُ

(ص ١٢٩ س ١٧ حنيفة) هو حنيفة بن لُجَيم بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل وحنيفة اخو عِجْل بن لُجَيم . واليهم اشار الاخنس بن شهاب بقولهِ عن بني بكر :

وبكرٌ لها ظهرُ العراق وان تشأ يَحُلْ دونها من اليمامةِ حاجبُ

راجع المفضَّليَّات (ص٤١٥) . وكانت حنيفة تسكن ايضاً الرصافة وكانوا اقاموا عليها صليباً في ايام النعمان لانهُ كان نصرانياً (معجم البلدان ٢ : ١٥٥) ولمّا ظهر الاسلام ردُّوا دعوة رسولهِ وقد جاء في سيرة النبي لابن هشام (ص ٢٨٣) : « قال ابن اسحاق وحدَّثني بعض اصحابنا عن عبدالله بن كعب بن مالك انَّ رسول الله صلعم اتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسهُ فلم يكن احد من العرب اقبحَ ردًّا عليهِ منهم »

(ص ١٣١ س٣ سليح) ذكر ياقوت في معجم البلدان (٢ : ١٨٥) حاضرَ قِنّسرين ومن يقيم به من العرب قال : « قال احمد بن يحيي بن جابر كان حاضرُ قِنّسرين لتنوخ منذ اوَّل ما تَنَخُوا بالشام ونزلوهُ وهم في خِيَم الشعر ثمَّ ابتنوا بهِ المنازل . ولمّا فتح ابو عبيدة قنّسرين دعا اهل حاضرها الى الاسلام فأسلم بعضهم واقام بعضهم على النصرانيَّة فصالحهم على الجزية وكان اكثر من اقام على النصرانيَّة بني سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . واسلم من اهل ذلك الحاضر جماعة في خلافة المهدي »

(ص ١٣١ س١٨ . شيبان). ن نصاراها الاشراف عُمَيْر بن السليل ابن اخي بسطام بن قيس. ومنهم مفروق وكان من رجالهم لساناً وبياناً (ابن دريد في الاشتقاق)

(ص ١٣٢ س٧ — ٨ هانئ بن قبيصة) تجد شيئاً من اخباره في معجم البلدان لياقوت في مادّة « الغبيطان » (٣: ٧٧٤) وفي مادّة « قار » (٤: ١٠)

(— س١٠ ضُبَيْعَة) ذكر الطبري في تاريخهِ (١: ٢٠٣٢) ضُبَيعة في جملة نصارى العرب مع بني عجل وتيم اللات

(— س ١٣ طيّ) كانت طيّ تسكن في نجد شرقيّ مداثن صالح في جبلَي اجأ وسلمى. ومن جبالهم مَلَكان كان يقال لهُ ملكان الروم. قال ياقوت (٤: ٢٧٢): «دُعي بذلك لأن الروم كانت تسكنهُ في الجاهليّة» وكان قسم من بني طيّ يسكنون الحيرة ذكرهم في الاعلاق النفيسة لابن رُسْته مع نصارى تميم وسُلَيم قال (ص٣٠٩): «وعِلْية اهل الحيرة نصارى فنهم من قبائل العرب على دين النصرانيّة من بني تميم آل عديّ بن زيد العبادي الشاعر ومن سُلَيم ومن طيّ ومن غيرهم»

(ص ١٣٤ س ٩ تسمية نصارى الحيرة بالعباد) ذكر البكري في معجم ما استعجم (ص ١٨) سبباً آخر لتسميتهم بالعباد قال : « قال احمد بن ابي يعقوب انّما سُمّي نصارى الحيرة العباد لانهُ وفد على كسرى خمسة منهم فقال لاحدهم : ما اسمك . قال عبد المسيح . وقال للثاني: ما اسمك . قال : عبدياليل . وقال للثالث : ما اسمك . قال: عبد يسوع . وقال للرابع: ما اسمك . قال : عبدالله . وقال للخامس : ما اسمك . قال: عبد عمرو . فقال كسرى انتم عباد كلكم فسُمُّوا العباد »

(— س ١٤ عبد القيس) راجع ما كتبهُ عنهم ركندورف في دائرة علوم الاسلام (Encycl. de l'Islam I, 46-47)

(— س١٧ بحيرا الراهب) ذكرهُ الطبري في تاريخهِ (١: ١١٢٤—١١٢٥) وروى ما يتناقلهُ المسلمون عنهُ وعن اجتماع نبيّ المسلمين بهِ عند رحلتهِ الى الشام اذ كان ابن اثنتي عشرة سنة . وقال السيّد ابو جعفر البيتي في مواسم الادب (٢: ٢٠٢) انّهُ كان يُسمّى جرجس . وامّا النصارى فيدعونهُ نسطوريوس ويروون قصّتهُ مع نبيّ المسلمين على خلاف ما يذكرها مؤرخو الاسلام . راجع الرسالة عبد المسيح الكندي الى الهاشمي طبعة لندن سنة ١٨٨٥ (ص ١٢٨—١٣٠)

(ص١٣٤ س٢٠ الرئاب الشني) اطلب كتاب الاغاني (١٥ : ٧٦)

(ص١٣٥ س ١٠ — ١١ خالد بن سنان) قرأنا في احد مخطوطات باريس (Ms, 2455, ff. 2) انهُ كان من ولد اسمعيل وعاش بعد المسيح بثلثمائة سنة . وفي هذا نظرٌ فانَّ ابن العربي في محاضراتهِ (١ : ٩٥) يزعم انَّ ابنتهُ جاءت محمدًا فقال لها : « مرحباً بابنة نبيٍ اضاعهُ قومهُ »

(ص١٣٦ س١٧ هجو بني عجل) يُضاف الى ما اوردنا قول الأبَيْرد الشاعر مما يثبت نصرانيَّة بني عجل (الاغاني ١٢ : ١٣) :

تحيَّا المسلمون اذا تلاقوا   وعجل ما تحيَّا بالسلامِ

ومثلهُ تعييرهُ لهم شرب الخمر :

ولكنَّها هانت وحُرِّم شربها   فقالت بنو عجلٍ لما هو آكفرا

راجع ايضاً كتاب معاوية (Lammens: *Mo'awia*, p. 436-438)

(— س٢٦ غسَّان) يُضاف الى شواهدنا عن نصرانيَّة غسَّان قول ابن رُسْتَه في كتاب الاعلاق النفيسة (ص١٢٧) . وقد ذكر النابغة الذبياني في شعرهِ (شعراء النصرانيَّة ص٦٥٥) ثلثة احياء من غسَّان فقال :

مُستشعرين قدَ الْفَوْا في ديارهمُ   دُعَاء سُوعٍ ودُعْميٍّ وأَيوبِ

قال الشارح «هم احياء من اليمن من غسَّان وهم نصارى وقيل هم رهبان» . راجع ايضاً في نصرانيَّة غسَّان (Duchesne *Églises séparées*, p. 340-342)

(ص ١٣٧ س ١٧ قضاعة) كانت من اعظم قبائل العرب عددًا واكثرها بطوناً وفروعاً . وجاء في مُعجم ما استعجم للبكري (ص ١٧) ان شعارهم يوم حاربهم سابور كان «يا لِعباد الله فسُمُّوا العباد» . والنصرانيَّة المنسوبة لقضاعة اجمالاً ربَّما نُسبت ايضاً الى فروعها . كبني عامر بن ثعلبة بطن من قضاعة وهم رهط هدبة بن الخشرم الشاعر النصرانيّ . وكبني رقاش بطن آخر من قضاعة يدعوهم هُدَيْة (راجع حماسة ابي تمَّام ص ٢٣٤) بأمة المسيح . وكبني تيم اللات الذين عدَّهم الطبري في تاريخهِ (١ : ٢٠٣٢) في جملة نصارى العرب مع بني عجل وضُبَيْعة

(ص١٣٨ س٤) فاتنا ان نذكرهنا قيس عيلان والمتنصّرين منها . ومن الشواهد على ذلك ما ورد في نقائض جرير والاخطـل (éd. Salhani, p. 17) لابي ثمامة الكلبيّ يذكر مرج راهط :

وعهدي بهم في المرج حين تنصّرتْ مشايخُ قيسٍ غير شيخٍ محاربِ

وقال جوّاس الكلبيّ من بني عدي بن جناب في ذلك اليوم :

فلو كنتُ من قيس بن عيلان لم أجِد فخـارًا ولم أعدل بـأن اتنصّرا

وقد روى في الحماسة ابياتاً من هذا الشعر ونسبها (ص٦٥٦) الى عمرو بن مِخْلاة الحمار الكلبي

ومن قيس عيـلان كانت بنو سُلَيم بن منصور بن عـكرمة وقـد سبق انّ ابن رُسْته في الاعلاق النفيسة (ص٣٠٩) ينظمهم بين نصـارى العرب مع طيّ وتميم . ومثلهم بنو عامر بن صعصعة (Cfr. Journ. As., 5e S., v. 1855 [1], p. 371)

(— س٩ كَلْب) كان بنو كلب قبل تنصّرهم يعبدون صنماً اسمهُ وَدّ ثم دانوا بالنصرانيّة ورسخ قدمهم فيها . وقـد ورد في سيرة الرسول لابن هشام (ص ٢٨٢) «انّ محمّدًا أَتى كلباً في منازلهم الى بطنٍ منهم يقال لهم بنو عبدالله فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسهُ ... فلم يقبلوا منهُ ما عرض عليهم» وممّا رواهُ ابن خلدون في تاريخهِ عن ابن سعيد (٢ : ٢٤٩) :

«وكان لقضاعة ملك آخر في كلب بن وَبَرة يتداولونهُ مع السكون من كندة فكانت لكلب دومة الجندل وتبوك ودخلوا في دين النصرانيّة وجاء الاسلام والدولة في دومة الجندل لأُكيدر بن عبد الملك بن السكون ويقال انهُ كندي من ذرية الملوك الـذين ولّاهم التبابعة على كلبٍ فاسرهُ خالد بن الوليـد . . . وبقيت بنو كلب الآن في خلقٍ عظيم على خليج القسطنطينيّة منهم مسلمون ومنهم متنصّرون

ومن نصارى كـلب امرؤ القيس بن اصبغ كان زعيم قومهِ عند ظهور الاسلام وثبَتَ على دينهِ عند دعوة محمّد (اطلب اسد الغابة لابن الاثير ١ : ١١٥)

(ص ١٣٩ س٣ كندة) اطلب ايضاً شاهدًا على نصرانيّتها : Max Muller : *Sacred Books of East*, p. XVI

(ص١٣٩ س٢١) كان حقُّنا ان نذكر في جملة القبائل المتنصرة قبل الاسلام قبيلة «لحيان بن هُذَيل بن مدركة بن الياس بن مضر والى نصرانيّتها اشار حاتم الطائي في قوله:

وما زلتُ اسعى بين نابٍ ودارةٍ بلِحْيان حتّى خفتُ ان اتنصّرا

(— س ٢٥ مذحج) كان سيد مَذْحج يزيد بن عبد المدان من اشراف النصارى في نجران (الاغاني ١٠: ١٤٩)

(ص ١٤٠ س٢٥ النبط) ومن الدلائل على نصرانيَّة النبط انهم لم يختتنوا قال الشاعر (تاج العروس ٣: ٥٦٥)

كأنَّ على أكتافهم نَشْرَ غَرْقَدٍ وقد جاوزوا نيأنَ كالنَّبَطِ الغُلْفِ

وقد جاء في كتب السريان عن عبد يشوع السائح أنَّهُ بشَّر النبط في المدينة وفي جهات عمان كما بَشَّر عبد يشوع الجاثليق بعضاً من بلادهم(J.As, 1835[1], p.129)

(ص١٤٦ س سُقُطرى) ذكرها التاجر ابو زيد في كتاب سلسلة التواريخ. (éd. Reinaud, 133-135) من آثار القرن العاشر للمسيح قال عن سُقُطرى: «بها منابت الصبر وهو الدواء الاعظم ... حتى بعث الله عيسى عليهِ السلام فبلغ مَن بهذه الجزيرة امرهُ فدخلوا في جملة ما دخلت فيهِ الروم من التنصُّر وبقاياهم بها الى هذا الوقت مع سائر من سكنها من غيرهم». واخبر السائح الايطالي مركو باولو «انه مرَّ بها في القرن الرابع عشر فوجد اهلها نصارى يرعاهم رئيس اساقفة يرسلهُ اليهم جاثليق النساطرة من بغداد... ولمَّا استولى عليها المسلمون واخذوها من البرتغاليين اكرهوا اهلها على ان يدينوا بالاسلام»

تمت الملحوظات على الجزء الاول من الكتاب



الجزء الثاني

(ص ١٥٢ س٧ كتابة المسند في بني حمير) الى هذه الكتابة يشير ابو ذؤيب بقوله (لسان العرب ١٨ : ٣٠٦)

عرفتُ الديار كخطِ الدويّ م حبَّرهُ الكاتب الحميري

(ص١٥٣ س ٣ اوّل من كتب بالعربيّة) . لا يعرف تماماً اوّل من كتب بالعربيّة . وأقدمُ خطّ عربي يُعرف اليوم كتابةُ زَبَد النصرانيّة الراقية الى ١١٠ سنوات قبل الهجرة . يليها كتابة حرّان في بلاد حوران تقدّمت ٥٤ سنة على الهجرة وهي ايضاً كتابة نصرانيّة . ثمّ نرى الكتابة العربيّة شائعة في العراق ولاسيَّما في الحيرة . وممّن يُذكر انّهم عرفوا الكتابة العربيّة عدي بن زيد . ورد في الاغاني (٢ : ١٩) انّ عدي بن زيد وزير النعمان ابي قابوس كان تعلّم مع اولاد المرازبة الكتابة الفارسيّة ثمّ كتب لكسرى بالعربيّة قال ابو الفرج « كان عدي اول من كتب بالعربيّة في ديوان كسرى » ولعلّه تعلّم ذلك من جدّهِ حمّار وابيهِ زيد . وقد روى صاحب الاغاني عن حمّار (٢ : ١٩) انهُ « خرج من اكتب الناس وصار كاتب النعمان الكبير » وقال عن زيد انهُ « حذق الكتابة والعربيّة » . وممّن تعلّم الخطّ من قريش [illegible] سفيان بن اميّة واخوهُ حرب بن اميّة قال الطبري في تاريخهِ (٢ : ٨٣٦) اوّل من كتب بالعربيّة [illegible] حرب بن اميّة . وجاء في شرح العتيلة وفي الاشتقاق لابن دُرَيد وفي اماليه انّ بشر بن عبد الملك الكندي تعلّم الخطّ العربي وهو الجزم في الانبار من مرامر واسلم الطائيين وخرج الى مكّة فتزوج الصهباء ابنة حرب بن اميّة وقيل الصفيّة بن الحارث فعلّم الخطّ سفيان بن حرب وتعلّمهُ معاوية من عمّهِ سفيان وكثر من يكتب بمكّة من قريش

وقال في كتاب [illegible] (Mss de Leide p. 9) : كتّاب الاسلام : جاء الاسلام وفيهم (اي العرب) بضعة عشر رجلًا يكتبون بالعربيّة : عمر وعثمان وعلي وطلحة وعثمان وابان ابنا [illegible] وابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وابو سفين بن حرب وابناهُ يزيد ومعاوية وحاطب بن عمرو بن عبد شمس والعلاء بن الحضرمي وابو سلمة بن عبد الاسد [illegible] بن ابي سرح وحويطب بن عبد العزّى وكان عبدالله

ابن ابي سَرْج يكتب للنبي صلعم ثمّ ارتدّ ولحق بالمشركين وقال: انَّ محمّدًا يكتب ما شئتُ. فلمّا كان يوم فتح مكة جاء بهِ عثمان وكان بينهما رضاع فاستوهبهُ النبيّ فوهبهُ لهُ »

وممّا يدخل في هذا الباب ما رواهُ ياقوت في باب نقيْرة (٤ : ٨٠٧): « قال انَّ خالد بن الوليد لمّا خرج الى عين تمر وجدوا في كنيسةٍ صبياناً يتعلّمون الكتابة في قرية يقال لها عين تمر وكان فيهم حمران مولى عثمان بن عفّان رَض »

(ص ١٥٤ س ٦) «مَسْنَـد» الصواب «مُسْنَد» وهو خطّ بني حِمْير. ويروى الشطر الثاني من البيت: « وما زَبّرتْ في الصُّحف اقلامُ حميرا»

(ص ١٦٠ س ١٨ لك الحمدُ) وردت هذه الابيات في كتاب الحيوان للدميري (٢: ١٩٥) وروى هناك: « والنعماء والفضلُ .. حمدًا والمجدُ » وذكر ايضاً قول محمد نبيّ الاسلام لمّا سمع هذه الابيات

(ص ١٦١ س ٨ سمّاهُ اميّة مقدّساً) وكذلك دعوهُ قدُّوساً. قال العجّاج (لسان العرب ٨: ٥١): « عَلِم القدُّوس مولى القُدسِ » ومثلهُ للاخطل (اغاني ٨ : ٨٥): « قدُّوس قدُّوس »

(ص ١٦٥ س ٢٥—٢٩ علقمة بن العبد) والصواب ابن عَبَدة ويُعرف بالفحل. وروى في المفضّليات (ص ٧٨٠) قولهُ فلستَ لإِنسيّ: «فلستَ لجنّيٍّ»

(ص ١٦٧ س٧ و٢٠ جهنّم) ورد في تاريخ دمشق لابن عساكر (٣: ١٢٤): قال عبدالله بن مسلم الدينوري: سُئلتُ هل وجدتُ لجهنم ذكرًا في الشعر القديم فقلتُ: هذا يحتاج الى تتبُّع وطلبٍ وقد اتذكّر فلم اذكر الّا شيئاً وجدتهُ في شعر اميّة بن ابي الصلت فانهُ قال:

فلا تدنو جهنّمُ من ريء ... ولا عَدْنٌ يُطالعها أثيمُ
اذا شبّت جهنّمُ ثمّ وارتْ ... وأعرض من قوانسها الجحيمُ

وروى البيت في المخصّص(٩: ٦) .

جهنّمُ تلك لا تُبقي بغيّاً ... وعَدْنٌ لا يطالعها رجيمُ

وذكر للهُذيل بن الفرخ (ياقوت ٤ : ١٠١٧) قولهُ في نار جهنم وجنّة الخلد :

أما ترهبان النار في ابنَيْ ايكما ولا ترجوان الله في جنّة الخُلْدِ

وقد ورد اسم جهنّام في شعر الاعشى قال (التاج ٧: ٣٧٢):

دعوتُ خليلي مِسحَلًا ودعوا لهم جهنّامَ جدعاً للهجين المذمّمِ

(قال) مِسْحَل شيطان الاعشى. وكذلك قال الفرزدق (نقائض جرير والفرزدق ٧٦٨–٧٦٩):

لقد قلّدتُ حلف بني كُلَيْبٍ قلائد في السوالف باقياتِ
قلائد ليس من ذهبٍ ولكن مواسم من جهنّمَ مُنْضجاتِ

(ص ١٧١ س ٢٧ اسمهُ تعالى الديّان) جاء في حماسة البحتري لعتاهية بن سفيان الكلبي (ع ٣٩١):

فاضحَوْا احاديثاً لغاد ورائح يدينُهُمُ بالخير والشرّ ديّانُ

(ص ١٧٣ س ١١ النذر) ويروى لثعلبة بن عمرو (المفضّليات ٥١٣):

أقسمَ ينذرُ نذرًا دمي وأقسمت ان نِلتُهُ لا يؤوبُ

(ص ١٧٨ س ٢٢) (التسبيح) قال جرير (نقائض جرير والفرزدق):

أنخنا فسبّحنا ونوّرتِ الشرى بأعرافِ وردِ اللون بُلقٍ شواكلُهْ

قال الشارح: فسبّحنا يريد فصلّينا الغداة والسُّبْحة الصلاة ويقال السبحة النافلة

(ص ١٨١ س ١ الوحي) وممّا قيل في الوحي قول ابي قُصاقص لاحق النصري في وصف دار (ياقوت ٢: ١٤٣):

عفَتْ وخلَتْ حتّى كأنّ رسومَها وُحيُّ كتابٍ في صحائف مُصحَحُ

وقال جرير (ياقوت ٣: ٦٦٨):

بين المحصّر والعزّافِ منزلةٌ كالوحي من عهد موسى في القراطيسِ

(ص ١٨٢ س ٢٠ السورة) وردت السُّورة ايضاً في كتاب الشجر والنبات (البلغة ٢٢: ٢٣) لجندل بن المثنّى:

يا ربَّ ربَّ المرسَلين بالسُّوَرْ محكَمِ القرآنِ يُتلى والزُّبُرْ

وقال جرير يهجو البعيث الشاعر وكان كالفرزدق من بني مجاشع النصارى (نقائض جرير والفرزدق):

انَّ البيتَ وعبدَ آلِ مقاعسٍ   لا يقرأون سُورة الاحبارِ

(قال): عبد آل مقاعس هو الفرزدق. واراد بسورة الاحبار ما ورد فيها: «أوْفُوا بالعقود»

(ص١٨٤ س ١٣ الزبور) وممّن ذكروا الزَّبورَ منصور النمري من شعراء ربيعة (اغاني ١٢ : ١٨)

وما لبني شاتٍ من تُراثٍ   مع الاعمام في وَرَقِ الزَّبورِ

وقال مجنون ليلى يصف صلاة الراهب بالزبور :

كأنهُ راهبٌ في رأس صومعةٍ   يتلو الزبور ونجمُ الصبح ما طلعا

ومثلهُ الفرزدق (نقائض جرير والفرزدق ٧٨٧) :

عرفتُ المنازل من مَهْدَدٍ   كوحي الزَّبور في الغرقدِ

وكذلك جرير (ياقوت ١ : ٣٩٠) :

حيِّ الديار بعاقلٍ والأنْعُمِ   كالوحيِ في رَقِّ الزبور الأعجمِ

وقال ايضاً في رثاء امّ حزرة بجُلاجل (نقائض ٨٥٠) :

وكأنَّ منزلةً لها بجُلاجلٍ   وحيُ الزَّبور تخطُّهُ الاحبارُ

وروى البكري حسين بن الضحّاك (ص٣٧٩) :

لمّا حكاها زنامُ في تغنّيها   فافتنّ يتبعُ مزموراً بزمّارِ

(ص١٨٥ س٢٣ مجلّتهم ذات الاله ..) قال في خزانة الادب في شرح هذا البيت (٢ : ١١) : المجلّة الكتاب لانَّهُ يُجَلّ ويُعظَّم واراد بهِ الانجيل لانهم كانوا نصارى. ويروى: محلّتهم. أمّا رواية الاصمعي فبالجيم وهو كتاب النصارى

(ص١٨٦ س١٠ يَسُوع) لعل اسم «سوع» في شعر النابغة (اطلب الصفحة ٢٣١) هو مرادف ليسوع. ويؤيّد فكرنا ما جاء في تاج العروس (٥ : ٣٩٠) الذي ذكر البيت ثم قال «ويروى: دعوى يسوع»

(— س ٢٥ المسيح بن مريما) ومثلهُ لجرير يهجو بني مجاشع وفي قولهِ ما يثبت محبّة النصارى المسيح قال (النقائض ص٨٣) :

لقد وَجدتْ بالقَين خودُ مجاشعٍ   كوَجْد النصارى بالمسيح بن مريما

(ص ١٨٩ س٤ يوحنا المعمدان ... يحيى) قال فيه حسان بن ثابت وفي ابيه زكريا (الاغاني ٤ : ١١) :

وانَّ ابا يحيى ويحيى كلاهما　　　لهُ عملٌ في دينهِ متقبَّلُ

(ص ١٩٠ س ١٤–١٥ ابن عبد الجن) كذا ورد في لسان العرب وهو تصحيف صوابهُ «عمرو بن عبد الحقّ» كما ذكرنا في الصفحة ١٨٧

(ص ١٩١ س٢٢–٢٥ الحبر) ورد اسم الحِبْرُ في ارجار رؤبة Ahlwardt,) (149 :

انجيلُ احبارٍ وَحَى مُنَمْنَمُهْ　　　ما خطَّ فيهِ بالمدادِ قلمُهْ

وقد روى القالي في اماليهِ بيت ايمن بن خُزَيم: «ولم يحضر القسُّ .. ولم يَشهد على طبخها الحبرُ»

(ص ١٩٢ س ١٩ القسّ) كان العرب يعرفون القسوس بالعبادة والورع والدليل عليهِ ما قال الزبير بن بكّار عن عبد الرحمان بن ابي عمّار «انهُ كان من عبّاد اهل مكّة فسُمّي القسّ من عبادتهِ (اخبار النساء لابن الجوزيّة ص ١٨–١٩) . وقد ورد اسم القسّ في رثاء حاجب بن ذبيان لاخيهِ معاوية قال :

تطاولَ بالبيضاء ليلي فلم أنَمْ　　　وقد نام قسّاها وصاح رجالُها

اردبيضاء بني عُقيل ثمَّ بني معاوية بن عقيل وهو المنتفق (معجم البلدان ١ : ٧٩٤)

(ص ١٩٣ س ٦ وجموهُ على قساقسة) وجُمع ايضاً على قَساقِس وقَساوِسة وعلى قسّيسون

(— س ١٤ شمّاس) وذكرهُ ايضاً عبدالله بن العبّاس الربعيّ (اغاني ١٧ : ١٢٩) قال :

رُبَّ صهباءَ من شراب المجوسِ　　　قهوة بابليّة خندريسِ
قد تجلّيتُها بنايٍ وعود　　　قبل ضربِ الشمّاس بالناقوسِ

(ص ١٩٤ س٩ الابيل) قد بنوا من هذه اللفظة فعلاً قال في التاج ٧ : ٢٠١): «أَبِلَ الرجلُ اذا ترهّب وتنسّك» . وفي شروح الشنتريّ على ابيات الايضاح (من مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة ص١٦٦) : «الأبيل المتعزّب عن المرأة»

(ص ١٩٧ س ٥ كأنهم قصرًا . . .) ورد قبلهُ في اللسان ١٧ : ٣٤٠ :

بالمَيْر الحُ من سِقَايةِ راهبٍ تجلى بِجَوزَنَ مترقًا عسالُها

(— س٩ صوّران وزبَد) جاء في التاج (٣ : ٣٤٤) انَّ صوّران كورة بحمص . وقال ياقوت (٢ : ٩١٤) : زُبد قرية بقِنّسرين

(— س ٢٢ الربيط) ومثلهُ المربوط اي الراهب وفي التاج (٤ : ١٤٢) انَّ الربيط لقب الغوث بن مرّ من مُضَر

(ص ١٩٨ س١٤ الاشعث) ولعلَّ الرهبان كانوا يرتّبون شعرهم على مثال النذير عند بني اسرائيل كما جاء في شعر عديّ بن زيد في وصف راهب (اغاني ٢ : ٢٥)

[illegible] في هيكل [illegible] واني الشَعَرْ

(— س ٢٦ المتعبّد) ومثلهُ العابد بجمعونهُ العبّاد والاعابد . قال ابو دؤاد الايادي يصف مصابيح الرهبان (التاج ٢ : ٤١٠) :

لمنَ كسارِ الرأس في [illegible] العَلياء تذكيها الاعابدْ

(ص ٢٠٠ س١٣ الحازي) وردت في شعر افنون (المفضّليّات ٥٢٣) قال :

ألا لستُ في [illegible]

(قال) الحوازي الكواهن . وقد جمع الطبري (١ : ١٠١٠) الحازي حزاة قال : الحُزاة العلماء

(ص ٢٠١ س١٣ الكنيسة) قال عدي بن زيد [illegible] زجاجة الخمر بقنديل راهب في كنيسته (اغاني ٢ : ١٧١) :

[illegible] في كنيسة راهبِ

وقال [illegible] (الاغاني ١٣ : ٦٤) :

يدورونَ بي في ظل كل كنيسة فيُسوبي قومي واهوى الكنائسا

(— س ١٩ البيعة) جاءت ايضًا في شعر عُمَر بن ابي ربيعة (اغاني ٣ : ٨٧) :

فلت شمسُ ام مصابيحُ بيعةٍ بدتْ لك خلفَ السُّجفِ ام انت حالمُ

وجاء في نقائض جرير والفرزدق (ص ٥٨) وكانوا يدعون كنائسهم بيت الصلاة . قال الفرزدق [illegible] من بني قطن من نهشل اسمهُ بشر بن ضُبَيع :

تَصادى [illegible] على الوعثِ ذو ساق مهيصٍ كسورُها

(ص ٢٠٢ س٢٢ قال عنترة) يروى هذا البيت لعبد قيس بن خُفاف البرجمي (اغاني ٧: ١٤٨)

(ص ٢٠٣ س ١٥) الصليب وممّن ذكر الصليب بشر بن ابي خازم في مدحهِ لبني الحِذاء النصارى (البيان للجاحظ ٢ : ٧١)

اذا غـدَوْا وعصيُّ الطَلّح ارجُلهم   كما تُنَصّب وسط البيعـةِ الصُلُبُ

وكانوا يلثمون الصليب ويمسحون ايديهم بهِ قـال جرير (النقائض ص٤٠٢) في بني تغلب :

رُوَيْـدكمُ مَسْحَ الصليب اذا دنا   هـلالُ الجزَى واستعملوا بالدراهِم

يشير الى ما وُضع عليهم من الجزية والخراج . وذكر ايضاً في محلّ آخر العابدين للصليب (نقائض ٥٠٦) . وجاء للخالدي (ياقوت ٢ : ٦٤٤) بيت في لثم النصـارى للصليب . وقال جرير ايضاً (نقائض ص٥١٠) في تغلب :

ولم تمسَحِ البيتَ العتيق اكفُّها   ولكن قرمان الصليب تُمسَّحُ

وكذلك كانوا يزينون صدورهم بالصليب قال عبدالله بن العبّاس الربعي في فتاةٍ (الاغاني ١٧ : ١٢٩) :

كم لثمتُ الصليب في الجيدِ منها   كهـلالٍ مكـلّلٍ بشموسِ

(ص ٢٠٤ س ٢٣ عبدالله بن العجلان) يروى بيتهُ في الاغاني (٧: ١٣٨) مع بعض اختلاف في الرواية

(ص ٢٠٧ س ١ الناقوس) راجع مـا جاء في ذكر النواقيس في ليتورجيّـة ديونيسيوس برصليبي (BO. II, 178-179)

(ص ٢٠٨ س ١٧) السُرج والمصابيح) ومن ذلك قول عديّ بن زيد المذكور آنفاً . ومثلهُ لجرير (نقائض ٩٥٦) :

قناديلُ صبحٍ في كنيسة راهب

وقال جوّاس بن حيان وهو القعطل بن الحارث الكلبي وله شعر في وقائع مرج راهط قال (تاريخ ابن عساكر ٣ : ٤١٤) :

واعرضتُ بـ... اسود ... ... وسط الكنائسِ

وقال بن عساكر في تاريخ دمشق في ذكر الكنائس ما نصّهُ (٣: ١٣) :

« وكانوا يزينون الكنائس بالرخام والفسيفساء . قال الحارث بن النمر وشهد يوم اليرموك » :

وتطلّلتْ منهم كنائسُ زُخرِفت   بالشام ذاتُ فسافس ورخامِ

وقال في ارشاد الطالبين (ص٣) : « وكانوا يعلّقون في كنائسهم بَيض النعام كما روى ميمون بن مهران عن نصارى نجران » قلنا وهي عادة جارية في كنائس الشرق الى يومنا يشيرون بالبيضة الى موت المسيح ودفنهِ في القبر وقيامتهِ وبالنّعام الى عناية الكنيسة بابنائها (راجع المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٤٥)

(ص٢٠٩ س١ القربان) قال تميم بن مقبل العامري يصف كنيسة النبط النصارى (جمهرة اشعار العرب ١٦١) :

من مُشرفٍ لَيطُ أَنباط البلاط بهِ   كانت لساكنهِ تُهدى القرابينا
صوتُ النواقيس فيهِ ما يفرّطهُ   أيدي الجُلاذيّ وجونٌ ما يغضّينا

راجع ايضاً معجم البكري (ص٣٧١) . وعلى رأينا انَّ ما يروى في كتب الحديث عن اكرام الخبز انّما أُريد بهِ سابقاً القربان . فمن ذلك في صحيحَي مُسلم والبخاري وفي جامع الصغير للسيوطي : ١ أكرموا الخبز فانّ الله اكرمهُ فمن اكرم الخبز اكرمهُ الله . ٢ أكرموا الخبز فانّ الله انزلهُ في بركات السماء واخرجهُ من بركات الارض . ٣ أكرموا الخبز فانهُ من بركات السماء والارض . مَن اكل ما يسقط من السفرة غُفر لهُ .

(— س٢٤ ابيات ايمن بن خُرَيم) قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٥١١) انَّ هذه الابيات تروى للأُقَيشر اليَزوعي

(ص٢١٠ س١١ كأس مزيز) قال شارح ديوان علقمة (وهو يروي : عتّقها لبعض احيانها حانيّةٌ حومُ) « اي اعدّها لفصح او عيد يريد خمر القربان »

(ص٢١١ س٣ المِنبَر) روى الجاحظ في البيان والتبيين (٢ : ٧٢) لواثلة السدوسيّ قولهُ :

لقد صبرَتْ للذلِّ اعوادُ منبرٍ   تقومُ عليها في يديك قضيبُ

(ص٢١٤ س١٨ الناموس) لعلهم ارادوا بهِ مقام الراهب تحت ظلّة الشجر كما قال الراعي (ياقوت ٤ : ٥٠١) :

وسِربٍ نساءٍ لو رآهنَّ راهبٌ   لهُ ظُلّةٌ في قلّةٍ ظلّ رانيا

(ص ٢١٥ س ٢٠ يوم السعانين) وممّن ذكر السعانين ابن رامين يصف سكارى متفكهاً (اغاني ١٣ : ١٣٠)

اذا ذكرنا صلاةً بعد ما فُرضتْ قمنا اليها بلا عقلٍ ولا دينِ
نمشي اليها بطاءً لا حراك بنا كأن ارجلنا تقلعنَ من طينِ
نمشي وارجلنا عوجٌ مطارحُها مشي الاوزّ التي تأتي من الصين
او مشي عميانِ ديرٍ لا دليل لهم الّا العصي الى عيد السعانينِ

(ص ٢١٦ س ٥) وقد أجاد حسّان بن ثابت بمدحه ملوك غسّان النصارى ويوصفهِ حفلات فصحهم قال (الاغاني ١٣ : ١٧٠) :

قد دنا الفصحُ فالولائدُ ينظمنَ م سِراعاً اكلّة المَرْجانِ
يتبارَيْن في الدعاء الى الله م وكلّ الدعاء للشيطانِ
ذاك مغنًى لآل جفنة في الدهر م وحقٌّ تصرُّف الازمانِ
صلوات المسيح في ذلك الدير م دعاء القسّيس والرهبانِ
قد اراني هناك حقَّ مكين عند ذي التاج مقعدي ومكاني

(— س ٨–١١) وفي فصيح ثعلب (ص ١٠٥) " تنهّس النصراني وتنحّس "

(ص ٢١٧ س ١٠ (السلّاق) ومما ورد ايضاً من اسماء اعياد النصارى في كتب اللغة (اللسان ٣ : ١٢٥) السِلّاج قالوا انهُ عيد من اعياد النصارى ولم يزيدوا. وذكر في الاغاني (١٧ : ١٣٤) لعبدالله بن العبّاس الربعيّ ابياتاً ورد فيها ذكر عدّة اسماء لاعياد النصارى :

يا ليلة ليسَ لها صبْح وموعداً ليس لهُ نجحُ
من شادنٍ مرّ على وعدهِ الميلادُ والسُّلّاقُ والذبحُ
وفي السعانين لو حاني بهِ وكان اقصى الموعدِ الفصحُ

(— س ٢٣ الشَّمْطة) قال في التاج في مادّة «شمعل» الشَّمْعلة قراءة اليهود في فِهرهم اذا اجتمعوا والمرجحانّ اصل هذه اللفظة من السريانيّة سَمْعل (ܫܡܫ) بمعنى زهد وتنسّك. فيكون المشمعلّ الراهب في قول امية بن ابي الصلت يمدح عبدالله ابن الجلان (ياقوت ٢ : ٥٢٦)

لهُ داعٍ بمكّةَ مُشمعلٌّ وآخر فوق دارتهِ ينادي

(ص ٢١٨ س ٥ ملابس النصارى) من ملابسهم البُرْنُس قال في تاج العروس (٤ : ١٠٨) : «البُرْنُس قلنسوة طويلة او هو كلّ ثوب رأسهُ منهُ ملتزق بهِ دراعة

كان او جبّة او منظرًا وكان رهبانهم يلبسون البُرْنس». قال جرير في نقائضه يهجو الاخطل (ص ٩٠٣) :

لعنَ الالـهُ مَن الصليبُ إلهُـهُ والّلابسين برانسَ الرهبانِ

وقال الفرزدق يهجو جريرًا (ص ٢٧٧) :

وابنُ المراغةِ قد تحوَّل راهبًا مُتَبَرْنِسًا بتَمَسْكُنٍ وسؤال

اي صار يلبس البرنس كما يلبسهُ الرهبان اي قد تنصَّر ليأخذ منهم شيئًا

(ص ٢٢٠ س ٢٠ القرطاس) ومنهُ قولُ جرير (نقائض ٥٣٧) :

كأنَّ ديارَ الحيّ من قِدَم البلَى قراطيسُ رُهبان احالت سطورها

احالت اي اتى عليها حَوْل فتغيَّرت. وقال المرّار الفقعسيّ (المفضّليات ص٧٤٣) :

عَفَتِ الديارُ غيرَ مثلِ الأنْقُسِ بعد الزمان عرفتُهُ بالقِرْطس

(ص ٢٢١ س ١ الوَرَق) وورد في شعر جرير (نقائض ١٠٣) :

أَجِدَّكَ ما تذكَّرُ اهلَ وادٍ كأنَّ رسومها ورقُ الكتابِ

(— س٤ الرقّ) روى ياقوت (٤ : ٤٢٢) : لعبّاد بن عوف المالكي قولهُ :

لمن ديارٌ عفتْ بالجزع من رِقَمٍ كما تُخَطُّ بأيدي الرِق بالقَلَمِ

(ص ٢٢٣ س ١٨ وشي الخط وتنميقه) من هذا الباب ما روى في المفضليات (ص ٦٩٨) :

كتابُ محبّرٍ هاجٍ بصيرٍ ينمّقهُ وحاذَرَ ان يُعابا

وروى ياقوت للقتّال الكلابي (٢ : ٣٦٤) :

تبرُ وتُسْدي الريحُ في عَرَصاتها كما نمنمَ القرطاسُ بالقَلَمِ الحَبْرُ

(ص ٢٢٤ س ١٠ الدواة) جمعها دَوًى ودويّ قال ابو ذؤيب (اللسان ١٨ : ٣٠٦) :

عرفتُ الديار كخطّ الدويِّ م حبَّرهُ الكاتبُ الحميري

(— س ١٤ المداد) منهُ قول عبدالله بن عَنَمة (المفضّليات ٧٤٣) :

فلم يبقَ الّا دِمْنةٌ ومنازلٌ كما رُدَّ في خطِّ الدواة مدادُها

وروى مثلهُ لعدي بن الرقّاع قولهُ يصف ثورًا :

تزجي أغنَّ كأن ابرةَ روقهِ قلمٌ اصاب من الدواة مدادَها

(— س ١٨ النِقس) روى ياقوت لمنظور بن فروة في وصف آثار دارٍ :

كأنّها بعد سنين خمسٍ خطُّ كتاب مُعجَمٍ بنِقسِ

وروى لابي زياد الكلابي (٤ : ٩٧٥)

اتاقتْك الديارُ بِعَصب حَرْس كخطِّ مُعلّمٍ ورقاً بنِقسِ

(ص٢٢٦ س ١ الاران) هذه اللفظة اصلها من العبراني (ארון) معناها الصندوق (J. As. 1836[b], p, 282)

(— س ١٠ الناووس) وقد مرّ معها ذكر الناموس (ص ٢١٤) وهي يونانيّة (νομός) ومعناها الشرع وقد ورد ذكرها في الشعر العربي بمعنى الشرع المسيحي · جاء في حديث ورقة بن نوفل (في الاغاني ٣ : ١٥) : « ليأتيه الناموس الاكبر ناموس عيسى بن مريم »

ومن الالفاظ القرآنية التي سبقت الاسلام لفظة الابابيل جاء في سورة الرسول لابن هشام (ص٥٩٨) لأُميّة بن ابي الصلت :

حول شياطينهم ابابيل ربّيون شدّوا سنَوّرًا مدسورا (كذا)

(— س ١٢ البوق) جاء في نقائض جرير والفرزدق (ص ١٠٤١) في رثاء جرير للاخطل :

وتبكي بناتُ ابن مالك سوق النصارى وميزارها

(ص ٢٢٧ س ٢ الاعلام النصرانية) وممّن صرّحوا بذكر الاعلام النصرانيّة بين عرب الجاهليّة المستشرق رينان في المجلّة الاسيويّة قال « L'Arabic antéisla-mique offre aussi beaucoup de noms chrétiens » (*Journ As.*, *1850[a], p. 248)*

(ص٢٢٨ س ٢٢ آدم) وفي البيان والتبيين للجاحظ (١ : ٧٥) رجزٌ لآدم مولى العنبر وكان اسم امرأته امّ ايّوب

(ص٢٢٩ س ٧ ابراهيم بن ايوب بن مجروف) · ويروى ابن مجروف · قال ابن الكلبيّ (ياقوت ٤ : ٢٢٢) « لا اعرف في العرب الجاهليّة مَن اسمهُ ابرهيم بن ايوب غيرهما وانّما سُمّيا بذلك للنصرانيّة » فقوله « للنصرانيّة » فصوابٌ امّا قولهُ « انه لم يعرف غيرهما » فيردّهُ ذكر الذين عددناهم عنا · وابرهيم بن أيوب هذا ينتهي

نسبهُ الى تميم ومن نسله مُقاتل بن حسّان الذي يُنسب اليهِ قصر مقاتل الذي كان بين عين تمر والشام

(ص ٢٣١ س ١٥ حنّة) وذكر في نقـائض جرير (ص٩٤٣) «حنّة بنت نهشل ابن دارم كانت أمها ماويّة بنت حُوَيّ بن سفيان بن مجاشع وامّ قيس بن حسّان بن عمرو بن مرثد»

(ص ٢٣٢ س ١ داوُد) وممّن عُرف باسم داوُد في الجـاهليّة داوُد بن عروة ابن مسعود الذي تزوّج حبيبة ابنة عبيدالله بن جحش الذي ارتدّ عن الاسلام وتنصّر (الطبري ٢ : ٢٤٤٠) . وورد في نقائض جرير في حديث يوم تيـاس (ص١٠٢١) ذكر داوُد احد بني ذؤيب . امّا داوُد بن هبُولة فهو الذي قتلهُ ثعلبة بن عامر الاكبر المعروف بالفاتك قتلهُ يوم القرنتَين فقال :

نحنُ الأُلى أَودت ظُباتُ سيوفنا داوُدَ بين القرنتَين بحـاربِ

ثمّ راجعْ اخبار ابي دوًاد الايادي في الاغاني (١٥ : ٩٦)

(— س٢٢ سَلمان) اشتهر بهـذا الاسم في الجاهليّة وفي اوّل الاسلام سَلمان الفارسيّ قال الشيخ ابو الحسن النيسابوري في كتاب اسباب النزول : « انّ سلمان كان من اهل جنديسابور ومن رهبان النساطرة وانّ في اصحابهِ نزلت الآية «انَ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى . . . فلهم اجرُهم عند الله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (سورة البقرة عدد ٥٩) » . وكذلك سَلمان العِجلي من نصارى عِجل (اغاني ١٢ : ١٢)

وممّا فاتنا من الاعلام الكتابيّة اسم « سارة » وهي زوجة ابرهيم الخليل . دُعيت باسمها سارة . . . لاة قريش (الفاسي : اخبار البلد الحرام ص ١٤٦) . وقـد جاء اسم سارة في شعر جرير كما سبق (النقائض ص ٩٩٤)

وممّا ورد من الاسماء الكتابيّة عند العرب اسم أَليشَع راهب عربيّ الاصل ذكرهُ ابن ماري في المجدل (ص٤٩)

(ص ٢٣٥ س١٦ شراحيل) ومن النصارى الذين دُعوا بهذا الاسم شراحيل شيخ حرّان الذي اقام في تلك المدينة مشهدًا لاكرام القديس يوحنّا المعمدان (راجع المتن ص ٣٤)

(ص ٢٣٦ س ٨ شَمْطة بن الاخضر) ورد ذكرهُ في نقائض جرير والفرزدق
(ص٢٣٦) قال انهُ ابن هُبيرة بن المنذر بن ضرار كان شاعرًا رُويت لهُ ابيات في يوم الشقائق يوم قُتل بسطام بن قيس راجع ايضاً كتاب البيان والتبيين للجاحظ(٢: ٧٩)

(ص ٢٣٧ س ١٨ عبدالله) ومن النصارى الذين دُعوا بهذا الاسم في الجاهليّة عبدالله بن دارم وهو جدّ حاجب بن زرارة بن عُدُس بن زيد بن عبدالله بن دارم(نقائض جرير ص ٨٠٩) .وكان اسم والد الشاعر حاتم الطائي عبدالله .وقد جاء في اعمال مجمع افسس سنة ٤٣١م اسم عبدالله احد اساقفة العرب الذين وقّعوا على تلك الاعمال كان اسقفاً على خَلَصَة (Elusa) وانَّما تصحّف اسمهُ باللاتينيَّة (Ampela) امَّا في اليونانيَّة (Θεόδουλος) فيبيّن صحّة اسمهِ عبدالله .وممَّن سُمّي بهذا الاسم مصغَّرًا عبيدالله بن سمعان التغلبيّ .ذكرهُ القالي في اماليهِ (٣: ٦٥) وروى لهُ قولهُ :

وعدتَ ولم تُنجِز وقِدْماً وعدتِني فأخلفتِني وتلك احدى الازامعِ

(قال) الازامع الواحد ازْمع وهي الدواهي

(ص ٢٣٨ س ٢ عبد الرحمان) ومثلهُ «عبد الحنَّان». وهو اسم ابن المتلمس الشاعر النصراني كما ورد في احدى نسخ الشعر والشعراء لابن قتيبة»ودعاهُ في الاغاني (٢١: ١٨٧) «عبد المنَّان قال «وكان للمتلمس ابن يقال لهُ عبد المنَّان ادرك الاسلام وكان شاعرًا وهلك في بُصرى ولا عقب لهُ »

(ص ٢٣٩ س١٦) يضاف الى هذه الاعلام اسم « اسطفانوس » قال ياقوت في «معجم البلدان (٣: ١٠٨) في وصف سكّة اصطفانوس انَّها موضع في البصرة وانَّها « أُضيفت الى كاتب نصرانيّ من اهل البحرين »

(— س٨ جُريج)ورد في صحيح البخاري(٣: ١٠٠) قصّة رواها محمَّد عن جريج ناسك من بني اسرائيل كان في صومعة اتَّهمتهُ امرأة بالزنا فبرَّرهُ طفلها الصغير وهو في المهد ودلَّ على الزاني بها

(— س ٢٣—٢٤ ابن رومانوس) قال ياقوت (٢ : ٣٧٩) انهُ اخو النعمان لأمّه أُمهما رومانوس وروى لهُ قولهُ :

ما فلاحي بعد الأُولى عمَّروا م الحيره ما ان ارى لهم من باقِ
ولهم كان كلّ مَنْ ضرّب العين م بنجدِ الى تخوم العراق

(ص٢٣٩ س٢٤ سَرْجِس) جاء في نقائض جرير والفرزدق(ص٨١٩ —٨٢٠) ذكر ابي كعب المسمى سرجس كان خازناً للحجّاج. وكذلك الازرقي في تاريخ مكة (ص٤٣٥) ذكر خبرًا عن المهاجرين رفعهُ الى نافع بن سَرْجِس

(ص٢٤١ س ٩ سَرْجون بن منصور) قال الطبري في تاريخهِ (٢: ٨٣٦) : «كان يكتب لمعاوية على ديوان الخراج سرجون بن منصور الرومي»

(— س١٤ سمعان) وقد ورد هذا الاسم على صورة اخرى. ذكر ابن الاثير في اسد الغابة (٢: ٣٨٢) رجلًا اسمهُ سيمونه البلقاوي من اهل البلقاء نصرانيّ وشمّاس كان في ايّام نبيّ المسلمين قال عنهُ انهُ اسلم وعاش ١٢٠ سنة وانهُ حمل قمحاً للمدينة وابتاع منها تمرًا. وممّن عُرف بسمعان عبدالله بن سمعان التغلبيّ ذكرهُ صاحب اللسان (١٥: ٢١٩) ولعلّهُ عبيد الله بن سمعان السابق ذكرهُ (ص ٤٧٣)

(— س٢٣ شمّاس) قال ياقوت(٢ : ٣١٧) انّ محلّة بغداد المعروفة بالشمّاسيّة منسوبة الى احد شمّاسي النصارى . ولعلّ شمّاسية دمشق (التاج ٤ : ٤٢١) منسوبة اليه ايضاً

(ص٢٤٢ س٣ عبد المسيح) وممّن عُرف بالجاهليّة باسم عبد المسيح رجل ورد اسمهُ في عهد ملكهم عبد كلال. وذُكر في الاغاني(٢٠ : ١٢٨) عبد الحرث بن عبد المسيح الاوسي قتل في مرج راهط في حرب قيس وتغلب

(— س٣)ممّن فاتنا ذكرهُ هنا اسم «صَلُوبا» وهو اسم نصرانيّ محض . جاء في معجم البلدان في باب بانقيا من نواحي الكوفة(١ : ٤٨٤) انّ صاحبها «بُصْبُهرى بن صَلُوبا صالح العرب عند ظهورهم في العراق على الف درهم وطيلسان»

(ص٢٤٣ س٧ عبد ياسوع) وممّن عرف بهذا الاسم عبد ياسوع بن كرب بن سعد التغلبيّ . جاء ذكرهُ في شعر القطاميّ (ص٧٦ من ديوانهِ) :

وقد كنتَ تُدعى عبدَ ياسوعَ مرةً واخلقت والاخلافُ من سيّئ الذكرِ

ورد في الاغاني في ترجمة القطامي (٢٠ : ١٢٨) اسمه سعدان بن عبد المسيح الذي قُتل في مرج راهط (ص ٢٥٠)

(— س ٩) وهنا يجوز اقحام اسم آخر لاحد شهداء النصارى بين العرب كان ارسلهُ ملك العجم سفيرًا الى القيصر يوليانوس الجاحد مع رفيقٍ لهُ يدعى سِنانًا

وكانا نصرانيَّين فعرض عليهما يوليانوس جحود دينهما فأبيـا فقتلهما وعيدهمـا في الكلندار الروماني في ٣٠ تموز

(—ص ٢٤٣ س٩ مارية) يضاف الى من دُعين بهذا الاسم مارية الـدارميّة امّ بني زُرارة (فرائد اللآل ٢ : ٣١٤)

(— س ١٧ مارية ابنـة حنظلة) هي ابنة حنظلـة بن ثعلبة بن سيَّار امُّ عشرة احدهم جابر العجليّ حضرت واقعـة ذي قار وقطع ابوهـا وَطِينَها (نقائض جرير ص ٦٤٣)

(ص ٢٤٥ س ١—٣ مَرقُس) ذكرهُ المبرّد في الكامل (ص٥٦٣) وقال انهُ في طيّ وانّ اسمهُ عبد الرحمـان . وقد روى لـهُ ابو تمّام في حماسته شعرًا من الرَّجز (ص٦٩٧—٢٩٨) . ولعلّ اسم المرقّش الشاعر تصحيف اسم مرقس

(— س ٤—٨ مريم وابو مريم) وقد روى في الاغـاني (٢٠ : ١١٧) انَّ الشاعر عبدالله بن ابي معقل الخزرجيّ في ايّام بني اميّة دعا ابنة ابنتهُ باسم مريم وكذلك دعا بهذا الاسم ابنة ابنهِ مسكين . اما كنية ابي مريم فعرف بها كثيرون منهم من ذكرهم ابن الاثير في اسد الغـابة (٥ : ٢٩٥) كابي مريم الُجهني عمرو بن مرّة وكابي مريم الحِمِصي يُعَدُّ في الشاميين وابي مريم السكوني وابي مريم السَّلوليّ مالك بن ربيعة وابي مريم الغسّاني وابي مريم الكنديّ . وذكر ابو بشر محمّـد الدولابي في كتابهِ الكنى والاسماء (١ : ٥٣) ابا مريم الازدي وابا مريم الحنفي الذي كان مع مُسَيْلمة وابا مريم اياس بن صبيح وابا مريم اياس بن جعفر بن الصلت وغيرهم ايضاً

(— س ١٦) وفي باب النون يجوز ان نذكر اسماً آخر نصرانيًّا وهو اسم نَسْطاس او انسطاس وجاء في التاج «نِسْطاس قال(٤ : ٢٥٨) نِسطاس بالكسر اهملهُ الجوهري وهو علم ونسطاس بالروميّة العالم بالطب (كذا) نقلـهُ الصاغاني وعبيد بن نسطاس العامري البكائي الكوفي محدّث» . وذكر في الاغاني (٤ : ٤٢ و ٦ : ١٠٣) نسطاس مولى صفوان بن اميّة وكذلك ذكر (٧ : ١٧٥) «ابا نسطوس والاخطل»

(— س ١٧ هرمز) ممَّن عُرف بهذا الاسم النصرانيّ رجلان من الصحابة هرمز القبطيّ (اسد الغـابة لابن الاثير ١ : ٤١) كان مولى النبيّ المسلمين توفّي سنـة ٤٠

للهجرة. ثمَّ هرمز الفارسيّ (٥٨٥). ومثلها هرماس وهو ابو جدير هرماس بن زياد الباهليّ (٥: ٥٧)

(ص ٢٤٨ س ٩ جابر بن شمعون) كان اسقفاً على الحيرة وهو من أسرة أوس بن قلّام الذي كان حاكماً على تلك المدينة

(— س ١٢ الحارث) ومن النصارى المعروفين بهذا الاسم «الحارث بن عبدالملك ابن ربيعة ذو الرمحين المخزوميّ القرشي وكان اسمهُ بُجَيْرًا فلمّا اسلم سمّاهُ رسول الاسلام عبدالله. وكانت أمهُ نصرانيَّة وهي ابنة ابرهة الحبشيّ ماتت على نصرانيَّتها والصليب في رقبتها فجزَّها اهل دينها (راجع تاريخ دمشق لابن عساكر (٣ : ٤٤٨)

(ص ٢٥٠ س ١٠) لا بأس من اضافة اسم «سِنان» كاحد اعلام نصارى العرب وقد عُرف به الشهيد القديس سنان رفيق القديس عَبْدون في استشهادهِ على عهد يوليانوس الجاحد

(ص ٢٥١ س ٨ محمّد) وكما دُعي بعض النصارى في الجاهليَّة باسم محمّد كذلك تسمَّوا باحمد والدليل عليهِ ابيات رواها ابو تمّام في الحماسة لوضّاح بن اسماعيل بن عبد كلال بن داود بن ابي احمد يخاطب بها الحجّاج. فعبد كلال وداود اسمان نصرانيّان فلا شكّ انَّ اسم احمد نصراني ايضا

(— س ٢٢ اوريشلم) روى في اللسان (١٥ : ٢١٨) لابن خالويه «انهُ جاء لبيت المقدس عدَّة اسماء منها شَلم وشَلَم وشَلِم وشَلَّم وأُوريشَلم (بيت الاعشى) ويقال ايليا وبيت المقدس وبيت المِكياش وبيت الضرب وصلمون (كذا)»

(ص ٢٥٢ س ١١ و ١٣ فاسطين) ذكر في التاج (٥ : ١٩٩) لعدي بن الرقاع قولهُ :

فكأنّي من ذكرهمْ خالطَتْني   من فلسطين جَلْسُ خمرٍ عُقارُ

(ص ٢٥٣ س ٥ صهيون) قال في التاج (١٠ : ٢١٧) : «صهيون يراد بها الروم» ونسب هذا القول الى ياقوت. والصواب ان ياقوت روى ذلك عن ابي عمرو واصلحهُ بقولهِ «قلتُ هو موضع معروف بالبَيْت المقدس محلّة فيها كنيسة صهيون» (معجم البلدان ٣ : ٤٣٨)

(— ١٣ بيت المقدس) ومما ورد في بيت المقدس قول المعلّى بن المطرّف

(الاغاني ٤ ٣٥٤) :

يا صاحِ اني قد حججتُ م وزرتُ بيت المَقْدسِ

ومن الامكنة التي في لفظها اشارة نصرانيَّة « أُسقُف » قال ياقوت (١ : ٢٥٢) هو موضع بالبادية كان بهِ يوم من أيامهم وانشد لعنترة :

فان يكُ عزٌّ في قُضاعةَ ثابتٌ فانَّ لنا في رَحْرَحانَ وأسقُفِ

فلا يبعد ان يكون اسم هذا المكان مستعار من اسم احد اساقفة العرب النصارى

(ص٢٥٤ س٢٠–٣١ قول عدي بن زيد) هذه الابيات وما يُلحَق بها في الصفحة ٢٥٧ ينسبها البعض الى اميَّة بن ابي الصلت. تجدها مع بعض روايات مختلفة في خطط المقريزي طبعة بولاق (١ : ٢٢) وفي الطبعة الجديدة (١ : ٣٤)

(ص٢٥٥ س٢٢ . . ما ثُقِّلا) والصواب « ثقَّلا » . قال ابن السكيت في شرحها في اصلاح المنطق (ص٤١) : يقال ثقَّلتُ الشيء اذا رفعتَهُ ويقال: إثقَّل هذا الشيء اي زِنْهُ وانظرْ ما فيهِ والشيء مَثقول ومنهُ المِثقال

(ص ٢٦١ س ١٠ الطوفان) وقد ذكرهُ ايضاً أُميَّة بن ابي الصلت (لسان العرب١٠ : ٤٥) حيث يذكر الخالق وملكوتهُ :

ويُنفَد الطوفانَ نحنُ فداؤهُ واقتادَ شَرجَعَهُ بداحٌ بَديدُ

قال شمر في شرحهِ اي هو الباقي ونحن المالكون واقتادَ اي وسَّع . وشرجعهُ خريرهُ . وبداحٌ بديد اي واسع

(ص٢٦٣ س١٠ الى الجوديّ . . .) الجوديّ جبلٌ في الجزيرة . وقال اللسان في « تالِك » انها مثنَّى « تلك » كتانِك . اما تاج العروس١٠ : ٤٣٣) فيزعم انها لغةٌ في تلك من اقبح اللغات

(— س١٩ . . واذ صمُّ الصِلابِ لهم رِطابٌ) قال المقريزي في الخطط (١ : ١٦٠) : « ذكر غير واحد انَّ الصخور في القديم من الدهر كانت تلين فعُمل منها اعمدة ناعط ومأرب وبينون ومآثر اليمن واعمدة دمشق ومصر ومدين وتدمر وان كل شيءٍ كان يتكلَّم » (كذا)

(ص٢٦٤ س ١٢ حمامة نوح) ورد في تاريخ العصاميّ من مخطوطات مكتبتنا (ff. 23^{v}) ابيات اخرى في هذه الحمامة لم يذكر اسم قائلها :

فأرسلها نبيُّ الله نوحٌ · لتنظر هل عدا ربُّ السماء
فآبت وهي قد صبغت بماء · وفي اعناقها طين البَراء
وفي منقارها ورقٌ قليلٌ · اقامتهُ على صِدق الوفاء
فأكرمها رسولُ الله نوحٌ · واكثر في القامةِ بالدعاء
وطوَّقها وسروَلها أداءً · تعالى ربُّنا ذو الكبرياء
فكُنْ لله خالقنا مطيعاً · فجنَّةُ ربِّنا للأتقياء

(ص٢٦٥ س ١٠ يرفع بالقار) روى في التاج (٨ : ٤١٠) : يُرفع بالنار
(— س١١ طول عمر نوح) روى في الاغاني (١٥ : ٦٨) لبعضهم :
تَعِش عُمرَ نوحٍ في سرورٍ وغبطةٍ · وفي خفض عيشٍ ليس في طولهِ اثمُ
(ص٢٦٦ س٦ نحن آل الله في كعبتهِ) رواهُ الازرقي في تاريخ مكّة (ص٩٦).
نحن اهل الله في بلدته

(— س١٣ لسحاق الذبيح) من غرائب مرويّات ابن عبّاس ما نقلهُ عنهُ الازرقي في تاريخ مكة (ص ٤٠١) قال : « انَّ الصخرة التي باصل جبل ثبير هي الصخرة التي ذبح ابراهيمُ عم عليها فداء ابنهِ اسحاق فهبط عليهِ من ثبير كبش أعين أقرن لهُ ثُغاء فذبحهُ (قال) هو الكبش الذي قرَّبهُ ابن آدم (هابيل) عم فتقبّل منهُ كان مخزوناً حتى فُدي بهِ اسحاق [illegible] قرّب قرباناً فلم يتقبّل منهُ»

وقد جاء لجرير في نقائضهِ ذكر ابرهيم واولادهِ وبعض الانبياء . وكانت تميم ومنها يربوع قبيلة جرير نصرانيَّة قبل الاسلام قال (نقائض ٩٩٤–٩٩٥) :

ابونا خليلُ الله والله ربُّنا · رضينا بما أعطى المليكُ وقدَّرا
بنى قِبلةَ الله التي يُهتدَى بها · فاورثنا عزًّا وملكاً معمَّرا
ابونا ابو اسحاقَ يجمع بيننا · ابٌ كان مهديًّا نبيًّا مطهَّرا
فيجمعنا والغُرَّ ابناءَ سارةٍ · ابٌ لا نُبالي بعدَهُ من تعذّرا
ومنَّا سليمانُ النبيُّ الذي دعا · فأُعطيَ بنياناً وملكاً مسخَّرا
ويعقوبُ منَّا زادهُ اللهُ حكمةً · وكانَ ابنُ يعقوبٍ نبيًّا مصدَّرا
وعيسى وموسى والذي خرَّ ساجدًا · فنبَّتَ زرعاً دمعُ عينيهِ أخضرا

(ص ٢٦٩ س ١٦ يوسف الحسن) وفي شعر جرير ذكرُ يوسف واخوتهِ :
كونوا كيوسفَ لمَّا جاء اخوتهُ · فاستَسلموا قال ما في اليوم تثريبُ

(ص ٢٦٩ س ٢١ موسى) وقد ضربوا المثل في عصا موسى المتحوّلة حيّة قال الشاعر :

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطَلَ السحرُ والساحرُ

وذُكر للاخطل في نقائضه (ص ٣٣و٣٦٧) :

فقد عضَتْ للتطيّبنَ حيَّةٌ كحيَّة موسى يوم أُيّد بالنصر

ومن قوم موسى قورحُ الذي عصى على موسى مع داثان وابيرون فخسفت بهم الارض (سفر العدد ١٦ : ٢٤) والعرب يدعونهُ قارون ويضربون المثل في غناه وكنوزهِ

(ص ٢٧٦ س ١ كتاب البدء ١ : ٧٣) اصلح «١ : ٧٦»

(ص ٢٧٧ س ٢٢ نسبوهُ الى امّه مريم) ومثالهُ قول جرير (نقائض٨٣) :

لقد وجدَتْ بالقَيْنِ خورٌ مجاشعٍ كوَجْد النصارى بالمسيح بن مريما

(ص ٢٧٨ س ٣-٤ ما من مولود الّا يمسّهُ الشيطان ... الّا مريم وابنها) شرحهُ الزمخشري في الكشّاف في سورة آل عمران قال «ومعناهُ انَّ كل مولود يطمع الشيطان في اغوائهِ الّا مريم وابنها كانا معصومَين»

(— س ١٧-٢٢ يوحنّا المعمدان والسيّد المسيح) روى الازرقيّ في اخبار مكّة (ص ٨٢) لحسّان بن ثابت قولهُ :

شهدتُ بإذن الله انّ محمَّدًا رسول الله فوق السماوات من عَلُ
وان ابا يحيى ويحيى كليهما لهُ عَمَلٌ في دينهِ مُتَقَبَّلُ
وانَّ الذي عادى اليهودَ ابن مريمٍ رسولٌ اتى من عند ذي العرش مرسَلُ

(ص ٣٠٢ س ٢٢ ... لبيد) تنظر ابيات لبيد الواردة هنا الى آية رسالة بولس الى اهل رومية (٩ : ١٨) : الله يرحمُ من يشاء ويقسّي من يشاء

(ص ٣١٤ س٢٢ بالدينونة التي بها تدينون تُدانون) ذكر الشنتمري في شرح بيوت الايضاح (ص ٣٦ من نسخة مكتبتنا الخطّيّة) لبعض الكلابيين ابياتا يخاطب فيها ملكاً ظالماً :

يا أيّها الملكُ المخوفُ اما ترى ليلا وصبحاً كيف يختلفانْ
هل تستطيعُ الشمسُ ان تأتي بها ليلا وهل لكَ بالمليكِ يدانْ

إعلمْ وأيقنْ انَّ ملكك زائلٌ   واعلم بأنَّ كما تدينُ تُـدانُ

(ص ٣١٩ س ٣—٤ اقرعوا يُفتح لكم) جاء في احياء علوم الـدين للغزالي (٣ : ٨١) عن عائشة أنها قالت سمعتُ رسول الله صلعم يقول: «أديموا قرعَ باب الجنّة يُفتح لكم»؟

(— س ٨ صلّوا هكذا : ابانا الذي في السماوات الخ) روى الشعراني في كشف الغمّة عن جمع الأمّة (ص ٤٠٢) « انَّ الله اوحى لموسى هذه الآية كما روى كتاب الاحبار: اللهمَّ لا تُولج الشيطان في قلوبنـا وخلّصنا منهُ ومن كل شرّ من اجل انَّ لـك الملكوت والابد والسلطان والملـك والحمد والارض والسماء ابدًا ابدًا »
(Cfr. Goldzicher : *Cosmos Christianus, II*, 300)

(ص ٣٢٠ س ١٣ اكنزوا لكم كنوزًا في السماء) جـاء في كتاب حيـاة الحيوان الكبرى للدميري في مادّة « سوس » (٢ : ٤٢) : « روى البيهقي في شُعبـهِ عن ابن مسعود رضَ انهُ قال « من استطاع منكم ان يجعل كنزَهُ في السماء حيث لا ينالهُ اللصوص ولا يأكلهُ السوس فليفعل فانَّ قلب كلّ امرئٍ عند كنزهِ » (راجع متى ٦ : ١٩—٢١)

ومن الحديث المنقول عن الانجيل (متى ٤ : ٥—٧) ما رواهُ ابو هريرة واثبتهُ ابو الفرج في الاغاني (١٧ : ٢٨) قولهُ : «جاء الشيطان الى عيسى قال: الستَ تزعم انك صادق. قال: بلى. قال : فأوفِ على هذه الشاهقة فألقِ نفسك منها . فقال: ويلك ألم يقل الله : يا ابنَ آدم لا تبلُني بهلاكك فاني افعلُ ما اشاء »

(ص ٣٢٥ س ١ رويا يوحنا) وقد اقتبس ابن الروميّ من هذا السِفر (٢ : ١٦) قولهُ يهجو ابن (طيفور العُمدة ص ٧٥) :

عدمتُك يا ابن ابي الطـاهرِ   وأطعمتُ تكلَـك من شاعرِ
فـما انتَ سخنٌ ولا بـاردٌ   وما بين ذَين سوى الفـاترِ
وانت كـذاك تقيّي النفو   سَ غثيـةَ الفـاترِ الخـاثرِ

(ص ٣٤٨ س ١٥ الوليد بن الملك) والصواب « الوليد بن عبد الملك »

(ص ٣٥١ س ١ الهندسة المـدنيّة) . انَّ كثيرًا من الاختراعات المدنيّة التي زعم البعض انَّ المسلمين سبقوا الى اختراعها قد اثبت اليوم العارفون من المستشرقين

انّهم اخذوها عن الروم والاقباط وغيرهم كالقوس المقنطر والطراز القوطيّ . ومما نضيفهُ هنا الى ما اوردناهُ من الشواهد السابقة ما اخبره البلاذري في فتح البلدان (ص٥٤) «انّ الخليفة عبد الملك ارسل الى مكّة رجلًا نصرانيًّا ليتلافى اضرار السيل فعمل ضفائر الدور الشارعة على الوادي وضفائر المسجد وعمل الردم على افواه السكك لتحصّن دورُ الناس» . ومما ورد في تاريخ الشيخ ابي صالح الارمنيّ (ص ٦٢) «ان يوحنّا الراهب هندسَ سور القاهرة وابوابها في الخلافة المستنصريّة ووزارة امير الجيوش بدر»

(ص ٣٥٨ س ١١ الموسيقى) اقدم ما يُذكر عن الغناء بين العرب ما كتبهُ المؤرخ سوزمان عن بني غسّان النصارى في القرن الرابع للمسيح (Sozomène, *HE*, VI, 838) حيث قال انّ الغسّانيين كانوا يتغنّون بحوادث قومهم وبحروبهم مع الرومان في عهد ملكتهم النصرانيّة ماويّة وهذا « Hæc gesta multi ex earum regionum incolis, etiamnum commemorant et apud Sarracenos vulgo cantibus celebrantur»

ولا شكّ انّ العرب اخذوا الغناء من الامم المجاورة لهم كالنبط والروم والفرس (اطلب مروج الذهب للمسعودي ٨ : ٩١) . ولابن خلدون في مقدّمته فصل حسن في صناعة الغناء وفي تأثير الامم في غناء العرب ومما قال :

« ان المغنّين من الفرس والروم وقعوا الى الحجاز وصاروا موالي للعرب وغنّوا جميعًا بالعيدان والطنابير والمعازف وسمع العرب تلحينهم الاصوات فلحنوا عليها اشعارهم وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطُوَيس وسائب خاثر مولى عبدالله بن جعفر فسمعوا شعر العرب ولحّنوه واجادوا فيه وطار لهم ذكر ثمّ اخذ عنهم معبد وطبقتهُ وابن سُرَيج وانظاره وما زالت صناعة الغناء تتدرّج الى ان كملت ايّام بني العبّاس »

وقد عيّن ابن عبد ربه في العقد (٣ : ٢٣٧) الامكنة التي شاع فيها الغناء قال :

« انّما كان اصل الغناء في أمّهات القرى من بلاد العرب ظاهرًا فاشيًا وهي المدينة والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة وهذه القرى مجامع اسواق العرب »

(ص ٣٦٦ س ١٧ «من مشاهير الاطبّاء...») نضيف الى هؤلاء اطبّاء العرب ما رواهُ صاحب نقائض جرير والاخطل (ص٢٣٠) «انّ في يوم ماكسين قُتل رجلان تغلبيّان من بني الطبيب يقال لهما الآسيان يدعى احدهما الاحمر»

(ص ٣٧٠ س ٢٢ اوس بن جبجر) اصلح «ابن حَجَر»

(ص ٣٧٦ س ١٧ الدروع) جاء في المفضّليّات (ص٦١٣) انّ قبيلة حطمة من محارب كانت شهيرة بعمل الدروع

(ص ٣٩٨ س ٢ ابن حفاف) والصواب «خفاف» بالخاء

(— س ١٦ الاغاني ٢ : ٧٢) اصلح : « ١٢ : ٧٢ »

(— س ١٩ النذور) وممّا ورد عن نذور العرب في الجاهليّة قول اميّة بن الاشكر (حماسة البحتري العدد ٥٢٠) :

وكم من أسيرٍ من قريشَ وغيرها   تداركَهُ من سَعْينا نذر ناذر

وقال عبد قيس بن خفاف البرجمي (المفضّليات ٧٥٠) :

اللهَ فاتّقِ وأوفِ بنذرهِ   واذا حلفتَ مُماريًا فتحلّلِ

(ص ٤٠٦ س ٢ عمر بن عبد الحقّ) أصلح : « عمرو »

(— س ١١ حاجب يزيد بن المهلّب) اسمهُ حاجب بن ذبيان المازني (الاغاني ١٣ : ٥٠)

(— س ١٤ آل حوران غير المختتنين) ومنهم النبط لم يختتنوا قال في اللسان (٧ : ٦٣) :

كأنَّ على أكتافِهم نَشْرُ غرقدٍ   وقد جاوزوا نيّان كالنبط القُلْف

وقد ذكر ابو علي القالي في اماليهِ (٣ : ٤٦) انَّ بني اياد « استقلّوا بعشرين الف غلام أغرَل »

وممّا لا يُنكر انَّ النصرانيَّة كانت نفذت نفوذًا عظيماً في بادية الشام وبلاد النبط وحاضرتهم صُلَع (Petra) لنا على ذلك شاهد عياني يرقى عهدهُ الى القسم الاوّل من القرن الرابع للميلاد ألا وهو اوسابيوس اسقف قيصريّة الملقَّب بابي التاريخ الكنسيّ فانهُ في شرحهِ على آية اشعيا (٤٢ : ١١) : « لِتُشِدِ البريَّة ومُدُنها ... وسكان الصخرة » قال : « اننا قد شهدنا تحقيق هذه النبوّة اذ قد تشيَّدت كنائس المسيح في عاصمة العرب المسمّاة الصخرة اي صُلَع وفي ضواحيها بل في بوادي العرب والبرقيين »

(Eusebius in Isaiam XLII 11 : *Lætabuntur qui habitant Petram*) : «Cujus sermonis veritatem mox ipse eventus comprobavit, cum in ipa Petrensium civitate, et in agro ejus necnon in solitudinibus Sarracenorum Christi Ecclesiæ nostro tempore fundatæ sunt (*Migne* : PG., XXIV, col. 319) — Cujus rei testes ac spectatores sunt quotquot in Arabum regionibus peregrinantur.

(ص ٤٢٤ س ٢١ الافوه الاودي) وقد سبق (ص ٢٦٥–٢٦٦) ذِكرُهُ لابناء نوح سام وحام ويافث ما يدلُّ على معرفتهِ بالاسفار المقدَّسة

(ص ٤٣٥ س ١٥ حاتم الطائي) وممَّا ينبي بنصرانيَّتهِ صفحهُ عن اعدائهِ وذلك «محافظةً على دينهِ» قال :

سمتُ ببيهِ فصفحتُ منهُ محافظةً على حسَبي وديني

(ص ٤٤١ س٢ ابنةُ رُهيمة) يريد ابنة عبد المسيح بن دارس

(ص ٤٤٤ س ١ بغداد) اختلفوا في اسمها المشتق من الفارسيَّة القديمة فمنهم من فسَّرها بجنَّة الاله ومنهم بعطيَّة الله . فلمَّا بناها ابو جعفر المنصور دعاها مدينة السلام وعُرفت ايضاً باسمهِ مدينة المنصور . وفي معجم البلدان لياقوت (١ : ٦٨١–٦٨٢) ان راهباً دلَّ الخليفة المنصور على موقعها فاستحسنهُ وبنى فيهِ المدينة

(ص ٤٦١ س ١٩ الصفيَة بن الحرث) والصواب الصفيَّة بنت الحارث بن حرب

(ص ٤٦٣ س ١٨ في صحائف مصحح) أصلح «مُنْمِح» وفي الاصل «مُصَحِّح» وهو تصحيف

(ص ٤٦٧ س ١ ابن خطاف) والصواب «ابن خفاف»

(ص ٤٧٤ س ٢٥ احد شهداء النصارى) نريد بهِ القديس عبدون الذي استشهد في رومية مع رفيقهِ القديس سِنان امر بقتلهما يوليانوس الجاحد وكانا أرسلا سفيرين من قبل ملك العجم كسرى

فهرس اوّل

لكتاب النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

المقدمة

الصفحة

القسم الاوّل

تاريخ النصرانية بين العرب

القسم الثاني

في آداب نصارى العرب في الجاهليَّة

الفصل الرابع : الاحداث النصرانية بين عرب الجاهلية ٢٥٤

١ احداث العهد العتيق ٢٥٤

٢ احداث العهد الجديد ٢٧٧

الفصل الثالث عشر : الشعر النصراني وشعراء النصرانيّة بين عرب الجاهليّة واوّل الاسلام ٤٠٨

فهرس ثانٍ

لاعلام الرجال والنساء والقبائل الواردة في الكتاب

فهرس ثالث

للبلدان والامكنة الوارد ذكرها في الكتاب

فهرس رابع

للمفردات اللغويّة عند نصارى العرب

فهرس خامس

في اديان العرب في عهد الجاهليّة

فهرس سادس

لمواد الكتاب على حروف المعجم

جدول

لأخصّ الكتب الطبعيّة والخطّيّة المعتمد عليها

١ الكتب العربيّة

الآثار الباقية من القرون الخالية لابي الريحان البيرونيّ (1878 Leipzig)
آثار البلاد واخبار العباد للقزويني (1848 Goettingen)
الاتقان في علوم القرآن للسيوطي (مصر ١٢٧١)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسيّ البشّاري (1906 Leiden)
احياء علوم الدين للغزالي (مصر ١٢٨٩)
الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري (1888 Leiden)
اخبار فطاركة كرسي المشرق لسليمان بن ماري (1899 Rome)
اخبار مكّة لابي الوليد الازرقي (1858 Leipzig)
اساس البلاغة للزمخشري (مصر ١٢٩٩)
اسد الغابة في معرفة الصحابة لعزّ الدين ابي الحسن ابن الاثير (مصر ١٢٨٥)
الاشتقاق لابن دريد (1854 Goettingen)
الاضداد لابي بكر الانباري (1881 Leiden)
الاعلاق النفيسة لابن رسته (1891 Leiden)
الاغاني لابي الفرج الاصبهاني (بولاق مصر ١٢٨٥ الجزء ٢١ 1888 Leiden)
امثال العرب للميداني (مصر ١٢٨٤)

البدء والتاريخ للمقدسي (1899-1919, Paris)
بلوغ الادب في احوال العرب لشكري افندي الالوسي (بغداد ١٣١٤–١٣١٨)
تاج العروس للزبيدي (مصر ١٣٠٧)
تاريخ ابي الفداء (الاستانة ١٢٨٥)
تاريخ بطاركة الاسكندرية لساويروس بن المقفع (خط)
تاريخ الجزيرة لابن شداد (خط)
تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي (1903 Leipzig)
تاريخ حمزة الاصفهاني (1844 Leipsig)
تاريخ سعيد بن بطريق (بيروت ١٩٠٦)
تاريخ الشيخ ابي صالح الارمني (1895 Oxford)
تاريخ الطبري (1879-1901 Leipzig)
تاريخ العبر لابن خلدون (مصر ١٢٨٤)
تاريخ الكامل لابي الحسن علي بن الاثير (مصر ١٢٩٠)
تاريخ مختصر الدول لابن العبري (بيروت ١٨٩٠)
تاريخ نسطوري قديم (خط)
تاريخ اليعقوبي (1883 Leiden)
تذكرة ابن حمدون (خط)
تقويم البلدان لابي الفداء (1840 Paris)
التنبيه والاشراف للمسعودي (1893 Leiden)
تهذيب الالفاظ لابن السكيت (بيروت ١٨٩٥)
الجامع الصغير للسيوطي (خط. وطبعة مصر ١٣٣٠)
جمهرة أشعار العرب للقرشي (خط. وطبعة مصر ١٣٠٨)
حماسة ابي تمام مع شرح التبريزي (1828 Bonn)
حماسة البحتري (بيروت ١٩١٠)
الحماسة البصرية (خط)
حياة الحيوان للدميري (خط. وطبعة مصر ١٢٩٢)
الحيوان للجاحظ (خط. وطبعة مصر ١٣٢٤)
خزانة الادب للبغدادي (مصر ١٢٩٩)
الخطط والآثار للمقريزي (بولاق مصر ١٢٧٠)
ديوان الاخطل طبعة (بيروت ١٨٩١–١٩١٠)
ديوان امرئ القيس (1837 Paris)
ديوان امية بن ابي الصلت (جمع وعني بالتصحيح 1911 Leipzig)
ديوان جرير (نسخة خطية وطبعة مصر ١٣١٣)

ديوان حسّان بن ثابت (1910 Leiden)

ديوان الحطيئة (الاستانة ١٣٠٨)

ديوان ذي الرمّة (1919 Cambridge)

ديوان رؤبة (1903 Berlin)

ديوان سلامة بن جندل (بيروت ١٩١٠)

ديوان السموءل (بيروت طبعة ثانية ١٩٢٠

ديوان الشمّاخ (مصر ١٣٢٧)

ديوان طرفة (1901 Paris)

ديوان العجّاج (1896 Wien)

ديوان الفرزدق (1870 Paris)

ديوان لبيد (1880 Wien)

ديوان المتلمّس (خطّ ثمّ طبعة 1903 Leipzig)

ديوان النابغة الذبياني (1800 Paris)

سراج الملوك للطرطوشي (مصر ١٢٨٩)

السيرة الحلبيّة (انسان العيون) لعليّ الحلبيّ (مصر ١٢٩٢)

سيرة الرسول لابن هشام (1860 Goettingen)

شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة (مصر ١٢٩٠)

شرح مقامات الحريري للشريشي (مصر ١٢٨٢)

شعراء النصرانيّة (بيروت ١٨٩٠–١٨٩٢)

الصحاح للجوهري (بولاق ١٢٩٢)

الصحيح البخاري (مصر ١٣٠٠، الاستانة ١٣١٥)

صحيح مسلم (الاستانة ١٣٣٤)

الطبقات الكبيرة لابن سعد (1905-1921 Leiden)

العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين (1870 London)

العقد الفريد لابن عبد ربه (خطّ وطبعة مصر ١٣٠٢)

العمدة لابن رشيق (خطّ وطبعة مصر ١٣٢٥)

عيون الاخبار لابن قتيبة (1900-1908 Berlin)

عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة. (مصر ١٢٩٩=١٨٨٢)

فتوح البلدان البلاذري (1866 Leiden)

فتوح الشام والمغازي للواقدي (1854-1856 Calcutta)

الفهرست لابن النديم (1872 Leipzig)

القرآن مع معجمه (1842, ed. Flugel, Lipsiae)

قصص الانبياء (العرائس) للثعلبيّ (مصر ١٢٧٧)

الكامل للمبرّد (مصر ١٣٠٩ 1864 Leipzig)
الكتاب المقدّس . بيروت (١٨٧٦-١٨٨٢)
كشف الظنون للحاج خليفة (1835-1858 London)
لسان العرب لابن مكرّم (مصر ١٣٠٠)
اللطائف والمعارف للثعالبي (1867 Leiden)
المجدل لعمرو بن متى (1896 Rome)
مجموعة المعاني (الاستانة ١٣٠١)
المخصص لابن سيده (مصر ١٣١٦)
مروج الذهب للمسعودي (1861-1877 Paris)
المزهر للسيوطي (مصر ٢٨٢)
مسالك الممالك للاصطخري (1870 Leiden)
المسالك والممالك لابن حوقل (1870 Leiden)
المسالك والممالك لابن خرداذبه (1870 Leiden)
المستطرف من كلّ فنّ مستظرف للابشيهي (مصر ١٢٨٥)
المعارف لابن قتيبة (مصر ١٣٠٠)
معجم البلدان لياقوت الحموي (1866-1873, Leipzig)
معجم ما استعجم للبكري (١٨٧٧ Goettingen)
المفضّليّات للمفضّل الضبّي مع شروح الانباري (C. Lyall بيروت ١٩٢٠)
الملل والنحل للشهرستاني (London 1842)
مقدّمة ابن خلدون (Paris ١٨٦٩)
النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي للعصامي (خطّ)
نزهة المشتاق للادريسي – ذكر الشام (1885 Bonn)
نقائض جرير والاخطل (بيروت ١٩٢٢)
نقائض جرير والفرزدق (Leiden 1905-1912)
وفيات الاعيان لابن خلكان (1838 Paris . مصر ١٢٩٩)

الكتب الاوروبيّة

BIBLIOGRAPHIE

Abbeloos : Greg. Barhebraei Chronicon Ecclesiasticum
— Acta S. Maris
Arnold (J. M.) : Islam, his History and Relations

Acta Sanctorum

Assemani : Bibliotheca Orientalis

Berger (Ph.) : L'Arabie avant l'Islam, d'après les Inscriptions

Bergmann : De Religione Arabum anteislamica

Blochet : Le Culte d'Aphrodite Anahita chez les Arabes du Paganisme.

Caetani (Princ. L.) : Annali dell'Islam

Carpentier (E. s. j.) : De SS. Aretha et Ruma Commentarius.

Caussin de Perceval : Essai sur l'Histoire des Arabes avant l'Islam

Chauvin (V.) : Le jet de pierres au Pélerinage de la Mecque

Bedjan (P.) : Acta Martyrum et Sanctorum.

Bell (Miss G.) : Amurath to Amurath

Brünnow (R. E.) et **Domaszewski** : De Provincia Arabiæ

Budge (E. A. W.): Book of the Bee

Chabot (Abbé J-B.) : Synodes Nestoriens

Cheikho (L. s. j.) : Les Evêques du Sinaî

Corpus Inscriptionum Semiticarum

Dalmann (Dr G.) : Petra u. seine Felsheiligtümer

Dictionnaire d'Archéologie et de Liturgie

Dozy (R.) : Essai sur l'Histoire de l'Islamisme
— Die Israeliten zu Mekka

Dussaud (R.) : Les Arabes avant l'Islam
— Mission dans les régions désertiques de la Syrie moyenne.

Eusebius Cæsariensis : Historia Ecclesiastica

Evagrius : » »

Fraenkel : (S.) : Aram. Fremdwoerter in arabischen

Gamurrini (J. Fr.) : S. Silviæ Peregrinatio

Gayet : (Al.) : L'Art arabe.

Glaser (E.) : Geschichte u. Geographie Arabiens
— Die Abissinier in Arabien u. Afrika

Goeje (M. J. de) : Mémoires d'Histoire et de Géographie.

Goldziher (Ig.): Muhammedanische Studien
— Abhandl : z. arab. Philologie

Guidi (I.) : L'Arabie antéislamique

Josephus (Fl.) : Antiquitates hebraicæ

. JOURNAL ASIATIQUE FRANÇAIS
Lagarde (P.) : Anlecta Syriaca
Lammens (H. s. j.) : Le Berceau de l'Islam
— Études sur Mo'awiah
— Fâtima
Land (J. P.) : Anecdota Syriaca
Langlois (V.) : Numismatique des Arabes avant l'Islamisme
Lequien (M.) : Oriens Christianus
Mai (A.) : Spicilegium
Mansi : COLLECTIO CONCILIORUM
MÉMOIRES DES INSCRIPTIONS ET BELLES-LETTRES
MÉLANGES DE LA FACULTÉ ORIENTALE
Migne : PATROLOGIE GRECQUE
» PATROLOGIE LATINE
Michel le Grand : Histoire (éd. Chabot).
Mingana : Sources syriaques.
Mordtmann : Himjar. Inschriften.
Musil (Al.): Arabia Petræa
Noeldeke (Th.) : Die ghassaniden Fürsten
— Neue Beiträge z. semit. Sprachwissenschaften
RENDICONTI D. REALI ACCADEMIA DEI LINCEI
REVUE DE L'HISTOIRE DES RELIGIONS
REVUE DES ÉTUDES JUIVES
PROCOPIUS : DE BELLO PERSICO
Rothstein (G.) : Die Dynastie d. Laḫmiten in Arabia
Sacy (S. de) : Mémoire sur l'Hist. des Arabes avant Mahomet
Socrates et **Sozomenus**. Hist. ecclesiastica (Migne)
SYRIA : Expedition of the Princetum University
Theodoretus : Historia religiosa (Migne)
Theophanes : Hist. ecclesiastica (ib.)
Vogué (M. de) : Syrie Centrale
Waddington : Inscriptions de l'Arabie romaine
Wellhausen (J.) : Reste d'arab. Heidentum
— Skizze u. Vorarbeitung
Wetzer W. H. J.) : Macrizii Historia Coptorum
Wright : Early Christianity in Arabia
ZEITSCHRIFT d. morgenl. Gesellschaft (ZDMG)

par des maîtres Grecs ou Syriens. On sait que le médecin de Mahomet était le chrétien nestorien Ḥariṯ ibn Kalada

Également les arts industriels, le tissage, la menuiserie, l'art naval, le monnayage sont exercés en Arabie par des chrétiens. L'enseignement était exclusivement leur œuvre.

Plus encore, les usages religieux (prières, jeûnes, aumônes, pélerinages) et les usages civils ont été calqués au début de l'Islam sur les usages chrétiens, avec quelques emprunts au Judaïsme.

On trouvera dans notre travail, pour confirmer toutes ces assertions, des témoignages recueillis soit dans les restes de la poésie et de la tradition antéislamiques, soit dans les auteurs les plus autorisés musulmans ou chrétiens.

Un dernier chapitre termine enfin ce fascicule : c'est le couronnement de tout l'ouvrage. Nous y traitons plus explicitement la question du Christianisme des Poètes arabes dont nous avons autrefois publié les Notices. La preuve de leur Christianisme se déduit tout d'abord de tout ce que nous avons publié, dans nos trois fascicules sur l'Histoire et la Littérature chrétienne en Arabie, de la diffusion de cette religion dans toutes les parties de la Péninsule, et surtout parmi les tribus auxquelles appartenaient ces Poètes. D'autre part, l'absence dans leurs poésies de toute trace d'idôlâtrie, et la présence au contraire de croyances au Monothéisme et à la vie future, d'idées et d'allusions chrétiennes, d'images et de figures empruntées à l'histoire ecclésiastique, fournissent une autre preuve en faveur de cette thèse.

L'histoire même de l'art poétique chez les Arabes confirme cette théorie. Ce n'est guère qu'un siècle ou deux tout au plus avant Mahomet que la Poésie fait son apparition en Arabie. Ce sont des poètes de Taġleb, de Bakr et de Kindah qui l'inaugurent. Or, le Christianisme de ces tribus est hors de doute. Notre thèse semble donc bien appuyée.

Nous avons joint au présent fascicule plusieurs Tables pour faciliter toutes les recherches.

Beyrouth, 8 *Décembre* 1922

PRÉFACE

DE LA 2e PARTIE (DERNIER FASCICULE AVEC TABLES)

Avec le présent fascicule se termine notre travail sur le Christianisme en Arabie avant l'Islam, fruit de quelque 40 ans de recherches. Il complète les preuves nombreuses données dans les fascicules précédents de l'influence et de l'extension de la Religion chrétienne dans toutes les parties de l'Arabie.

En sept nouveaux chapitres très suggestifs, on y montre tout ce que doit aux Chrétiens l'Arabie préislamique. Ce n'est plus seulement l'art de l'écriture, tout un vocabulaire de mots religieux, des noms propres, des proverbes, des allusions aux événements de l'Ancien et du Nouveau Testament, comme on l'a vu dans le fascicule précédent. C'est toute une série de pensées chrétiennes, souvent puisées dans les Saintes Ecritures. Ce sont des centaines de traditions rapportées par Boḫārī et consorts et attribuées à Mahomet, copiées littéralement dans nos Livres Saints. C'est l'art oratoire inauguré en Arabie par des Chrétiens, voire même, par un évêque dont l'éloquence a passé en proverbe. La théologie et la philosophie chrétiennes elles-mêmes ne sont pas inconnues aux anciens Arabes.

Les trois chapitres (X-XII) démontrent que la civilisation arabe avant l'Islam est en grande partie tributaire du Christianisme. C'est grâce à lui, que l'Arabie antéislamique eut quelque connaissance des Beaux-Arts. L'Architecture, la Peinture, la Sculpture, la Musique, ont eu en Arabie, de l'aveu même des plus anciens auteurs musulmans, des origines chrétiennes. La fameuse église de San'ā au Yémen, avec ses peintures merveilleuses et ses mosaïques, celle de Nağrān, la Ka'ba de la Mecque elle-même restaurée par un Architecte chrétien en sont autant de preuves, sans parler des premières Mosquées musulmanes, celle des Omeyiades à Damas, celle du Prophète à Médine, celle d'Omar à Jérusalem et de 'Amrou au Caire, toutes bâties ou restaurées par des Chrétiens.

Les autres sciences, notamment la Médecine. l'Astronomie, la Botanique, la Jurisprudence, pénètrent aussi en Arabie parmi les classes plus distinguées, par l'intermédiaire d'arabes chrétiens formés

LE CHRISTIANISME

ET LA LITTÉRATURE CHRÉTIENNE

EN ARABIE AVANT L'ISLAM

PAR

LE P. L. CHEIKHO S. J.

2e PARTIE

(DERNIER FASCICULE AVEC TABLES)

La littérature Chrétienne dans l'Arabie préislamique

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1923